







سلسلةُ الأبحاث الفائزة بمسابقة
الكويت الدولية لأبحاث الوقف (٢٣)

الوظيفة الاجتماعية للوقف الإسلامي في حل المشكلات الراهنة

د. عبد السلام رياح

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية
١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

رسالة الأمانة العامة للأوقاف هي نشر الثقافة الوقفية
لذا فكل إصداراتها غير مخصصة للبيع

Book 01 Final B.indd 1 2/12/2019 11:22:44 PM

سلسلةُ الأبحاث الفائزة بمسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف (٢٤)
جميع الحقوق محفوظة
«ح» الأمانة العامة للأوقاف ٢٠١٨م
دولة الكويت
الدسمة – قطعة ٦ – شارع حمود عبد الله الرقبة
ص. ب ٤٨٢ الصفاة ١٣٠٠٥
هاتف ١٨٠٤٧٧٧ – فاكس ٢٢٥٤٢٥٢٦
www.awqaf.org.kw
البريد الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف
amana@awqaf.org
البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية
serd@awqaf.org

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر مؤلفها، ولا تعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها الأمانة العامة للأوقاف

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

أُودع بإدارة المعلومات والتوثيق بالأمانة العامة للأوقاف
تحت رقم (٣١) بتاريخ (٢٠١٨/١٠/٢٧م)
ردمك: ٣-٩٢-٣٨-٩٩٩٦٦-٩٧٨



Book 01 Final B.indd 3 2/12/2019 11:22:45 PM



فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تصدير	٩
مقدمة البحث	١١
المدخل التمهيدي: تحديد المفاهيم مدار البحث	١٣
المبحث الأول: الوظيفة الاجتماعية	١٥
المبحث الثاني: الوقف الإسلامي: المرجعيات الشرعية والخلفيات التنظيمية	١٦
المطلب الأول: مفهوم الوقف الإسلامي	١٦
المطلب الثاني: مشروعية الوقف	١٨
المطلب الثالث: أركان الوقف الإسلامي	٢٣
المطلب الرابع: شروط الوقف الإسلامي	٢٦
المطلب الخامس: حكم الوقف الإسلامي	٢٦
المطلب السادس: أنواع الوقف	٢٨
المطلب السابع: ناظر الوقف ووظيفته	٢٨
المبحث الثالث: المشكلات الراهنة	٢٩
المبحث الرابع: الوقف الإسلامي في سياق توظيفه الاجتماعي لحل المشكلات الراهنة	٣٠
المطلب الأول: الوقف الإسلامي إمداد دائم	٣٠
المطلب الثاني: الوقف الإسلامي تنويع لموارد الإمداد	٣١
المطلب الثالث: الوقف الإسلامي تضافرُ جهودٍ لإصلاح المشكلات العالقة	٣٢
الباب الأول: الوقف الإسلامي: الأسس الاجتماعية ودواعي الاعتماد	٣٢
الفصل الأول: الأسس الاجتماعية للوقف الإسلامي	٣٥

Book 01 Final B.indd 5 2/12/2019 11:22:46 PM

المبحث الأول: الاستجابة لخدمة المجتمع ٣٧

المبحث الثاني: التكافل والتعاون ٣٨

المبحث الثالث: تفريج الأزمات عن المسلمين والتيسير عليهم ٣٩

المبحث الرابع: ضمان الأمن والغذاء ٤٠

المطلب الأول: ضمان الأمن ٤١

المطلب الثاني: ضمان الغذاء ٤٢

الفصل الثاني: دواعي اللجوء إلى الوقف في الحياة الإسلامية ٤٣

المبحث الأول: الاقتداء بالسلف الصالح ٤٥

المبحث الثاني: تخفيف أعباء الدولة ٤٦

المبحث الثالث: تنويع الموارد ٤٧

المبحث الرابع: تحقيق الكفاف مهما تغيرت الظروف ٤٨

المبحث الخامس: عمارة الدار الآخرة ٤٨

الباب الثاني: الوقف الإسلامي في مواجهة تحديات الحياة ٥١

الفصل الأول: الوقف الإسلامي يواجه مشكلات المجال الديني ٥٣

المبحث الأول: الوقف على خدمة القرآن والسنة النبوية ٥٥

المبحث الثاني: الوقف على المساجد ٥٩

المبحث الثالث: أوقاف على الصائمين ٦٣

المبحث الرابع: أوقاف على الحجيج ٦٤

الفصل الثاني: الوقف الإسلامي يحل المشكلات الاجتماعية ٦٧

المبحث الأول: الوقف يحمي الأسرة من التفكك ٦٩

المبحث الثاني: الوقف يخفف من حدة الاحتياج ٧٠

المطلب الأول: أوقاف على الفقراء ٧٣

المطلب الثاني: الوقف يزيح الاحتياج عن الأيتام ٧٣

Book 01 Final B.indd 6 2/12/2019 11:22:46 PM

المطلب الثالث: الوقف يصلح أوضاع أولي الاحتياجات الخاصة ٧٤

المطلب الرابع: أوقاف على التزويج ٧٦

المطلب الخامس: الوقف يتفقد أسرتَيْ السجين والأسير ٧٧

المبحث الثالث: الوقف يجتهد في محو الأمية ٧٩

المبحث الرابع: الوقف يواجه البطالة ويُوفر فرص الشغل ٨٢

المبحث الخامس: الوقف يقي من التعاطي للمخدرات وينقذ المدمنين ٨٦

المبحث السادس: الوقف يساند اللاجئين والمنكوبين ٨٨

المبحث السابع: مسالك الوقف تحقق الأمن الفكري ٨٩

الفصل الثالث: الوقف يواجه المصاعب الصحية ٩١

المبحث الأول: معايير حوكمة الوقف ومحدداتها ٩٣

المبحث الثاني: الوقف يجري العمليات الجراحية ٩٤

المبحث الثالث: الوقف يحارب سوء التغذية ٩٦

الفصل الرابع: قدرة الوقف الإسلامي على حل المشكلات الاقتصادية ٩٩

المبحث الأول: إبداع الواقفين حلولاً للضوائق المالية ١٠١

المبحث الثاني: للوقف أدوار في تحقيق الاستقرار المالي والاقتصادي ١٠٢

المبحث الثالث: للوقف أدوار في تعبئة موارد التنمية ١٠٣

المبحث الرابع: مؤهلات الوقف لإنشاء مؤسسات مالية وتأمينية وقفية ١٠٥

المبحث الخامس: التأمين الوقفي يحلُّ مشكلات اجتماعية جمة ١٠٨

المبحث السادس: أبعاد الوقف في تحقيق الوحدة والاندماج ١١٠

الفصل الخامس: إسهامات الوقف الإسلامي في حل المشكلات التعليمية ١١٣

المبحث الأول: الوقف على التعليم العتيق والعصري ١١٥

المطلب الأول: التعليم العتيق ١١٥

المطلب الثاني: التعليم العصري ١١٦

Book 01 Final B.indd 7 2/12/2019 11:22:46 PM

المبحث الثاني: الوقف يحل مشكلات طالب العلم ١١٨

المبحث الثالث: الوقف يدعم فضاءات العلم ١١٩

المبحث الرابع: تفعيل آليات الوقف سبيل إلى تحقيق تعليم نوعي ١٢٢

الفصل السادس: الوقف ينمي العمران ويحافظ على البيئة ١٢٥

المبحث الأول: الوقف ينظم المجال العمراني ١٢٧

المبحث الثاني: الوقف يتولى أمر مياه الأحباس إداريًّا وتقنيًّا ١٢٨

المبحث الثالث: الوقف يكافح التصحر ويوسع المجال الأخضر ١٢٩

المبحث الرابع: الوقف يحمي الكائنات كلها ١٣١

الفصل السابع: استعادة فاعلية الوقف تقوم على إصلاح العوامل التي تحول دون تحققها ١٣٣

المبحث الأول: ضرورة التخطيط الاستراتيجي في شؤون الوقف ١٣٥

المبحث الثاني: مأسسة الوقف برؤية حديثة ١٣٦

المطلب الأول: الإدارة التنفيذية المؤهلة ١٣٦

المطلب الثاني: اعتماد الموارد البشرية المؤهلة ١٣٨

المطلب الثالث: استثمار التكنولوجيا والاقتصاد المعرفي ١٣٨

المطلب الرابع: إنشاء مجالس النظارة الجماعية ١٣٩

المطلب الخامس: المراجعة والمحاسبة والتقويم ١٤٠

المبحث الثالث: التنسيق بين المؤسسات الوقفية ١٤٠

خاتمة البحث ١٤٢

قائمة المصادر والمراجع ١٤٤

قائمة الكتب والدراسات الصادرة عن الأمانة العامة للأوقاف في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي ١٥٠

Book 01 Final B.indd 8 2/12/2019 11:22:46 PM

تصدير

تعمل الأمانة العامة للأوقاف على إنجاز مشروع «مداد الوقف» المندرج بدوره ضمن مشروعات «الدولة المنسقة لجهود الدول الإسلامية في مجال الوقف» على مستوى العالم الإسلامي، حيث تم اختيار دولة الكويت لتكون «الدولة المنسقة»، بموجب قرار المؤتمر السادس لوزراء أوقاف الدول الإسلامية المنعقد بالعاصمة الاندونيسية «جاكرتا» في أكتوبر سنة ١٩٩٧م.

وهذه المشروعات هي:

١. مشروع «مداد» لنشر وتوزيع وترجمة الكتب والأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية في مجال الوقف.

٢. مشروع دعم طلبة الدراسات العليا في مجال الوقف.

٣. مشروع مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف.

٤. مشروع «مجلة أوقاف».

٥. مشروع منتدى قضايا الوقف الفقهية.

٦. مشروع مدونة أحكام الوقف الفقهية.

٧. مشروع «نماء» لتنمية المؤسسات الوقفية.

٨. مشروع «قطاف» لنقل وتبادل التجارب الوقفية.

٩. مشروع القانون الاسترشادي للوقف.

١٠. مشروع بنك المعلومات الوقفية.

١١. مشروع كشافات أدبيات الأوقاف.

١٢. مشروع مكنز علوم الوقف.

١٣. مشروع قاموس مصطلحات الوقف.

١٤. مشروع معجم تراجم أعلام الوقف.

١٥. مشروع أطلس الأوقاف في العالم الإسلامي.

١٦. مشروع مسابقة الكويت الدولية لتأليف قصص الأطفال.

وتقوم «الأمانة العامة للأوقاف» بدولة الكويت بالتنسيق في تنفيذ العديد من هذه المشروعات مع كلٍّ من المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمعهد الإسلامي للبحوث

Book 01 Final B.indd 9 2/12/2019 11:22:46 PM

والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية.

وتجري «مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف» تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد «الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح» حفظه الله. وتهدف بصفة أساسية إلى الإسهام في تطوير الأبحاث والدراسات في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي، كما أنها تسهم في تشجيع الباحثين والدارسين على الخوض في مسائل الأوقاف ومشكلاتها المختلفة بغرض إيجاد حلول ملائمة، والسعي لتعميم الفائدة المرجوة منها.

وتندرج «سلسلة الأبحاث الفائزة بمسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف» ضمن مشروع «مداد» لنشر وتوزيع وترجمة الكتب والأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية في مجال الوقف الهادف إلى بث الوعي الوقفي في مختلف أرجاء المجتمع.

وتهدف هذه السلسلة إلى نشر الكتب في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي، لتعريف عموم القراء بالمسائل المتعلقة بقضايا الوقف والعمل الخيري التطوعي، وتشجيع البحث العلمي الجاد والمتميز في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي، والسعي لتعميم الفائدة المرجوة.

ويسر الأمانة العامة للأوقاف، أن تقوم بنشر هذه السلسلة، وأن تضعها بين أيدي الباحثين والمهتمين والمعنيين بشؤون الوقف والعمل الخيري، أفرادًا ومؤسسات وهيئات.

وننوه إلى أنه تم تحكيم هذا البحث الفائز مرة أخرى، حيث عرض على التحكيم العلمي بغرض النشر، وفق اللوائح المعمول بها في الأمانة العامة للأوقاف، وقد تمت إجازته للنشر بعد قيام الباحث بالتعديلات المطلوبة، وتحريره علميًّا.

يعالج هذا الكتاب أحد الموضوعات المهمة ذات الصلة باستشراف مستقبل المؤسسة الوقفية، بما يضمن لها الدوام والاستقلالية، وبما يحقق الأسس الاجتماعية للوقف الإسلامي، من خلال معالجته لتحديات الحياة في المجالات المختلفة، مع رصد العوامل التي تحول دون أداء الوقف أدوارَه على الوجه المطلوب، واستشراف دوره المستقبلي في إصلاح أحوال الأمة، وإبداع الحلول للمشكلات التي تواجهنا في العصر الراهن.

وقد حاز أصل هذا الكتاب على الجائزة الأولى للموضوع الأول حول «الوظيفة الاجتماعية للوقف الإسلامي في حل المشكلات الراهنة» في الدورة التاسعة للمسابقة (١٤٣٥-١٤٣٦ هـ/٢٠١٤-٢٠١٥م).

سائلين المولى عز وجل أن يبارك في هذا العمل، ويجعل فيه النفع الجليل والفائدة العميمة.

الأمانة العامة للأوقاف

Book 01 Final B.indd 10 2/12/2019 11:22:46 PM

مقدمة البحث

مما يميز الأمة في الاستشراف المستقبلي تفكيرُها في الآليات التمويلية المستقلة الدائمة، وهي الآليات التي يرد على رأسها نظام الوقف الإسلامي الذي تعد موارده أكثر الموارد دوامًا واستقلالاً؛ توجيهًا وتنظيمًا وتنزيلاً؛ حيث إنه لا يرتبط بميزانيات ثلاثية أو خماسية أو غيرها، ولا يُسلِم رقبته لتوزيع حصص مالية لينال منها نصيبًا كما يناله غيره من مؤسسات الدولة؛ فإذا كان العامُ مُجدِبًا قَلَصَت فيه مصادر الموارد فلَم تَحفِل بشيء ولم يكن منها واحدٌ مدرارًا، نالَه من الأزمة نَصيب وتقلَّصَت خدماتُه.

فالوقف الإسلامي موارده ثابتة، لا تعرف نضوبًا ولا تراجعًا؛ فما دخل مجال الوقف من الأموال دخولاً شرعيًّا على التأبيد لا يمكن رجوعه.

وهو من جانب آخر، لا يستهدف من ذاته إلا خدمة الآخرين ورفع العنت عنهم وإزاحة مشقات الحياة من طريقهم، بتنزيل مفاهيم الأخوة والتعاون والتكافل وترجمتها إلى واقع معيش وممارسة حية؛ فهو لا يروم أرباحًا دنيوية، وإنما يوجه ذاته إلى التيسير على المسلمين وانتظار قطف ثمرات ذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

ولذلك، فإن الوقف الإسلامي يبدي قدرة ظاهرة على معالجة كل المشكلات التي نتجت بما كسبته أيدي الناس؛ فقد أظهر طاقته بخصوصها قديمًا، فعالج كل ما طرح منها بين يديه؛ سواء أكان اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا أم تعليميًّا، أم عمرانيًّا، أم بيئيًّا، فأسهم في تنمية المجتمعات المسلمة فيما سلف من الحقب تنمية متوازنة تقوم على الجناحين؛ المادي والروحي. وهو اليوم مازال يحتفظ بطاقاته الكامنة في مواجهة ما هو راهن من هذه المشكلات؛ فرغم تعقد ظروف الحياة المعاصرة، ورغم أنه ليس مسؤولاً عن مخاطرها؛ باعتبارها ناتجة عن رؤى تخالف الرؤية التي يصدر عنها، عائدة إلى منطلقات ليس بينه وبينها آصرة قربى ولو كانت قيد أنملة، فإنه يجتهد في حل المشكلات التي يعيشها الناس.

وقد اعتمدت في معالجة هذا الموضوع خطة قامت على عناصر أساسية تتضمن غيرها، نوردها على الصورة الآتية:

تمهيد: حددنا فيه المفاهيم الأساسية التي يدور حولها البحث متمثلة في الوظيفة الاجتماعية، والوقف الإسلامي الذي طفنا بمرجعياته الشرعية وخلفياته التنظيمية، والمشكلات الراهنة.

وباب أول: جاء في فصلين إثنين، اهتم أولهما بالأسس الاجتماعية للوقف الإسلامي، واهتم ثانيهما بدواعي اللجوء إلى الوقف في الحياة الإسلامية.

وباب ثان: عالج اهتمام الوقف الإسلامي بمواجهة تحديات الحياة، وقد تمثل في سبعة فصول اهتمت بمواجهة الوقف الإسلامي للمشكلات التي تحيط بالمجال الديني، والاجتماعي، والصحي،

Book 01 Final B.indd 11 2/12/2019 11:22:46 PM

والاقتصادي، والتعليمي، والعمراني والبيئي. كما رصدت فيه العوامل التي تحول دون أداء الوقف أدوارَه على الوجه المطلوب، واستشرفت المستقبل الذي يستعيد فيه الوقفُ عافيتَه بإصلاحها.

ثم كان مسك الختام بخاتمة؛ أودعنا فيها مجمل النتائج التي جاد بها البحث والتوصيات التي استشرفنا بها الغد المشرق، الذي سيكون للوقف الإسلامي إذا ما اهتمت الرؤية الخاصة بتسييره وتدبيره بإصلاح حاله وإزاحة ما يعرقل مساره.

ولقد اعتمدت منهجًا في بناء هذا البحث ومعالجته، فرصفت معالمه رصفًا، واستثمرتها استثمارًا، ملتزمًا فيه شروط البحث والاستدلال، متتبعًا فيه الكيفية التي تدخَّل بها الوقف الإسلامي في إبداع الحلول للمشكلات التي تواجهنا في العصر الراهن.

وهذه المعالم هي ما نورده في الآتي:

– الاستقراء الذي كان مركبًا، وتجوَّلتُ به في مسارب نتاجات قرائح علماء المسلمين؛ فقهًا، وتفسيرًا، وحديثًا، وكتب تخريج، ومعاجم، وتاريخًا، ورحلات، ومواقع إلكترونية محددة. وإذا فاتني من آراء الباحثين شيء فذلك طبع ابن آدم المعبر عن الضعف الأصيل فيه.

– الاستشهاد الذي وظفته توظيفًا واضحًا في دعم أفكار البحث، مستهدفًا بذلك تقوية القول ودعم ركائزه وأعمدته، فطالما كانت كثرة شهود الحق قوة وسلطانًا.

– التوثيق الذي اجتهدت فيه في إحالة المقول على مظانه وربطه بصاحبه؛ فالقول أمانة مراقبة من لدن رقيب عتيد، ما تَلبث أن تُجبر صاحبَها على أن يُسأل عنها. ولذلك كنت تراني ما أضربت عن تفاصيل التوثيق، وما أعرضت عن متمِّمات النسبة بين القول وصاحبه.

وأما صعوباتُ الدراسة فإنها ليست خفية على الدارسين؛ فقد قالوا: إنه لا يعرف الهمَّ إلا من يكابده. ولذلك فإن عرضها بين أيدي الناس إنما هو تحصيل حاصل، فضلاً عن رغبتِي في احتسابها عند الله تعالى؛ جهدًا وسَهرًا ونفقات، راجيًا منه العون والسداد.

وأتوجه بالشكر الجزيل، بعد هذا كله، إلى المختصين الأجلاء القائمين على مسابقة الكويت لأبحاث الوقف، الذين ما برحوا يبذلون الجهود تلو الجهود من أجل أن يدلوا أبناء العرب والمسلمين على سبل التميز. ولا أدل على ذلك من هذا الموضوع الذي يستهدف بيان الوظيفة الاجتماعية للوقف الإسلامي في حل المشكلات الراهنة، وهو ما عقدنا العزم على الاستجابة للدعوة إلى الخوض فيه بما ينفع الناس.

Book 01 Final B.indd 12 2/12/2019 11:22:46 PM

المدخل التمهيدي
تحديد المفاهيم مدار البحث

Book 01 Final B.indd 13 2/12/2019 11:22:46 PM



المبحث الأول
الوظيفة الاجتماعية

ترجع دلالة الوظيفة في اللغة إلى معاني الاتباع، والاطراد، والإلزام، وما يقدم في كل يوم من أرزاق. وهي كلها عائدة إلى معنى واحد هو الاطراد.

فهي تعني: ما يقدم في كل يوم من أرزاق؛ حيث ورد في معاجم اللغة أن «الوَظائِف جمع الوَظيفة. والوَظيفةُ في كل شيء: ما يقدم كلَّ يوم من رزق أو طعام أو عَلَف أو شراب»[١].

وهي تعني أيضًا: الاتباع؛ حيث يقال: «وَظَفَ فلانٌ فلانًا يَظِفُهُ وَظْفاً إذا تَبِعَه»[٢].

وتعني: الاطراد والإلزام؛ حيث إن ««وظَف» الشيء وظفًا طرَّده، والشيء على نفسه جعله لوقت و «وظَّفه» كذلك»[٣]. ومن ثم، فإنه يقال: «وعليه كُلَّ يَوْم وَظِيفَةٌ من عَمَل»[٤]، فيصير أمر الوظيفة منصرفًا إلى معنى الإلزام؛ حيث إن «وَظَفَ الشيءَ عَلَى نَفْسِه، ووَظَّفَه تَوْظِيفاً: أَلزمها إيَّاهُ»[٥].

وهي تعني في الاصطلاح: «العمل الخاص الذي يقوم به الشيء، أو الفرد، في مجموعة مرتبطة الأجزاء، ومتضامنة»[٦].

ولذلك، فإنها لا ترمي إلى إفهام الناس أن صاحب الوظيفة يكون مستقلاً بالمضمار، يعمل فيه كما يشاء، ويؤدي فيه دوره كما يريد، ولكنه يسهم بجهده إلى جهود أطراف أخرى من أجل الوصول إلى بغية محددة.

فإذا وصفت بكونها اجتماعية، فإن دلالتها تصير ذات وشائج بما تقتضيه العلاقات الاجتماعية، فلا تبتعد بذلك عن «مجموع الصفات التي يتميز بها الشيء الاجتماعي»[٧]. وهي الحال التي تمكنها من القدرة على الارتباط بكل العناصر الاجتماعية، التي يكون لها قدر واقع أو محتمل من الإسهام في خدمة المجتمع وتنميته.

ومن ثم، فإن الوظيفة الاجتماعية لا تكون غريبة الملامح حين ترتبط بالوقف الإسلامي، الذي جعل من أهدافه – منذ بداياته الأولى – خدمة المجتمع وبناءه والإسهام في حل مشكلاته المعيشة والمفترضة، فلم يقصر أمره على فئة بعينها، ولم يضع حدودًا لمساحة التطوع فيه، فأسس خلفياته في ذلك على التصور الإسلامي «للملكية، وللوظيفة الاجتماعية للمال»[٨].

---

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة «وظف»، ١٦٩/٨.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري، مادة «وظف»، ٢٨٤/١٤.

(٣) كتاب الأفعال، ابن القَطَّاع الصقلي، مادة «وظف»، ٣٢٧/٣.

(٤) تاج العروس، مادة «وظف»، ٤٦٤/٢٤.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة «وظف»، ٣٥٨/٩.

(٦) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٥٨١/٢.

(٧) المرجع السابق، ٣٩/١.

(٨) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، محمد عبيد الكبيسي، ١٣٥/١.

Book 01 Final B.indd 15 2/12/2019 11:22:47 PM

المبحث الثاني
الوقف الإسلامي: المرجعيات الشرعية والخلفيات التنظيمية

المطلب الأول: مفهوم الوقف الإسلامي

ترجع دلالة الوقف في اللغة إلى معاني الحبس والقيام والتأني والسكوت والتثبت والإصلاح والإحجام والتبيين والإطلاع. وهي كلها عائدة إلى معنى واحد هو الحبس.

قال الجوهري في الصحاح: «وَقَفْتُهُ على ذنْبه، أي أطلعته عليه. ووَقَفْتُ الدار للمساكين وَقْفاً (...) وكل شئ تمسك عنه تقول أوقفت (...) والتوقف في الشئ، كالتلوم فيه»[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور: «وَقَفَ الأَرض (...) وَقْفاً: حبسَها (...) وَرَجُلٌ وَقَّاف: مُتَأَنٍّ غَيْرُ عَجِل (...) والوَقَّاف: المحْجِم عَنِ الْقِتَالِ»[2].

وقال الزبيدي في تاج العروس: «وَقَفَ بالمكانِ وَقْفاً، ووُقُوفاً فَهُوَ واقِفٌ: دامَ قائماً(...) وأَوْقَفَ: سكَتَ (...) (و) التَّوَقُّفُ عَلَيْه هُوَ التَّثَبُّتُ (...) وواقَفْتُه على كَذَا (...) واسْتَوْقَفْتُه: سَأَلْتُه الوُقُوفَ (...) (و) وَقَفْتُ على مَا عِنْدَ فُلان: تُرِيدُ قد فَهِمْتُه وتَبَيَّنْتُه»[3].

فإذا وُصف الوقف بكونه إسلاميًّا، فإنه يستدعي حينئذ الحديث عن الأوضاع التي لم تكن إسلامية. ولذلك، فإن الفقهاء لم يغفلوا تتبع حضوره أو غيابه في المراحل الجاهلية التي عاشها العرب وغيرهم قبل بعثة النبي محمد ﷺ؛ فمنهم من رأى أن الوقف بشروطه وأحكامه وخلفياته الشرعية والواقعية، لم يكن في يوم من الأيام متحققًا قبل أن يدين العرب بالإسلام.

ومن ذلك ما نسب إلى الإمام الشافعي من قول بهذا الشأن؛ فقد ورد في فتح الباري لابن حجر العسقلاني أنه أشار إلى أن «الْوَقْفَ مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ أَيْ وَقْفَ الْأَرَاضِي وَالْعَقَارِ. قَالَ وَلَا نَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»[4].

إلا أن بعض فقهاء المذهب لما عرضوا هذا القول على ما هو وارد في مظان عائدة إلى حقول معرفية أخرى وجدوا أن أصحاب الملل السابقة قد دأبوا على وقف الأموال والعقار؛ فالروم تزعم «أن بلاد مقدونية جميعًا وقف على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية»[5]، ووجدوا أن المؤرخين يذكرون أن مدينة «سومان» من بلاد الهند كان بها صنم «لَهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مادة «وقف»، ٤/١٤٤٠-١٤٤١.

(٢) لسان العرب، مادة «وقف»، ٩/٣٥٩-٣٦١.

(٣) تاج العروس، مادة «وقف»، ٢٤/٤٦٧-٤٧٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٥/٤٠٣.

(٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، ١/٤٢. ويشير المقريزي، رافعا للبس، إلى أنهم «يسمون بلاد مقدونية الأوصفية وهي عندهم الإسكندرية، وما يضاف إليها. وهي مصر كلها بأسرها إلا الصعيد الأعلى».

Book 01 Final B.indd 16 2/12/2019 11:22:47 PM

قَرْيَةٍ يُصْرَفُ رِيعُهَا عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ الْبَرْهَمِيِّينَ يَعْبُدُونَهُ»[1]، فقد انصرفوا إلى قول الإمام الشافعي بغية توجيهه توجيهًا لا ينفي وجود الوقف قبل بعثة النبي ﷺ [2]، ولا يجعل المسلمين مخصوصين به إلا بشروط.

ومن تجليات هذا التوجيه، أن يقول الفقيه سليمان البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى سنة ١٢٢١هـ): «فَمُرَادُ إمَامِنَا- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ الْوَقْفَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ. وَمِنْ هَذَا التَّقْدِيرِ اسْتَبَانَ أَنَّ الْوَقْفَ لَيْسَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِنَا»[3].

ومن ثم، يتبين أن الوقف حين يوصف بكونه إسلاميًّا، فإنه يقتضي الانطلاق من خلفية شرعية تضبط حكمه وتجعله موافقًا لما هو وارد في الشرع؛ ذلك لأن الأوقاف الأخرى، وإن كانت قد وجدت، فإنها لا تتخذ الإسلام منطلقًا، ولا تستهدف جعل الوقف عَلَى وَجْهِ التَّبَرُّرِ، وإنما تستهدفه عَلَى وَجْهِ التَّفَاخُرِ[4].

وأما معناه في الاصطلاح، فإنه قد تعددت تحديداته، بتعدد المذاهب الفقهية. وأساس هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف مذاهب الفقهاء «في الوقف من حيث لزومه وعدم لزومه، واشتراط القربة فيه، والجهة المالكة للعين بعد وقفها. أضف إلى ذلك اختلافهم في كيفية إنشائه- هل هو عقد أم إسقاط؟»[5].

ولذلك، فقد حدده المالكية بكونه «حَبْسَ عَيْنٍ لِمَنْ يَسْتَوْفِي مَنَافِعَهَا عَلَى التَّأْبِيدِ»[6].

وعرفه الأحناف بقولهم: إن الوقف «عِبَارَةٌ عَنْ حَبْسِ الْعَيْنِ عَلَى حُكْمِ مِلْكِ الْوَاقِفِ وَالتَّصَدُّقِ بِالْمَنْفَعَةِ»[7].

وقال عنه أصحاب الإمام أحمد: إنه «تَحْبِيسُ الْأَصْلِ، وَتَسْبِيلُ الثَّمَرَةِ»[8].

وخصه أصحاب المذهب الشافعي بقولهم: الوقف هو «حَبْسُ مَالٍ يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان البُجَيْرَمِيّ، ٢٤٢/٣.

(٢) إن هذا الرأي هو ما انتهى إليه بحث المحققين من العلماء؛ فقد أشار محمد أبو زهرة بخصوصه بقوله: «ولذلك، لا مناص لنا من أن نقرر أن الوقف كان موجودًا بمعناه قبل الإسلام، كما أن كلًّا من البيع والإجارة والنكاح وغيرها من العقود كان موجودًا بمعناه قبل الإسلام، وأقرها الإسلام، ووضع لها نظما تمنع الغش والغبن، وتجعلها في دائرة الحق والعدل». انُظر: محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ٧.

(٣) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٢٤٢/٣.

(٤) بلغة السالك لأقرب المسالك، الصاوي، ٩٧/٤

(٥) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، محمد عبيد الكبيسي، ٥٨/١.

(٦) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الرُّعيني، ١٨/٦.

(٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، ٢٠٨/٥.

(٨) المغني، ابن قدامة المقدسي، ٣/٦.

Book 01 Final B.indd 17 2/12/2019 11:22:47 PM

بِقَطْعِ التَّصَرُّفِ فِي رَقَبَتِهِ عَلَى مَصْرِفٍ مُبَاحٍ»[1].

وقد تتبع بعض الباحثين التحديدات التي وضعها الفقهاء للوقف، واستخلص منها ما اعتبره أجمع تعريف، فقال: «أجمع تعريف لمعاني الوقف للذين أجازوه أنه حبس العين، وتسبيل ثمرتها، أو حبس عين والتصدق بمنفعتها(...) فلا يُتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة ولا تنتقل بالميراث، والمنفعة تصرف لجهات الوقف على مقتضى شروط الواقفين»[2].

المطلب الثاني: مشروعية الوقف

إن المتتبع لمشروعية الوقف ليجدها مشهودًا لها بالصحة في جل مصادر التشريع؛ فهي واردة في دعوة القرآن الكريم إلى التكافل والتعاون وبذل المعروف، وظاهرة فيما دعت إليه السنة النبوية؛ القولية والفعلية، من حث على إسداء الخير للمحتاجين، سواء أكانوا أقارب أم أباعد، ومشهود لها فيما تحقق بشأنه إجماع الأمة، فلوحظ أن الذين وقفوا أموالهم؛ ديارًا وعقارًا، لا يكادون يحصون.

وإذا أحببنا أن نقف على مرجعيات مشروعية الوقف في صورتها المفصلة، فإننا نجدها قائمة على الترتيب الآتي:

أ- مشروعية الوقف الإسلامي من القرآن الكريم

اعتمد القرآن الكريم أساليب مختلفة في دعوته إلى فعل الخير والبذل والعطاء؛ أمرًا، وحثًّا، وتحضيضًا، وترغيبًا، وترهيبًا، مستهدفًا بها توجيه النفوس وتحريك دواخلها، داعيا إياها لعرض مشاهد الاحتياج البشري، ودالا على أن الحياة الإنسانية لا تستقيم بالاقتصار على الجهود الفردية، وإنما تكون في وضعها السوي، حينما تسهم أيادي الخير بقسط مما أفاء الله به عليها في معالجة أوضاعها وإقامة أوَدها.

وإذا كانت أهدافُ هذا التوجيه المعتمد لهذه الأساليب الفاعلة في نفوس المؤمنين فعلَها، متعددةً ومختلفة، فإنها جميعًا تصبُّ في مصب واحد من أجل الوصول إلى هدف واحد، يتمثل في تفضّل الله – تعالى – «عليهم بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم»[3].

فقد قال رب العزة سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[4]، فبين أن الفوز بالبر لن يتحقق في صورته المرجوة الكاملة إلا بعد أن يتحقق الإنفاق مما يكون قد استقر في النفس استقرارًا طيبًا، وأن نيل المؤمنين الجنة لن يكون حتى يتصدقوا مما

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زين الدين أبو يحيى السنيكي، ٤٥٧/٢.

(٢) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٤٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٥٨٧/٦.

(٤) سورة آل عمران: آية ٩٢.

Book 01 Final B.indd 18 2/12/2019 11:22:48 PM

يحبون ويهوَوْن أن يكون لهم، من نفيس أموالهم[١].

وإلى جانب هذا الأسلوب، فقد اعتمد القرآن الكريم أسلوب الندب إلى القرض، فـ«نَدَبَ إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[٢]، فقال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٣]؛ حيث اعتبر الإنفاق، ها هنا، قرضًا ينتظر منه أن يحقق مراد الفوز بالجنة، فينفق المرء نفقته وينتظر الفوز بأضعاف لها، لأن القرض لا يسمى كذلك إلا لأنه «أُخْرِجَ لِاسْتِرْدَادِ الْبَدَلِ»[٤].

وكما اعتمد القرآن الكريم الندب فقد اعتمد ضرب الأمثال طريقًا، فقال – سبحانه وتعالى –: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥]؛ فالمثل في كثير من الأحيان يتخذ مدخلاً تربويًّا فعالاً، تتقوم به النفوس المعوجة، وتصلح به التصرفات المنحرفة، ويتخذ الآخر قدوة وأسوة ومثالاً.

وإذا كانت هذه الأساليب المعتمدة من لدن القرآن الكريم تركب مراكب الإيجاب؛ فتأمر وتحث وتثير العزائم نحو فعل الخير وركوب وسائله، فإن القرآن الكريم اعتمد منها ما يركب مراكب السلب أيضًا؛ فاعتمد النهي والتوبيخ، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٦].

فالقرآن الكريم في هذا السياق، يتوجه إلى الجماعة المسلمة بنهيه الصريح وعرضه أحوال المنفق بين الأخذ والعطاء، فيدل على أن العطايا– كما يشير سيد قطب– تكون «بأفضل الموجود، فلا تكون بالدون والرديء الذي يعافه صاحبه. ولو قدم إليه مثلُه في صفقة ما قبله إلا أن ينقص من قيمته»[٧]. ولذلك، فإنه يتوجب عليه، حين عطائه، أن يتخير من ماله أجوده وأحسنه؛ «فالله أغنى عن تقبل الرديء الخبيث»[٨].

فإذا كانت هذه هي الرؤية الإسلامية الصادرة عن القرآن الكريم فيما يتعلق بالإنفاق والبذل والجود، فإن الوقف، إنما هو جزء من ذلك وحالة من أحوال الإنفاق بمفهومه العام. ولذلك، فإن القرآن الكريم يمثل مرجعية أساسية من مرجعيات الوقف المختلفة.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٥٨٧/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٤٢/١٧.

(٣) سورة الحديد: آية ١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٤٢/١٧.

(٥) سورة البقرة: آية ٢٦١.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٦٧.

(٧) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت– القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، ٣١٠/١.

(٨) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 19 2/12/2019 11:22:48 PM

ب- مشروعية الوقف الإسلامي من السنة

إذا طفنا بجنبات السنة النبوية، وجدناها مشتملة على ما يتطلبه الوقف في جل أحواله. ونعتزم صرف ما نفضل الوقوف عليه منه في هذه الفقرة إلى الاهتمام بالمادة العملية التي صار الوقف فيها مستقرًّا في مستويات التطبيق، التي تجلت من خلال صدقات رسول الله ﷺ، وتوضح أمرها في الصدقات الجارية التي طمح صحابته الكرام إلى الفوز بها.

إن الركن الركين المعتبر منطلقًا نظريًّا للوقف في سنة رسول الله ﷺ، والذي يرد فيه الوقف باعتباره رافدًا من روافد الأجور بعد انقطاع الأعمال وانقضاء الأيام والآمال، هو ما يتحدد فيما يرويه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ؛ حيث قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

فالصدقة الجارية التي ذكر العلماء أن المقصود بها الوقف، تعد أحد الروافد الثلاثة التي تستمر فيها أجور ابن آدم خلال حياته وبعد مماته، ولذلك، فإنه لما علم أن شأن الوقف كذلك، فإن الهمم انصرفت إليه انصرافًا، وشدت العزائم إليه شدًّا، بغية الفوز بهذا الأجر العظيم.

وبالنظر إلى أهمية الوقف وفضله، فإن أسوتنا محمدًا - ﷺ - وهو من غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- انصرف إليه بهمة عالية، حتى إنه لم يترك بعد موته شيئًا يورث؛ فقد قال عَمْرو بْنُ الحَارِثِ خَتَنُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَخو جُوَيْرِيَةَ بِنْت الحَارِث: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلاَ دِينَارًا وَلاَ عَبْدًا وَلاَ أَمَةً وَلاَ شَيْئًا، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ، وَسِلاَحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً»[2].

ولا غرابة في هذا الأمر؛ فقد كانت حياة رسول الله - ﷺ - مليئة بالصدقات الجارية. ومن ذلك الحوائط التي أوصى بها مخيريق يوم أحد لرسول الله ﷺ، فجعلها صدقة كلها؛ فقد روى عبد اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أن مُخَيْرِيقَ قال يَوْمَ أُحُدٍ: «إِنْ أُصِبْتُ فَأَمْوَالِي لِمُحَمَّدٍ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ، فَهِيَ عَامَّةُ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[3].

إن التأسي لا يكون إلا تطبيقًا وممارسة. ولذلك، فإننا نرى جمًّا غفيرًا من الصحابة ممن منَّ الله - تعالى - عليهم برزقه وعطائه، يسلكون طريق رسول الله ﷺ، فيضعون أوقافهم بين يديه ليجعلها حيث أراه الله تعالى.

ويرد على رأس ذلك كله وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي جاء يستشير النبي - ﷺ - في شأن

(١) رواه مسلم في كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: ١٦٣١، ١٢٥٥/٣، وأبو داود في الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم: ٢٨٨٠، ١١٧/٣، والترمذي في الأحكام، باب في الوقف، رقم: ١٣٧٦، ٦٥٢/٣، والنسائي في الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت، رقم: ٣٦٥١، ٢٥١/٦، وابن ماجة في كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب ثَوَاب مُعَلِّم النَّاس الْخَيْرَ، رقم: ٢٤٢، ٨٨/١، وأحمد، ٤٣٨/١٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: «وصية الرجل مكتوبة عنده»، رقم: ٢٧٣٩، ٢/٤، والنسائي في كتاب الأحباس، رقم: ٣٥٩٤، ٢٢٩/٦، وأحمد، ٤٠١/٣٠.

(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة، ١٧٥/١.

Book 01 Final B.indd 20 2/12/2019 11:22:48 PM

أرض أصابها بخيبر؛ فقد روى عبد الله بن عمر «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا، قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ»[1].

ويعد هذا الحديث أصلاً من أصول الوقف التي يرجع إليها العلماء من أجل استخلاص كثير مما يتعلق به[2]؛ مشروعيةً، وتنظيمًا، وتسييرًا وتدبيرًا. والواقع، أن الصحابة- رضوان الله عليهم- سلكوا هذا المسار فشاع بينهم الوقف والصدقة الجارية شيوعًا لافتًا، فيظهر في مراحل حياة أحدهم ظهورًا واضحًا جليًا.

ومن ذلك، أن نقف مع الصحابي الجليل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حين حاصره من تسوروا عليه داره، فخاطبهم بقوله: «أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النبي ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ»[3].

وكذلك الشأن بالنسبة لما نجده عند الصحابي الجليل أبي طلحة، الذي يروي أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، قَالَ:- وَكَانَتْ حَدِيقَةً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَدْخُلُهَا، وَيَسْتَظِلُّ بِهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا- فَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، أَرْجُو بِرَّهُ وَذُخْرَهُ، فَضَعْهَا، أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ يَا أَبَا طَلْحَةَ

(١) - رواه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، رقم: ٢٧٣٧، ٣/١٩٨، ومسلم في كتاب الهبات، باب الوقف، رقم: ١٦٣٢، ٣/١٢٥٥، وأبو داود في كتاب الْوَصَايَا، باب مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُوقِفُ الْوَقْفَ، رقم: ٢٨٧٨، ٣/١١٦، والترمذي في الْأَحْكَام عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ، باب في الوَقْف، رقم: ١٣٧٥، ٣/٦٥١، والنسائي في كتاب الْأَحْبَاس، باب الْأَحْبَاس، كَيْفَ يُكْتَبُ الْحَبْسُ، وَذِكْرُ الاخْتِلَافِ عَلَى ابْنِ عَوْنٍ فِي خَبَرِ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ، رقم: ٣٥٩٧، ٦/٢٣٠، وابن ماجة في كتاب الصَّدَقَات، باب مَنْ وَقَفَ، رقم: ٢٣٩٦، ٢/٨٠١، وأحمد، ٨/٢١٧.

(٢) انظر: محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٩- ١٠؛ حيث يذكر المؤلف أن هذا الحديث يمثل ثالث ثلاثة أصول يقوم عليها الوقف في الفقه الإسلامي، إلى جانب قول النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله...» الحديث، كما يذكر أن الصحابة جميعا قد وقفوا.

(٣) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم: ٢٧٧٨، ١٣/٤. ويقول الشيخ مصطفى البغا في شرحه لهذا الحديث: إن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «اشترى بئر رومة ووسعها وبنى حول فمها فنسب حفرها إليه. وهذه البئر كانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين؛ كل قربة بدرهم فاشتراها عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ووقفها للمسلمين، على أن له أن يشرب منها كما يشربون». وأما جيش العسرة فهو «جيش غزوة تبوك. وسمي جيش العسرة لأنها كانت زمن عسر ومشقة». انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر= صحيح البخاري، ١٣/٤، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب المساجد، باب نبش القبور واتخاذ أرضها مسجدًا، رقم: ٧٨٣، ١/٣٨٩.

(٤) سورة آل عمران: آية ٩٢.

Book 01 Final B.indd 21 2/12/2019 11:22:48 PM

ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فَاجْعَلْهُ فِي الأَقْرَبِينَ»، فَتَصَدَّقَ بِهِ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى ذَوِي رَحِمِهِ»[1].

وغير بعيد عن هذا، نجد سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه، فيما يرويه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه «تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا»[2].

فالصدقة التي تقدم بها سعد – رضي الله عنه – صدقة يدوم عائد غلتها، وبه يدوم أجرها على الجهة التي وقفت عليها؛ فهي بذلك صدقة جارية تعد وقفًا إسلاميًّا.

ومن كل المشاهد السابقة يتبين أن فكرة الصدقة الجارية كانت مبتغى الصحابة، رغم أنها لم تكن قد خضعت لتشريع ينظم أمرها.

ج- مشروعية الوقف من الإجماع

يعد الإجماع ثالث المصادر التي يقوم عليها الوقف؛ فبعد تبيُّن مشروعيته من القرآن والسنة، يأتي الإجماع ليزيد الأمر بيانًا ووضوحًا، ويطبعه بطابع التطبيق والتنزيل؛ فقد اشتهر إنفاق الصحابة واقتداء خلفهم فيه، حتى قال النووي في شرحه لحديث وقف عمر رضي الله عنه: «وفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ أَصْلِ الْوَقْفِ وَأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِشَوَائِبِ الْجَاهِلِيَّةِ»[3]، بل إنه عبر عن مذهبه المنسجم مع توجه المسلمين جميعهم، فقال: «وَهَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجَمَاهِيرِ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صِحَّةِ وَقْفِ الْمَسَاجِدِ وَالسِّقَايَاتِ»[4].

وإذا كان قد تقرر بالتتبع لسِيَر الصحابة أنهم «جميعًا قد وقفوا»[5]، وأكد التاريخ– كما يذكر ابن

(١) رواه البخاري في الوصايا، باب من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه، رقم: ٢٧٥٨، ٨/٤، ومسلم في الكسوف، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم: ٩٩٨، ٦٩٣/٢، والترمذي في تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، رقم: ٢٩٩٧، ٢٢٤/٥، والنسائي في كتاب الأَحْبَاسِ، باب الأَحْبَاسِ كَيْفَ يُكْتَبُ الْحَبْسُ، وَذِكْرُ الاِخْتِلاَفِ عَلَى ابْنِ عَوْنٍ فِي خَبَرِ ابْنِ عُمَرَ فيه، رقم: ٣٦٠٢، ٢٣١/٦، وأحمد، ٤٢٦/١٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب إذا قال أرضي أو بستاني صدقة لله عن أمي فهو جائز، وإن لم يبين لمن ذلك، رقم: ٢٧٥٦، ٧/٤، ومسلم في كتاب النَّذْرِ، باب الأَمْرِ بِقَضَاءِ النَّذْرِ، رقم: ١٦٣٨، ١٢٦٠/٣، وأبو داود في كتاب الْوَصَايَا، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ مَاتَ عَنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ يُتَصَدَّقُ عَنْهُ، رقم: ٢٨٨٢، ١١٨/٣، والترمذي في الزَّكَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ عَنِ الْمَيِّتِ، رقم: ٦٦٩، ٤٧/٣، وأحمد، ٢٠١/٥ .ويذكر الشيخ مصطفى البغا في شرحه لهذا الحديث، أن المقصود بالحائط البستان من النخل إذا كان له جدار. والمخراف: اسم لحائطه. والمخراف: الشجرة وقيل ثمرها.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ٨٦/١١.

(٤) المرجع السابق.

(٥) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م، ص ٩– ١٠.

Book 01 Final B.indd 22 2/12/2019 11:22:48 PM

همام- أن «أوقاف الصحابة باقية إلى الآن»[1]، فإن الإجماع يجد مرتعًا خصبًا يقتفي فيه اللاحق أثر السابق. ولذلك، فإن رادَّه- كما أثر عن القرطبي-: «مُخَالِفٌ لِلْإِجْمَاعِ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْه»[2]. ومن ثم، فإن الإجماع يعد مرجعية أساسًا للوقف الإسلامي، إلى جانب مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

المطلب الثالث: أركان الوقف الإسلامي

اختلف الفقهاء في تحديد أركان الوقف، ولكن رأي جمهورهم استقر على ما لخصه الإمام النووي في روضة الطالبين وعمدة المفتين، بكون أركان الوقف أَرْبَعَة، هي: الْوَاقِفُ، والْمَوْقُوفُ، والْمَوْقُوفُ عَلَيْه، والصِّيغَةُ[3].

وسنقف في الفقرات الآتية بحول الله-تعالى- على ما يخص كل ركن من هذه الأركان، حتى تتبين لنا حقيقة الأطراف الداخلة في تشكيل منظومة الوقف كلها، وليكن ما نريده متمثلاً في الصورة الآتية:

أ- الواقف:

هو الذي يتقدم بماله الموقوف على جهة برٍّ مخصوصة أو غير مخصوصة. ولذلك، فإن «الوقف لا يتوقف على إرادة غير الواقف أو إجازته، باتفاق الفقهاء»[4]. ولما كان أمر الوقف كذلك، فإنهم اشترطوا في الواقف إجمالاً، «لأجل صحة وقفه، أن يكون أهلاً للتبرع»[5].

إن أهلية الواقف لأن يقف ما يريد ترتكز إلى ثلاثة شروط، لخصها الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا في قوله: فيجب أن يكون الواقف: عاقلاً، بالغًا، غير محجور لسفه[6].

والحق، إن هذه الشروط لا يكون مردودها متحققًا إلا بتحقق رجاحة عقل الواقف التي تحجبه عن أن يأتي في وقفه ما لا يتفق والطبيعة البشرية؛ فلا البلوغ يجدي، ولا رفع الحجر ينفع. فشرط رجاحة العقل لدى الواقف، يعد أجلَّ الشروط وأعظمَها؛ حيث إن مردوديات الوقف تكون، حين تحققه، خادمة للدين، منسجمة مع الأخلاق، محققة للمراد. وإلا فإن ما تجيش إليه نفس الواقف من وقفه، إذا لم تتدخل رجاحة العقل في رصد احتمالات النتائج والمآلات، فإن ما يصل إليه الوقف

(١) العَرف الشذي، شرح سنن الترمذي، أنور شاه الكشميري، تصحيح الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٣/٩٨.

(٢) نيل الأوطار، الشوكاني، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٩٩٣م، ٦/٢٩.

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٥/٣٤-٣٢٢.

(٤) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٣٧-٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٤-٥٥.

(٦) المرجع السابق، ص ٥٥.

Book 01 Final B.indd 23 2/12/2019 11:22:48 PM

في كثير من الأحيان لن يكون إلا على ما لا يرتضيه الشرع. ولذلك، فقد نص بعض الفقهاء على أن الوقف «يحتاج تفهُّمه والتفقُّه فيه إلى ملَكَة فقهية عامة، ودراسة وقفية خاصة»[١].

فإذا كانت الشروط الموضوعة من لدن الواقف ينبغي أن تستحضر فيها المآلات التي يؤول إليها الوقف بما لا يتعارض مع الشريعة، فإنه من جانب آخر، ينبغي أن تراعى في هذه الشروط حقوق الآخرين؛ فإذا «تعلق بالمال الموقوف حقٌّ للغير حالاً أو مآلاً (...) تقيَّدت عندئذ إرادةُ الواقف بما يَصُون الحقوقَ المتعلقة»[٢].

ب- الموقوف/عين الوقف:

يحدد الفقهاء الموقوفَ/عينَ الوقف بكونه «كُلَّ عَيْنٍ مُعَيَّنَة مَمْلُوكَة مِلْكًا يَقْبَلُ النَّقْلَ يَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ أَوْ مَنْفَعَةٌ تُسْتَأْجَرُ لَهَا»[٣]. ولذلك، فإنه يرتبط بأمرين اثنين، يتمثل أولهما في منع التصرف فيه، ويتحدد ثانيهما في صرف المنفعة إلى الجهات المقصودة بالوقف؛ حيث إن من آثار الوقف «منعَ التصرف في العين الموقوفة بالبيع والهبة والرهن، وصرف المنفعة في الجهات التي عينها الواقف، وعلى مقتضى الشروط التي شرطها»[٤].

ولكي يستقيم أمر الموقوف، فقد اجتهد فقهاء الأمة وعلماؤها في وضع شروط تضبط أمره، وتمكِّن الوقف من أن يكون منسجمًا مع مقتضيات الشرع، فذكروا أنه «يشترط في الموقوف، لأجل صحة الوقف، خمسُ شرائط: أن يكون مالاً متقوَّمًا، ومملوكًا في ذاته، وثابتًا، ومعلومًا، وغيرَ مشاع في خصوص المسجد»[٥].

ج- الموقوف عليه:

يعتبر الموقوف عليه المبتغى من الوقف كله؛ فالعناصر الثلاثة الأخرى، إنما يَستهدف وجودُها توجيهَ الوقف نحو الجهة التي تتحقق منفعتها منه؛ ذلك «لأن الهدف في الوقف إنما هو الموقوف عليه»[٦].

ولقد تميز الوقف الإسلامي في علاقته بالموقوف عليه، بتعدد صوره واختلاف أنواعه؛ فما كان مقصورًا منه في الشرائع الأخرى على المعابد والمناسك، صار في الشرع الإسلامي يتجاوز ذلك كله «إلى جميع أنواع الصدقات»[٧] المؤطَّرة بشروط وضوابط تجعل دوام منفعة الوقف منسجمة مع الشرع الإسلامي ومقتضياته.

(١) المرجع السابق، ص ٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

(٣) روضة الطالبين، النووي، ٣١٦/٥.

(٤) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٥٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٦٤.

(٧) المرجع السابق، ص ٧-٨.

Book 01 Final B.indd 24 2/12/2019 11:22:48 PM

إن هذه الشروط التي تتعلق بالموقوف عليه وَجَد فيها الفقهاء ما يجعل الوقف صحيحًا، وقد لخصها بعضهم في أمرين اثنين، هما[1]:

١- أن يكون قربة في نظر الشرع ونظر الواقف، كالوقف على العلم، وإيواء الأيتام والمتخلى عنهم، وأدوات الجهاد، والصدقات على الفقراء.

٢- وأن يكون دائم الوجود، بالنظر إلى كون الوقف مؤبَّدًا.

ولقد اختلف الفقهاء في وجوب تعيين الموقوف عليه، فقال بعضهم بجواز عدم تعيين جهة مصرفه، واستدل على ذلك بقبول النبي - ﷺ - وقف أبي طلحة؛ حيث قال: «بَخٍ يَا أَبَا طَلْحَةَ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فَاجْعَلْهُ فِي الأَقْرَبِينَ»[2]. وقال آخرون: «لاَ يَجُوزُ حَتَّى يُبَيِّنَ لِمَنْ. وَالأَوَّلُ أَصَحُّ»[3].

كما اختلفوا في تصرف الموقوف عليه في الموقوف، فاستدل الفريق المجيز لذلك ببيع حسان بن ثابت- رضي الله عنه - نصيبه من وقف الصحابي الجليل أبي طلحة الأنصاري؛ حيث روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن حسان باع حصته من هذا الوقف لمعاوية، «فَقِيلَ لَهُ: تَبِيعُ صَدَقَةَ أَبِي طَلْحَةَ؟ فَقَالَ: أَلاَ أَبِيعُ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ بِصَاعٍ مِنْ دَرَاهِمَ؟»[4].

وأما الموقف الذي ركن إليه الفقهاء غير المجيزين لتصرُّف الموقوف عليه في الوقف، فإنما يقوم على الحرج الذي يسبِّبه ارتباطُ الموقوف بالله أو بخلقه؛ إذ إن «ما كان حقًّا لأشخاص موقوف عليهم، فحرمتُه حرمةُ مال الغير وحقوقه. وما كان لمصالح دينية أو عامة أخرى، فحرمتُه حرمةُ حقوق الله تعالى والأموال العامة التي تتعلق بها حقوق الجماعة»[5].

د- الصيغة:

يعبَّر عن هذا الركن بما يكون به الوقف، وبصيغة الوقف، وما يقوم مقامها في الدلالة على الوقفية عُرفًا، كالإذن المطلق[6]. ولما كانت حقيقة الوقف شرعًا تكمن في «وُرُود صِيغَةٍ تَقْطَعُ تَصَرُّفَ الْوَاقِفِ

(١) اُنظر: أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص٦٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه، رقم: ٢٧٥٨، ٨/٤، ومسلم في الكسوف، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين...، رقم: ٩٩٨، ٦٩٣/٢، والترمذي في تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب "وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ"، رقم: ٢٩٩٧، ٢٢٤/٥، والنسائي في كتاب الْأَحْبَاسِ، باب الْأَحْبَاسِ، كَيْفَ يُكْتَبُ الْحَبْسُ، وَذِكْرِ الِاخْتِلَافِ عَلَى ابْنِ عَوْنٍ فِي خَبَرِ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ، رقم: ٣٦٠٢، ٢٣١/٦، وأحمد، ٤٢٦/١٩.

(٣) اُنظر الجامع الصحيح للبخاري، ٧/٤. ويشير الأستاذ مصطفى البغا، في تعليقه على هذا الحديث، إلى أن المراد الإمام الشافعي؛ حيث نقل عنه قوله: «إن الوقف لا يصح حتى يعين جهة مصرفه فإن لم يعين بقي الموقوف على ملك الواقف».

(٤) رواه البخاري في الوصايا، باب من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه، رقم: ٢٧٥٨، ٨/٤.

(٥) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٢١.

(٦) اُنظر: الذخيرة، القرافي، ٣١٥/٦.

Book 01 Final B.indd 25 2/12/2019 11:22:49 PM

فِي رَقَبَةِ الْمَوْقُوفِ الَّذِي يَدُومُ الِانْتِفَاعُ بِهِ وَتُثْبِتُ صَرْفَ مَنْفَعَتِهِ فِي جِهَةِ خَيْرٍ»[1]، فإن الصيغة صارت ذاتَ شأنٍ عظيم في تحديد الوقف وتعيين الجهة المستفيدة من منفعته؛ فإنما الوقفُ، «عند من يحكم بلزومه، التزامُ تبرُّع»[2]. ولذلك، فقد قرر الفقهاء أنه «لَا يَصِحُّ الْوَقْفُ إِلَّا بِلَفْظٍ، لِأَنَّهُ تَمْلِيكٌ لِلْعَيْنِ وَالْمَنْفَعَةِ»[3].

ولما كانت الصيغة لا تكون إلا لفظًا، فإنهم نظروا في الألفاظ التي ينعقد بها أمر الوقف، فذكروا أنها تشمل التصريح والكناية، فكانت الصيغة لفظًا «يُشعر بالمراد صَريحًا: كوقَفتُ، وسَبَّلت، وحبَّست كذا على كذا، وكنايةً: كحرَّمت، وأبَّدت هذا للفقراء، وكتصدَّقت به على الفقراء»[4]. فإذا تحققت هذه الشروط باللفظ الدال عليها، «فقد تم ركن الوقف وانعقد، إما نافذًا (...) أو متوقِّفًا على إجازة أحَد»[5].

المطلب الرابع: شروط الوقف الإسلامي

تتحدد شروط الوقف الإسلامي في التَّأْبِيد، والتَّنْجِيز، والْإِلْزَام، وبَيَان الْمَصْرِفِ[6]. وقد نظر إليها بعض الفقهاء بكونها ليست على درجة واحدة؛ فمنها ما يرتبط بأركان الوقف، وهي شروط الصحة، ومنها ما يرتبط بما يتوقف عليه اعتبار الوقف بعد تحقق صحته، وهي شروط النفاذ[7].

ولكن، رغم كثرة الشروط التي اجتهد الفقهاء في وضعها وصياغتها، فإن «ذلك لم يمنع ذوي النفوس الضعيفة من تنفيذ اعتداءاتهم على الوقف»[8]؛ فلا حرمة مال الغير قد آتت أكلها، ولا حرمة المواثيق حالت دون وصول أيادي السوء إلى ما ليس لها.

المطلب الخامس: حكم الوقف الإسلامي

انقسم الفقهاء بخصوص أحكام الوقف إلى ثلاث فرق؛ «فمنهم من أجازه مطلقًا، ومنهم من منعه مطلقًا، وهناك من أجازه في حالٍ ومنعه في أخرى»[9]. وهو ما يدل على أن «معظم أحكام الوقف

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٠٣/٥.

(٢) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٥٨.

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، ٣٢٢/٥.

(٤) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، البكري، ١٨٦/٣.

(٥) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٣٩.

(٦) اُنظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، ٣٢٧/٥-٣٣٣.

(٧) اُنظر: أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٤٣.

(٨) استثمار الأموال الموقوفة، فؤاد عبد الله العمر، ص ٥.

(٩) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، محمد عبيد الكبيسي، ٩٠/١.

Book 01 Final B.indd 26 2/12/2019 11:22:49 PM

اجتهادية»[١]. وإذا كانت مداخل الاجتهاد والقياس والمصالح المرسلة... قد أسهمت في إنضاج أحكام الوقف لدى العلماء، فإنها كلها قد شجعتهم في ذلك «على الاجتهاد بحسب ما تقتضيه المصلحة»[٢].

وإذا كان القائلون بجواز الوقف لا يشكلون حائلاً بين الراغبين فيه وبين تحقيق ما يصبون إليه؛ بناء على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من حث على البذل والعطاء ونبذ البخل والشح، فإن قول القائلين بمنعه يؤدي إلى إغلاق الطريق في وجه فئات عريضة من الناس، سواء أكان الأمر متعلقًا بالنفع أم بالانتفاع.

لقد سلك المجيزون للوقف طريق الإيجاب، فحددوا الأركان ووضعوا الشروط ورسموا معالم تنظيم مجالات الوقف. وسلك المانعون له طريقًا آخر لم تتمُ فيه معالم المسار، ولم تتطور فيه الرؤية بخصوصه، مادام المنطلق قد كان منطلقَ رفض. ولذلك، فلا داعي، لديهم، للتنظير والبحث في مجال غير جائز.

هذا، وإن الوقف «يعتبر عقدًا وحيد الطرف، من أفعال الإرادة المنفردة»[٣]، فإن الواقف هو الذي يُلزم نفسه بالوقوف، وهذا الإلزام يكون «مِنْ غَيْرِ حُكْمِ الْحَاكِمِ»[٤]، لأنه «التزام تبرع»[٥] لا يتوقف على «إرادة غير الواقف أو إجازته، باتفاق الفقهاء»[٦].

ولقد انقسم الواقفون في علاقتهم بالغرض من الوقف إلى فريقين اثنين[٧]:

١- فريق يقصد بالوقف التقرب إلى الله تعالى، فيضع الموقوف في جهات البر المشروعة، فيكون الوقف منسجمًا مع مقررات شرع الله التي تدعو إلى طلب المبرة؛ تكافلاً وتعاونًا وخدمات.

٢- وفريق يقصد بوقفه حرمان بعض ورثته أو كلهم من الميراث، فيكون راكبًا مراكب الاحتيال المنطلق من الحقد والحسد والكيد. وحينئذ يتحول الوقف من عمل برٍّ يراد به وجه الله -تعالى- إلى آلية تستخدم في تعطيل ما أمر الله به، ومنع المستحقين من الوصول لحقوقهم التي قسمت من فوق سبع سماوات، فتكون أوقافهم، بذلك، أوقافاً «غير جائزة ولا يقرها الشرع، ولا يرعاها بحمايته»[٨].

(١) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ١٩.

(٢) استثمار الأموال الموقوفة، فؤاد عبد الله العمر، ص ٥٤-٥٥.

(٣) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٣٧.

(٤) الذخيرة، القرافي، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ٣٢٢/٦.

(٥) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٥٨.

(٦) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٣٧-٣٨.

(٧) اُنظر ما أشار إليه الشيخ محمد أبو زهرة بخصوص نوايا الفريقين في: محاضرات في الوقف، ص ٥٣.

(٨) المرجع السابق، ص ٥٤.

Book 01 Final B.indd 27 2/12/2019 11:22:49 PM

المطلب السادس: أنواع الوقف

ينقسم الوقف إلى ثلاثة أنواع؛ وقف خيري، وأهلي أو ذرِّي، ووقف مشترك جامع بينهما؛ فأما الوقف الخيري فإنه «يكون من الواقف لجهة معينة لا تمت له بصلة أو صداقة أو قربى»[١]، فيكون حينئذ تعبيرًا عن قمة التضامن مع المحتاجين في المجتمع المسلم؛ حيث إن صاحبه يهدف إلى أن يجعله صدقة جارية في يد من يحتاج إليها من أجل أن ينتفع بها، «لأن ذلك هو غرض الواقف وإن لم يذكره صراحة في وقفيته»[٢].

وأما الوقف الأهلي، فهو ما جعله الواقف في ذريته أو أقاربه. وقد بنوه على دليلين شرعيين، يتمثل أحدهما في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٣]. ويتحدد ثانيهما في وقف النبي - ﷺ - حيطانه السبعة بالمدينة على بني عبد المطلب وبني هاشم؛ فقد روت عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله - ﷺ - «جَعَلَ سَبْعَ حِيطَانٍ لَهُ بِالْمَدِينَةِ صَدَقَةً عَلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَنِي هَاشِمٍ»[٤].

ومن تتبع الفروق بين هذه الأنواع يتبين أن الجهة الموقوف عليها هي التي يتحدد نوع الوقف من خلالها؛ فإذا كانت الجهة عامة كان الوقف خيريًّا، وإذا كانت خاصة بالواقف أو أقاربه سمي الوقف حينئذ ذريًّا أو أهليًّا، وإذا كانت مشتركة بين الجهتين جامعة بينهما، كان الوقف وقفًا مشتركًا.

والملاحظ أن الوقف إذا كان يتطلب وجود موقوف عليه ينصرف إليه الوقف، فإن الوقف الذري حين تنقرض ذرية الواقف، لا يبقى أمامه إلا أن يوضع في مواضع الخير العام لينتفع به من لم يوضع من أجلهم أول مرة؛ ذلك لأن «كل وقف ذري يؤول في النهاية إلى خيري»[٥].

المطلب السابع: ناظر الوقف ووظيفته

تعد شروط الواقف في وقفيته أساس عقد الوقف «لِأَنَّ مَصْرِفَ الْوَقْفِ يُتَّبَعُ فِيهِ شَرْطُ الْوَاقِفِ»[٦]. ولذلك، فإن تسيير الوقف يعود إلى الناظر المشار إليه في العقد؛ حيث «يَنْظُرُ فِي الْوَقْفِ مَنْ شَرَطَهُ الْوَاقِفُ»[٧].

وتستمد مسؤولية نظار الأوقاف من «مسؤولية الأوصياء وواجباتهم»[٨]؛ فإذا كان القرآن الكريم

(١) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، نهضة مصر، ط١، أغسطس ٢٠١٠م، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٦.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الوقف، باب الصدقات المحرمات، رقم: ١١٨٩٦، ٦/٢٦٥.

(٥) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٢٤.

(٦) المغني، ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، بدون رقم للطبعة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ٦/٣٩.

(٧) المرجع السابق.

(٨) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٢.

Book 01 Final B.indd 28 2/12/2019 11:22:49 PM

قد أباح للوصي الأكل من مال اليتيم بالمعروف في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1]، فإنه أبيح لناظر الأوقاف أن يأكل من مال الوقف الذي ينظر فيه. وقد كان أساس ذلك ما ورد في شرط عمر بن الخطاب في وقفيته؛ حيث اشترط: «أَنْ يَأْكُلَ مَنْ وَلِيَهُ، وَيُؤْكِلَ صَدِيقَهُ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ مَالًا»[2].

ورغم هامش الإباحة الذي لا يرتكب فيه الناظر منكرًا حين يأكل من مال الوقف بالمعروف، فإن كثيرًا ممن تولوا هذه المسؤولية لم يوفُّوها حقها، فأضاعوا أموالها، وبددوا غلاتها، ولم يعيروا حدود الأكل بالمعروف اهتمامًا؛ إذ إن الشروط التي اجتهد الفقهاء في وضعها بشأن النظارة في الأوقاف لم تؤت أكلها لدى كثير منهم، «لأن الأوقاف كسائر الأموال، لا تحمى بالشروط تشترط، إنما الحماية الحقيقية بالعدالة والعلم في القضاة، والنزاهة في الولاة»[3].

وقد اتسعت الأوقاف في العصر الحديث، وصارت تنطلق من رؤية حضارية تحدوها الرغبة في جعل الوقف مؤسسة تتجاوز إنجازات الماضي إلى تحقيق الخدمات التي يتطلبها الحاضر. وهو ما أدى «إلى قيام الحاجة إلى إنشاء تشكيلات تتولى إدارتها والإشراف عليها»[4]، فصارت تقوم بما كان يقوم به الناظر الفرد قديمًا؛ إذ إن الأساس في الأمر إنما هو التسيير الرشيد والإشراف المستحضر لمراقبة الله تعالى.

المبحث الثالث
المشكلات الراهنة

يعرَّف المشكل بكونه «مَا لَا يَتَيَسَّر الْوُصُول إِلَيْهِ»[5]. ولذلك، فهو يحوج صاحبه إلى تقليب الآراء من أجل أن يظفر له بحل؛ إذ إنه «لا يُنال المرادُ منه إلا بتأمل بعدَ الطلب»[6]. فإذا وُصف المشكل بكونه راهنا فإنه ينزاح عن الأيام الخالية ليرتبط ارتباطًا وثيقًا بما أنتجته الحياة الحديثة والمعاصرة.

بإطلالة خاطفة على المشكلات التي صار يعيشها ابن آدم في أيامنا بما كسبت يداه، تمكِّن المتتبع من أن يراها قِطعًا متراكمةً كقِطع الليل المظلم التي إذا أخرج يده فيها لم يكد يراها؛ حيث صار كأنه في بحر لجِّيٍّ تتقاذفه أمواجُه، ويأتيه زئيرُ عبابه مع كل موج، من كل فجٍّ عميق.

ولذلك، فإن المشكلات الراهنة لا تُرى في أحوالها كلها إلا معقَّدة، ولا تُلحظ إلا بالمظهر الذي

(١) سورة النساء: آية ٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب نفقة القيِّم للوقف، رقم: ١٢/٤، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الوصايا، باب الوصية إلى المرأة، رقم: ٣٠٧٧٠، ٢١٣/٦، والدارمي في كتاب الوصايا، باب الوصية للنساء، رقم: ٣٣٤٠، ٢٠٧٨/٤.

(٣) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ١٩.

(٤) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، محمد عبيد الكبيسي، ٣٨/١.

(٥) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ١٨٦/٣.

(٦) كتاب التعريفات، الجرجاني، ص ٢١٥.

Book 01 Final B.indd 29 2/12/2019 11:22:49 PM

حين يقف المحلل المتخصص بين يديه لا يعرف ما يقدم ولا ما يؤخر، كالحال التي تمس فيها هذه المشكلات دينَ المرء بسوء حين تكون عائدة إلى ممارسة اجتماعية أو مالية. وهو ما ورد ذكره في حديث النبي – ﷺ – فيما يرويه عنه النعمان بن بشير؛ حيث قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتَنًا كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، ثُمَّ يُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا»[1].

فالأمر هنا ليس عائدًا لسوء ممارسة دينية، ولكنه عائد في أصله لوضع اجتماعي أو مالي يجبر المرء على الإقدام على ممارسة يعتقد أن فيها حلًّا لمشكلاته، فما تلبث أن يصير من نتائجها المسَاسُ بالدِّين بما لا ينسجم مع ما يقرُّه الشرعُ والمعتقد.

لقد صارت هذه المشكلات مطروحة في الطريق، فهي تُلاقى في الحياة صباح مساء؛ فالفقر والحاجة تلوح مشاهدهما في كل آن وفي كل مكان، والتشرد والمجاعة يغطيان مساحة ليست بالهينة من المعمور، ويمزقان مجتمعات طالما كانت قائمة ترفل في ظلال الرفاه، والجهل والأمية يبدوان فاشيين مهيمنين على نسبة عالية من البنين والبنات والآباء والأمهات، وظواهر الطلاق والعنوسة واليتم تستقر في المصاف الأولى من لوائح الظواهر الاجتماعية غير السوية. وهي الظواهر التي لا ينحصر داؤها فيها، ولكنه ما يلبث أن تتولد عنه ظواهر تخرِّب المجتمع وتفكِّك عُراه.

إن هذه المشكلات، وإن كانت متعددة المظاهر والتجليات، ترجع في كليتها إلى اختلال القوانين المنظمة للمجتمع. ولذلك، فإن الشرع الإسلامي مُبَرَّأٌ –حقيقة– من مسؤولية إنتاج هذه المشكلات؛ فقد تحمَّل مسؤولية إيجاد الحلول، فنفى كل المنغصات كما تنفي النار خبث الحديد، ولما سادت نظم وسياسات، في واقع الناس، لا تُستمد في أغلبها من مرجعيات شرعية، فإن مسؤولية الحلول صارت ملقاة عليها وحدها.

ولكن الشرع الإسلامي الذي جاء من أجل إرشاد الناس إلى الخير لا يولِّي وجهه عنهم حين تحط المشكلات بدارهم، وتعم البلاوى أرضهم قادمة إليهم من كل فج عميق، فتراه يحث خطاه من أجل إصلاح ما أفسد الناس وإقامة أود ما هدم المفسدون!!

المبحث الرابع
الوقف الإسلامي في سياق توظيفه الاجتماعي لحل المشكلات الراهنة

المطلب الأول: الوقف الإسلامي إمداد دائم

لقد اهتدى المسلمون إلى أكثر الآليات تحديًا للظروف الخارجية المعرقلة، متمثلة في الوقف الذي يعد آلية الإمداد الدائم، فكان اهتداؤهم هذا منذ البدايات الأولى التي تشكل فيها المجتمع الإسلامي. وقد كان ذلك حين وقف رسول الله – ﷺ – أوقافه، ووجه صحابته الكرام إلى أن يقفوا

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر النعمان بن بشير، رقم: ٦٢٦٣، ٣/٦١١، وأبو داود الطيالسي في مسنده في ما أسند عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ، رقم: ٨٤٠، ٢/١٤٩، وأحمد في مسنده، ٣٠/٣٥٣.

Book 01 Final B.indd 30 2/12/2019 11:22:49 PM

بعض ما يملكون، فاستجابت منهم أعداد غفيرة لهذه الدعوة التي تستشرف المستقبل الدنيوي والأخروي.

لقد سلكت جحافل المسلمين هذا الطريق، فلم يعد يخلو زمان من المسارعين إلى الوقف، ولم يعد مكان من أرض الإسلام يُستغرب فيه الوقف أو يظهر فيه بمظهر الاستثناء؛ فقد صار الوقف في كثير من البلاد الإسلامية أصلاً.

ولو بحثنا في كتب التاريخ وصفحات الماضي لوجدنا ما نستند إليه، منها مما تركه السلف للخلف من شهادات يعز على منافسها أن يقف في وجهها. ومن ذلك ما يذكره ابن جبير في رحلته في سياق حديثه عن مدينة دمشق –وما هي إلا واحدة من مدن العالم الإسلامي التي يعز حصرها على الحاصر– فيقول: «ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولا سيما لحفَّاظ كتاب الله، عزّ وجل، والمنتمين للطلب. فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جدا. وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا الرسم»[1].

وإذا كانت مردوديات الوقف تعود على من هم في حاجة إليه، فإن الدولة تحقق منه فوائد لا تعد ولا تحصى؛ ذلك لأنه يقيها ما لا طاقة لها به من تحقيق خدمات اجتماعية، ويدفع عنها من النفقات ما لم تضعه في الحسبان، ويسهم في تغطية ضروريات الحياة مما تستطيعه ومما لا تستطيعه.

ولذلك، فإننا حينما ننظر في حقيقة الوقف الإسلامي، نجدها هي المخلِّص الأساس الذي لا تَتعبُ جهةٌ بتحمُّل مسؤولياته، ولا يُرهَق كاهلٌ بتدبير أمره؛ فهو محضن الموارد المتعددة، وفضاء العطاءات المتنوعة، ومجال الثراء الذي يقوم على الإسهامات التي قد تبدو قليلة صغيرة حين تقارن بالكمّ الهائل من المطالب والانتظارات، ولكنها حين تتجمع جداولها في مصبٍّ وقفيّ واحد يصير أمرها إلى تحقيق نفع كبير يأتي بالحلول لمشاكل المجتمع.

فالوقف الإسلامي إمداد دائم وعطاء غيرُ مجذوذ؛ ذلك لأنه حتى في الأوقات العصيبة التي قد يُبتلى بها بلد من البلدان، فتسوده الفتن وتحيط به الإحَن، فتتعطل مؤسساته وتتوقف قدرته على التسيير والتدبير، يبقى الوقف الإسلامي بآلياته الدؤوبة العمل، السّرمديّة الحركة، يؤتي أُكلَه كل حين غدقًا مدرارًا لا توقف فيه ولا انحسار، فتبقى المؤسسات المرتبطة به، رغم تبدل الأحوال وتغير الظروف، قائمة مستمرة في كل حين.

المطلب الثاني: الوقف الإسلامي تنويع لموارد الإمداد

لقد كان من ميزة الوقف الإسلامي أن كان متنوعًا تنوعًا كبيرًا أحاط بكل مجالات الحياة، فغطى التعليم بكل عناصره ومكوناته، وشمل الصحة بكل ما يجعلها محققة راحة المريض وعلاجه، حتى إنه تجاوز في أمره ما يخص الإنسان إلى الحيوان، واهتم بالغريب اهتمامًا لافتًا فوفر له المأوى

(١) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ص ٢٣٢.

Book 01 Final B.indd 31 2/12/2019 11:22:49 PM

والمأكل والمشرب والكسوة وأحاط بأمره جمعًا، وأبدع أوقافًا استدعتها الإحساسات النفسية فأوجد القروض المالية للمحتاجين، وأبدع دُرَرًا وقفيةً سنقف عليها في الفصول اللاحقة بحول الله تعالى، تشهد كلها لحضارة الإسلام بأنها تمثلت مفهوم الرحمة، التي أخرجها الله – تعالى – من أجل القيام بها، تمثلاً عظيمًا.

إن تنوع الأوقاف في البلاد الإسلامية كلها حقَّق تغطيةَ المشكلات تغطيةً متوازنة؛ فلم يَنمُ المجتمعُ في جانب وبقيت جوانب منه تعاني الإهمال، فالتوازن في ذلك كله كان ديدَنَه، وحثُّ الخطى فيه من أجل إسعاد الناس إسعادًا حقيقيًّا كان رغبتَه. ولذلك، فقد تعددت الأوقاف تعددًا تنوعت به الموارد تنوعًا يشد إليه الألباب.

لقد كان لكل ذلك الأثرُ الجللُ في رفع المعاناة في كل المجالات، وفي دفع التعاسة عن الناس وتفريج الكربات، فشعر الناس بكرامتهم الإنسانية التي إن تحققت تحقق بها فضل كبير.

الأوقاف فيها فائض يغطي التوقعات، وفيها موارد دائمة موجهة إلى الجهات المحددة في شروط الواقفين. وأقربُ مثال نقدمه على ما نحن بصدده الآن، يتمثل في التعليم في البلاد الإسلامية قديمًا؛ فكم من الهزَّات كانت هذه البلادُ قد عرفت؟! وكم من الفتن كانت قد تناوبَت عليها بكيد الكائدين؟! ولكن التعليم فيها بقي مستقرًّا مستمرًّا لم يعش إفلاسًا ولا انهيارًا، كأن تلك الفتن لم تقع في الواقع الذي كان الوقف فيه!! ولا يرجع الفضل في ذلك كله إلا إلى الوقف الإسلامي، الذي كان له الأثر البالغ «في بقائه واستمراره أحقاباً وقروناً، وفي انتظام الحياة العلمية والدراسية في جامعات الإسلام وكلياته»[1].

المطلب الثالث: الوقف الإسلامي تضافرُ جهودٍ لإصلاح المشكلات العالقة

إن الأمة لم تكن تزهد في أي وقف مهما صغر قدره وقلّ شأنه، ولم تكن تستصغر مردوده مهما قلّ عدد المستفيدين منه؛ علمًا منها بأنه إذا أضيف إلى أوقاف غيره صار له شأن يدرك، فالواقفون كانوا مؤسسين ذلك على ما استقر لديهم شرعًا وعقلاً؛ إذ إن الدرهم يسبق الدرهمين في كثير من الأحيان، فتغدو الأوقاف كالجداول التي تصب في مجرى واحد، حتى إذا تجمعت كلها صار لها شأن عظيم وقدر في حل الأزمات جسيم. ومن ثم، يظهر أن المجتمع كان كله مهتما بما يخفف العنت عن أفراده بحل مشكلاتهم العالقة، فلم يجد أفضل من الوقف في ذلك، باعتباره الطريق السالكة الموصلة إلى هذا الهدف الاجتماعي النبيل.

ولذلك، فإنه يتبين من مرجعيات الوقف المتعددة أن الوقف إنما جاء في أصله للقضاء على المشكلات ودفع النكبات وتفريج الكربات. وهو ما اضطر الأمة إلى تنظيم شأنه، وضبط أحكامه، فجاد فيه كلٌّ بما يستطيع، وأسهم في تنميته كلٌّ بما يقدر عليه، من أجل دوام منفعته؛ ذلك لأن منفعته الجليلة لا يستقيم أمرُها إلا بنظام، وتخطيط استراتيجي.

(١) الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، ٥٧/٢.

Book 01 Final B.indd 32 2/12/2019 11:22:50 PM

الباب الأول
الوقف الإسلامي: الأسس الاجتماعية ودواعي الاعتماد

Book 01 Final B.indd 33 2/12/2019 11:22:50 PM



Book 01 Final B.indd 34 2/12/2019 11:22:50 PM

الفصل الأول: الأسس الاجتماعية للوقف الإسلامي

المبحث الأول: الاستجابة لخدمة المجتمع

المبحث الثاني: التكافل والتعاون

المبحث الثالث: تفريج الأزمات عن المسلمين والتيسير عليهم

المبحث الرابع: ضمان الأمن والغذاء

Book 01 Final B.indd 35 2/12/2019 11:22:50 PM



المبحث الأول
الاستجابة لخدمة المجتمع

لقد كان العرب قبل الإسلام ممزقين شر ممزق، وكانوا مخطَّفين في الأرض غيرَ مؤمَّنين من جوع ولا خوف. يشُنُّون الغارات، كما تُشن عليهم، ليلاً ونهارًا، فيقتُلون ويُقتلون، ويَسبُون وتُسبَى منهم نساؤُهم، ويَسلبون نعم الله كما تُسلب نعمُه من أيديهم. وكان نزوعهم نحو حب الذات، وإن كانت فيهم قيم الكرم ونصرة المظلوم وكثير من مكارم الأخلاق كان مهيمنًا عليهم، حتى جاء دين الله – تعالى – ليرتقي بهم إلى مدارج الكرامة السليمة وحب الآخرين في الله لا في القبيلة، والبذل من أجلهم لا من أجل التفاخر والمنافع والذكر الجميل.

لقد جعل الدين الإسلامي المجتمع جسدًا واحدًا، وركز في المسلمين الإيمان بكون كل فرد منهم إنما هو عضو من أعضائه التي جاءتها دعوته من كل مصادر التشريع فيه، نحو العمل الدؤوب من أجل الإسهام في تحقيق راحة الأعضاء الأخرى، والحرص على ما يضمن كرامتها بتفريج كرباتها ودفع المشكلات عنها.

لقد مثّلَ هذا التوجهَ خيرَ تمثيل ما وصف به رسولُ الله – ﷺ – مجتمعَ المسلمين؛ حيث قال، فيما رواه عنه النعمان بن بشير رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[1]، فظهر أن التفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع أساس متين في حياة المسلمين، وبدا أن الانشغال الذهني بأمور المسلمين لا محيد عنه في واقعهم.

إن هذا التوجيه النبوي، وغيره كثير، وجّه المسلمين إلى أن يترسخ لديهم إيمان صادق بكونهم جسدًا واحدًا، تهتم أطرافه كلها بسلامته وحصانته، وتسعى جميعُها من أجل تحقيق راحة أطرافه وأعضائه حتى وإن كان العضو منها بعيدًا عما يهم غيره، كما ورد في روايات حديثية أخرى.

إن الجسد الذي يهتم بعض أعضائه ببعض هو جسد سليم معافى من كل الأمراض والأسقام، التي تشل حركة بعض الأطراف عن الإحساس بما ينتاب غيرها. والمجتمع المسلم لم يكن إلا كذلك؛ فالمعافاةُ مما ابتلي به غيرُه من المجتمعات كانت نصيبَه، والحصانةُ من كل الأسقام التي كانت تجعل غيرَه مفكَّكا كانت مصادرُ الشرع؛ قرآنًا وسنة، قد أمدته بها في كل حين.

فإذا كانت هذه صفةَ المجتمع المسلم؛ حيث الاهتمامُ بالآخرين والانشغالُ بهمومهم والسعيُ نحو إسدال سُدول السعادة عليهم، فإن الهروَلةَ نحو البذل والعطاء من أجلهم لن تكون إلا مَدخلاً واحدًا من المداخل التي تُسلك من أجل خدمة المجتمع والاهتمام بأموره.

إن الوقف الإسلامي– حقيقةً – لا يمثل إلا غيضًا من فيض من هذا؛ فخدمةُ المجتمع قائمة في كل حال، وإسداءُ المعروف إليه معروض في كل طريق. ولذلك، فإن الوقف الإسلامي لن يكون وجودُه

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم: ٦٠١١، ٨/١٠، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٦، ٤/٢٠٠٠، وأبو داود الطالسي، في ما أسند عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ، رقم: ٨٣٠، ٢/١٤١، وأحمد، ٣٠/٣٠٣. واللفظ لمسلم.

Book 01 Final B.indd 37 2/12/2019 11:22:51 PM

دخيلاً على مثل هذه الثقافة التي تُشيع معاني الانشغال بالآخرين في أفرادها كلهم، ولن يكون غريبًا حضورُه بين ما شَاكلَه من أبناء جلدته من بذل وعطاء وإغاثة ملهوف.

ومن ثم، فإن الاهتمام بشؤون المجتمع يمثل أساسًا يقوم عليه الوقف الإسلامي، وأرضًا خصبة لإنعاشه في كل حين، وما ذلك إلا لما ركَزَه الدين الإسلامي في نفوس المؤمنين، فما لبث أن صار ثقافة يتغذى عليها المجتمع صباح مساء، ويروِّي بها ممارساته في كل حين.

المبحث الثاني
التكافل والتعاون

من الأسس التي ينطلق منها الوقف الإسلامي مبدأ التعاون والتكافل؛ حيث تتم به الاستجابة لأمر الله- تعالى- ولأمر نبيه الكريم ﷺ بهذا الخصوص؛ فقد قال رب العزة سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

إنها دعوة من نمط جديد وطِينة مختلفة؛ فهي تقوم على أمر ونهي، فيتوجه أحدهما نحو تثبيت فكرة التعاون على البر والتقوى في النفوس بعد بنائها فيها، ويتوجه ثانيهما نحو دفع فكرة التعاون على الإثم والعدوان التي هيمنت على النفوس لآماد طويلة؛ فالمرء المخاطب لم يعهد في بيئته من قبل إلا حمية الجاهلية ونعرة العصبية.

فالتعاون السليم المنشود، من هنا، يتبين أنه مبدأ جديد لم تأت به الملل والنحل التي كانت في غابر الأزمان، وإنما الذي جاء به هو دين الإسلام مع النبي محمد ﷺ.

ولما كانت الأسس الاجتماعية المستنَد إليها في بناء حياة المسلمين هي عائدةٌ إلى الدين الإسلامي بوجه من الأوجه، بما ركزه فيها من طرق عيش صارت بعد تمثُّلها ثقافةً ممارَسة، فإن التعاون على البر والتقوى يصير من الأسس الاجتماعية المستمدة من شرع الله تعالى؛ إذ إن هذا المبدأ يخالف ما كان سائدًا في حياة الناس قبل أن يصير من مقررات الدين الإسلامي.

إن الاستجابة للدعوة إلى التعاون على البر والتقوى لن تكون بدون الاستجابة لجعل الذات الفردية لبنة من لبنات الذات الجماعية؛ حيث يصير المرء ممثِّلا لوصف النبي - ﷺ - العلاقةَ الرابطةَ بين المؤمنين بقوله: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[2].

لقد عاش المسلمون الاستجابة للدعوة الإلهية، كما استشعروا مواقعَهم في المجتمع باعتباره بناء مرصُوصًا، فكانت لاستجاباتهم امتداداتٌ جليلةٌ انتقلوا بها من مستوى التفضُّل الإرادي غير القائم

(١) سورة المائدة: آية ٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم: ٦٠٢٦، ١٢/٨، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٥، ١٩٩٩/٤، والترمذي في البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب مَا جَاءَ فِي شَفَقَةِ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ، رقم: ١٩٢٨، ٣٢٥/٤، والنسائي في كتاب الزَّكَاةِ، باب أَجْرِ الْخَازِنِ إِذَا تَصَدَّقَ بِإِذْنِ مَوْلَاهُ، رقم: ٢٥٦٠، ٧٩/٥، وأحمد، ٤٠٠/٣٢.

Book 01 Final B.indd 38 2/12/2019 11:22:51 PM

على نظام، إلى مستوى آخر جليل أخضعوا عطاءاتهم وإنفاقاتهم فيه لقوانين تشريعية، تشكلت بها منظومة الوقف الإسلامي الذي وُجد منذ عهْد النبي ﷺ، وسيبقى بحول الله – تعالى – إلى قيام الساعة.

فالوقف الإسلامي فرع من فروع التعاون الكثيرة، ونوع من أنواع «الترابط والتكافل الاجتماعي وربط السلف بالخلف، وخدمة طلاب العلم والعلماء وإعمار المساجد والبر بين أبناء المسلمين»(١).

إن الوقف الإسلامي يقوم على التعاون باعتباره أساسًا اجتماعيًّا متينًا؛ فهو مستمد من الدين قبل أن يكون من نتاجات الثقافة؛ اهتمامًا، وتكافلاً، وإسداء معروف. ولذلك، فإن «العلاقة وثيقة الصلة بين الأوقاف ومقاصد التشريع الحكيم»(٢).

المبحث الثالث

تفريج الأزمات عن المسلمين والتيسير عليهم

إن الشعور بكون المجتمع بنية متراصة الأركان كان قد رَكَز في النفوس المؤمنة حبَّ التعاون والتكافل، فانصرفت نحو الاهتمام بأمور المسلمين أنَّى حلُّوا وحيثما ارتحلُوا، بغية الفوز بالانتماء إليهم والحشر في زمرتهم؛ فقد روي عن النبي – ﷺ – قوله، فيما يرويه عنه حُذَيْفَة رضي الله عنه: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»(٣).

ولقد فَهم المجتمعُ أن الاهتمام بالأمر لا يكون بالقيل والقال، ولا يكون بذكر الأخبار وتناول الأسرار، وإنما يكون بما يفرِّج الكروب ويبدِّد الأزمات، فانصرف أفراده إلى ركوب الأساليب التي يتحقق بها هذا الأمر فيرفُل المسلمون في ظلال الاستفادة من ثمراتها في كل حين.

والواقع أن هذا المسلك الذي يضع الحدود الفاصلة بين المسلمين المتكافلين المتعاونين المهتم بعضهم ببعض، وبين غيرهم، لم يكن المسلكَ الوحيد الذي اعتُمد في توجيه المجتمع نحو اهتمام أفراده بأمور غيرهم؛ فقد وُجدت إلى جانبه مسالكُ الترغيب والتودُّد والإعلان عن قدر الأجور والثمرات، بغية تحبيب الاهتمام بأمور الآخرين إلى النفوس، فقال رسول الله ﷺ: «المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤).

---

(١) تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، طارق بن عبد الله حجار، ص ٤٦١.

(٢) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص ١٨.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، في باب الميم، من اسمه محمد، رقم: ٧٤٧٣، ٧/ ٢٧٠.

(٤) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، رقم: ٢٤٤٢، ٣/ ١٢٨، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨٠، ٤/ ١٩٩٦، وأبو داود في كتاب الأدب، باب المُؤَاخَاة، رقم: ٤٨٩٣، ٤/ ٢٧٣، والترمذي في الحُدُودِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب مَا جَاءَ فِي السَّتْرِ عَلَى المسْلِمِ، رقم: ١٤٢٦، ٤/ ٣٤، وأحمد، ٩/ ٤٦٣.

Book 01 Final B.indd 39 2/12/2019 11:22:51 PM

إن السبيل واضحةُ المعالم، وإن الحسنات قطوفُها دانية، وإن المقارنة بين كُربة من كرب الدنيا بما يقابلها من كرب يوم القيامة تحفز على الهروَلة نحو فعل الخير وتفريج الأزمات؛ فالسلعة غالية وأرباح الآخرة لا تضاهيها أرباح الدنيا مهما عظمت.

وإذا كانت كرب الدنيا هي غمومُها وأحزانها؛ إذ إن الكَرب هو «الحُزْنُ والغَمُّ الَّذِي يأْخذُ بالنَّفْس»[1]، فإن الفرد في المجتمع المسلم يطمح إلى الفوز بالتحرر من غمومه وأحزانه حينما يُسدي معروفًا يكون من ثمراته فوزُه بما يطمح إليه؛ حيث إن الحديث ناطق بكون «الْمُجَازَاة تَقَعُ مِنْ جِنْسِ الطَّاعَاتِ»[2]. ولذلك فقد هرول المسلمون نحو تمثل ما حض عليه الحديث النبوي من «التعاون وَحسن المعاشرة والألفة والسَّتر على الْمُؤمن وَترك التسمع بِهِ والإشهار لذنوبه»[3].

والملاحظ أن التوجيه الإسلامي لم يقتصر على هذين المسلكين في غرس حب تفريج الأزمات والتيسير على المسلمين، ولكنه ركب مركبًا ثالثًا في التشديد في الخطاب المنصرف إلى الوعيد الذي يَكره المسلمُ أن يكون من المشمولين به؛ فقد روي عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[4]؛ حيث لا يفوز برحمة الله – تعالى – من لا يرحم المخلوقات[5].

إن كل هذه المسالك التي تخاطب النفوس خطابًا يوظف كل المداخل المؤثرة؛ ترغيبًا وترهيبًا، ووعدًا ووعيدًا، وحثًّا وتحضيضًا، إنما تستهدف أن يكون المجتمع المسلم متآلفًا متعاونًا. وما أمر تفريج الأزمات والتيسير على المسلمين إلا آلية من الآليات التي تعتبر أسسًا متينة للبذل والجود والعطاء، ولقد كان الوقف الإسلامي تجليًا من تجلياتها اللامعة التي كان لها أثر عظيم في خدمة المجتمع برمَّته والسير به قدمًا نحو مثالية، شقَّت في الوجود طريقة مخصوصة عجَزت أقوى الفلسفات وأخطر المنظومات أن تأتي بمثلها.

المبحث الرابع
ضمان الأمن والغذاء

طالما ذهب القرآن الكريم مذهب إيراد ذكر الأمن والغذاء في سياق الحديث عن النعم التي منَّ الله – تعالى – بها على الإنسان، وطالما قابلهما باقتضائهما مقابِلا قَلبيًّا وعَمليًّا يتمثل في الإيمان

(١) لسان العرب، مادة "كرب"، ١/٧١١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥/٩٧.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العينى، ١٢/٢٨٩.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٦٠١٣، ٨/١٠، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، رقم: ٢٣١٨، ٤/١٨٠٨، وأبو داود في كتاب الْأَدَبِ، باب فِي قُبْلَةِ الرَّجُلِ وَلَدَهُ، رقم: ٥٢١٨، ٤/٣٥٥، والترمذي في البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الوَلَدِ، رقم: ١٩١١، ٤/٣١٨، وأحمد، ١٢/١٧.

(٥) أُنظر شرح الأستاذ مصطفى البغا لهذا الحديث في الجامع المسند الصحيح المختصر= صحيح البخاري، ٨/١٠؛ حيث يشير لهذا المعنى.

Book 01 Final B.indd 40 2/12/2019 11:22:52 PM

والعمل الصالح اللذين تتلخص فيهما فحوى عبادة الله تعالى، فقال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾[1].

ولما كان للنِّعمتين معًا هذا الشأنُ العظيم الذي يجعلهما أسَّين اجتماعيين لا تقوم الحياة السوية بدونهما؛ حيث إنهما إذا تحققتا قامت بهما أركان الحياة كلها، وإذا فسدتا فسدت بهما الحياة جميعها، فإن المجتمع المسلم انصرف إليهما باهتمامه، فوضع من أجلهما الآليات الضرورية التي تحققهما تحقيقًا أبديًّا، فكان على رأس ذلك الوقف الإسلامي باعتباره آلية تقوم على تأبيد المصلحة ودوام المنفعة. وسيزيد المطلبان الآتيان هذا الأمر بيانًا ووضوحًا.

المطلب الأول: ضمان الأمن

إن الحديث عن الأمن والغذاء -باعتبارهما أساسين اجتماعيين- لا يقتضي الحديث عن مستوى واحد وقيمة واحدة؛ بحيث إنه لا يكون غذاءٌ في وضعه الإنساني الطبيعي إلا بعد وجود أساسه الأول، وأساس غيره المتمثل في تحقق الأمن في الحياة.

فأساسُ الأمن أساسٌ متين ترجع سيادةُ كثير من الاختلالات الاجتماعية إلى فقدانه؛ فالقسط الوافر من مظاهر الفوضى إنما يعود إلى غياب الأمن، والقسط الظاهر من عدم توفر ضروريات الحياة إنما مبعثه رفع هذا الأساس من حياة الناس. وإذا كان يتلخص مفهومُ الإنعام في دفع الضرر أو جَلب النفع، فإن الأمن يندرج في باب دفع الضرر؛ إذ إن «دَفْعَ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ وَاجِبٌ، أَمَّا جَلْبُ النَّفْعِ فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ»[2].

فالمرء حين يتتبع هذه العلاقة الجدلية بين ضروريات الحياة والأمن يجدها علاقة تفرض ألا يغيب أحد طرفيها؛ فكل غياب لطرف يقتضي استدعاءً لغياب الطرف الذي يقابله؛ فبتوفُّر ضروريات الحياة يُضمن الأمن ويُرفع كثير من الاختلالات، كالسرقة واللصوصية والسلب والنهب والإغارة بالليل والنهار. كما أن توفر الأمن يستلزم توفر الضروريات كلها أو جلها، مما تستقيم به حياة الإنسان استقامة واضحة.

والحق؛ إن الوقف الإسلامي كان قد استحضر هذه العلاقة الجدلية استحضارًا موفقًا؛ حيث إنه إذا كان ينصرف باهتمامه إلى توفير ما يضمن احتياجات أفراد المجتمع المقيمين والظاعنين والغرباء، فإنه بذلك إنما كان يسعى نحو التمكين لأحد طرفَي المعادلة السابقة، علما منه أنه إذا أسهم به يكون قد أسهم بجزء ليس بالهيِّن في تحقيق الأمن الذي تستقيم به حياة الناس.

---

(١) سورة قريش: الآيات ١-٤.

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٢٩٨/٣٢.

Book 01 Final B.indd 41 2/12/2019 11:22:52 PM

المطلب الثاني: ضمان الغذاء

مطلب الغذاء في الحياة مطلب أساس وركن شديد من أركان ضرورياتها؛ حيث يسدُّ به الرمق ويرفع به العَنت، ويزاح به شبحُ الجوع عن الناس. وإذا كانت له قيمة تذكر، فإن قيمته تأتي بعد قيمة الأمن؛ ذلك لأن ندرته، أو انعدامه، أو احتكاره، كلها عوامل وأسباب توصل المجتمع إلى البحث عنه، ولو أدى ذلك إلى اختلال الأمن وانهيار أركان الحياة.

وليس عبثًا أن يكون تقليلُ موارد الغذاء عقوبةً تُعاقب بها المجتمعات، لأنه يعد الطريق السالكة نحو إحداث الاختلالات في مسار الحياة كلها؛ فقد ورد في القرآن الكريم قولُ الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

فانعدامُ الغذاء وهيمنة الجوع، يؤديان إلى الخوف ورفع الأمن الذي كان سائدًا في أيام خلت. والتنبيهُ القرآني الكريم على حدَّة أثر الجوع ولَذعَة رفع نعمة الأمن، يجعلهما لباسَين يُلبسان، ويطبعهما بذوق به يتميزان، «لأن الذوق أعمق أثرًا في الحس من مساس اللباس للجلد»[2].

وبالنظر إلى كون السلف من الواقفين قد انتبهوا إلى خطورة هذا الأمر في حياة الإنسانية كلها، فقد سخروا الأوقاف من أجل توفير الغذاء للمحتاجين، ورفع العنت عن الجائعين، بغية ألا تتولد عن انعدامه نتائجه الوخيمة التي يضطرب فيها الأمن وتصير فيها الحياة فوضى لا سرَاةَ لها.

(١) سورة النحل: آية ١١٢.

(٢) في ظلال القرآن، ٢١٩٩/٤.

Book 01 Final B.indd 42 2/12/2019 11:22:52 PM

الفصل الثاني
دواعي اللجوء إلى الوقف في الحياة الإسلامية

المبحث الأول: الاقتداء بالسلف الصالح

المبحث الثاني: تخفيف أعباء الدولة

المبحث الثالث: تنويع الموارد

المبحث الرابع: تحقيق الكفاف مهما تغيرت الظروف

المبحث الخامس: عمارة الدار الآخرة

Book 01 Final B.indd 43 2/12/2019 11:22:52 PM



المبحث الأول
الاقتداء بالسلف الصالح

إن الاقتداء بالصالحين الأولين كان من جملته ركوبُ الأمة ما ركبوه من بذل وعطاء وتفقُّد محتاج؛ حيث إن الاقتداء آنئذ أصبح على شاكلة الأخلاق التي تنتقل من مقتدى به إلى مقتدٍ، إذ إن العلاقة تصير مبنية على الرغبة في تقفي الأثر وتتبع مراحله، وذلك كالذي يدل عليه ما أُثر عن النبي – ﷺ – حين قال فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[1].

لقد رغبت الأمة في أن يكون اقتداؤها عملاً لا تنظيرًا فحسب، وآمنت بأن السبيل الموصلة إلى الفلاح والنجاح إنما تكمن في أن يكون القول مطابقًا للعمل؛ إذ إنه لا قول إلا ما تحته عمل كما هو مأثور عن أئمتها وعلمائها.

إن التاريخ يثبت «أن الصحابة جميعًا قد وَقَفوا»[2]. وقد ورد في مقدمة لائحتهم الطويلة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأبو طلحة، والزبير بن العوام، وسعد بن عبادة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر... وغيرهم كثير، رضي الله عنهم جميعًا. فإذا كان هؤلاء هم نجومُ الأمة وهداتُها، فإن الخلف منها جعلهم قدوته وأسوته، فسلك السبيلَ ذاتَه، وركن إلى طلب البر عينه، فتوافد الواقفون منه توافد الحَجيج على الحرم، وصارت رقعة البلاد الإسلامية مغمورة بالأوقاف، مغطِّية احتياجات الأفراد والجماعات، وانشدَّ أصحابها إلى الفوز بما فاز به أسلافهم من أجور وذكر جميل باقٍ على مدى التاريخ، مؤمِّلاً كلٌّ منهم بفعله أن يفوق ما يحوزه صاحبُ النية الحسنة الذي يعده الحديث النبوي الشريف بقول قدوتنا وأسوتنا رسول الله ﷺ، فيما يرويه عنه ثوبان عن أبي كبشة رضي الله عنهما: «أُمَّتِي أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِهِ الَّذِي فَرَضَ، فَرَآهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: لَيْتَ لِي مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ فَأَعْمَلَ فِيهِ كَعَمَلِهِ، فَهُمَا فِي الْأَجْرِ مُسْتَوِيَانِ»[3].

إن وصف الحديث لحال الأمة لم يتوقف عند هاتيك الحدود؛ إذ إن مسار الخير يقابله مسار شر يخوِّل لسالكه العبَّ من ثمراته غير الطيبة وهو لم يعمل سوءًا ولم يأتِ منكرًا يُرى رأيَ العين، وإنما أورثته ذلك نيتُه الطامحة إلى فعل المنكر لو كانت له وسائلُه وإمكاناتُه.

لقد ركب الوصف النبوي مركب التربية بضرب الأمثلة؛ حيث قدم طريق الشر إلى جانب طريق الخير؛ فكما ذكر مآل صاحب النية الحسنة التي تصبو إلى فعل الخيرات، فقد ذكر مآل صاحب نية السوء الطامحة لاقتراف المنكر وفعل السيئات؛ حيث يوجد من الناس عبد «رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ

(١) رواه أبو داود في كتاب الْأَدَبِ، باب مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، رقم: ٤٨٣٣، ٢٥٩/٤، والترمذي في الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم: ٢٣٧٨، ٥٨٩/٤، وأحمد، ١٢٢/١٤.

(٢) محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٩-١٠.

(٣) رواه الترمذي في أبواب الزهد، باب "ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر"، ٥٣٦/٤، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب النية، رقم: ٤٢٢٨، ١٤١٣/٢، والطبراني في المعجم الكبير، في مسند من يعرف بالكنى، باب من يكنى أبا كبشة، ٣٤٤/٢٢. واللفظ له.

Book 01 Final B.indd 45 2/12/2019 11:22:53 PM

حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْد لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

لقد كانت رغبة الخلف في الاقتداء بالسلف الصالح جامحة، وقد كانت داعيًا من دواعي اللجوء إلى الوقف، رغبة منهم في أن يفوزوا بما فاز به نجوم الأمة وهداتها الأولون.

المبحث الثاني
تخفيف أعباء الدولة

تتفاوت الدول من حيث مواردها الاقتصادية ومصادرها المالية. ومن ثم، فإنها تتفاوت في تلبية طلبات المجتمع الكثيرة والمتنوعة؛ فمنها دولٌ استطاعت أن تحقق لمجتمعاتها كلَّ ضروب البذخ والترف، وتصل بها إلى مستويات لم يعد الحديث فيها عن ضروريات الحياة ضروريًّا. ومنها ما لم يستطع بعد أن يحقق لأفراده ما لا تقوم الحياة السوية إلا به!!

والواقفون، بهذا الخصوص، تتفاوت إدراكاتهم لأبعاد ممارساتهم الوقفية؛ فمنهم من يدرك أن لوقفه إسهامًا جليلاً في تخفيف أعباء الدولة ومتاعبها، ومنهم من يقصُر فهمُه عن ذلك، فينحصر في حدود الرغبة في الفوز بأجر البر في الآخرة.

والواقع، إن طرق الإحسان حينما يُنظر إليها مجتمعة لا تكاد ميزانيات الدول تقف في وجهها، ولا تستطيع مهما عظُمت؛ فمواردُ الدول محدودةٌ، وموارِدُ إحسانات الأفراد غيرُ محدودة، وإنفاقات الدول مقرَّرة بقرارات وقوانين، وإنفاقات الواقفين عائدة إلى الرغبة في الفوز بجنان الله تعالى، التي توجهها الإحساسات والعواطف والإشراقات. ولذلك، فإن الوقف أبدى قدرة متميزة في تكثير الموارد وتنويعها، فاستطاع بذلك «أن يدخل في كافة مجالات الحياة، فيلبي مطالبها على أكمل وجه وأتم صورة»[2].

ولقد كان لتوظيف الوعظ والتربية بضرب الأمثلة في الدين الإسلامي أثر عظيم في الوصول إلى هذا المبتغى الذي تتطهر به النفسيات من أدرانها، وتحس أن المال ينبغي أن يبقى فيما خصص له في الجيوب، وألا ينتقل إلى الهيمنة على بحبوحات القلوب.

ولذلك، كنا نجد أفراد الأمة عبر التاريخ يتنافسون تنافسًا شديدًا في هذا المضمار، ويسارعون فيه إلى الخيرات بعد أن ترسخ لديهم أن الادخار الحقيقي هو الباقيات الصالحات التي يجدها المرء حينما ينظر إلى ما قدمت يداه، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

(١) أُنظر التخريج نفسه.

(٢) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص ١٩.

(٣) سورة الكهف: آية ٤٦.

Book 01 Final B.indd 46 2/12/2019 11:22:53 PM

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[1].

وإذاً لوحظ، بعد هذا كله، أن خدمات الدول في صورتها العامة لا تكاد تتجاوز إنشاء المدارس والمستشفيات، وتسهيل التنقل ببناء الطرقات ونصب القناطر والجسور، وحفر الآبار وبناء الصهاريج ومد القنوات... وهي الخدمات التي يسعى الوقف لأدائها وزيادة. ولذلك، فإن الوقف حين يشارك الدول في تحقيق ما تسعى لتقديمه لمواطنيها، فإنه يخفف من عنتها، ويهون من مشقاتها، ويكفيها البحث عن موارد المال التي يتحقق بها ذلك.

المبحث الثالث
تنويع الموارد

كثيرًا ما نقرأ في تاريخ الوقف اهتمام الواقفين بمجالات معينة في حياة الناس؛ فمنهم من ولّى وجهه نحو بناء المدارس، ومنهم من اهتم بإطعام الفقراء وكسوتهم، ومنهم من انصرف إلى فكاك الأسرى، ومنهم من توجه نحو إعتاق العبيد والإماء... وهو تنويع في الخدمات يسعى نحو تغطية مجالات الحياة كلها.

وحتى إذا كانت خدمات الوقف تتكرر تبعًا لاتساع رقعة الفئة المستهدفة، فإن التناسب بين حجم الخدمات والجهات المقصودة بالأوقاف كان متحققًا إلى أبعد الحدود؛ فهي تظهر من خلال المقابلة بين الأدوار والوظائف التي تؤديها مؤسسات الدول مجتمعة وبين ما كان يؤديه الوقف منفردًا.

ووقفة خاطفة للمقارنة بين الخدمات التي أداها الوقف في مجال التعليم؛ بناء مدارس، وتجهيز مرافق، وإنفاقًا على العلماء والمتعلمين، وبين ما تؤديه وزارات ثلاث مجتمعة في أيامنا، متمثلة في وزارة التربية الوطنية، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ووزارة الثقافة، لتظهر بوضوح جسامة كتلة الإنفاق الوقفية وتنويع مواردها التي تظهر بجلاء حين القيام بإطلالة على مجالات الحياة الأخرى.

فالوقف حين سلك المسالك كلها، واستهدف مجالات الاحتياج جميعها؛ رأسيًّا بإسهام كل المجتمع «في هذه الأوقاف، بكل ما أوتي من قوة ورغبة وعزم؛ من رجال وشيوخ ونساء وعلماء وأثرياء وقادة وسلاطين... وأفقيًّا حيث تنوعت هذه الأوقاف من مساجد ومستشفيات ومدارس ومكتبات عامة وفنادق... وغيرها»[2]، فإنه يكون قد انطلق من رؤية واضحة تستهدف الإحاطة بكل واجهات الحياة، من خلال تنويع الموارد، وذلك ما جعل المؤسسة الوقفية، عبر التاريخ الإسلامي، أغنى المؤسسات وأثراها.

(١) سورة مريم: آية ٧٦.

(٢) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص ٦.

Book 01 Final B.indd 47 2/12/2019 11:22:53 PM

المبحث الرابع
تحقيق الكفاف مهما تغيرت الظروف

لما كانت الحياة البشرية تطلع على الناس بكثير مما لم يحتسبوه، وتأتيهم بالأنباء التي لم يخطر على البال وقوعها في يوم من الأيام؛ خيرًا أو شرًّا، فإن الدواعي إلى أخذ الاحتياطات اللازمة مما لا تحمد عقباه منها كانت توجب على المسلمين أن يضعوا الحلول المناسبة لما يُعدُّ بعد في رحم الغيب.

ومن ثم، فإنه يتحدد موقع الوقف الذي يعد من دواعي اللجوء إليه الاحتياطُ من تغيرات الظروف التي تتأرجح في كثير من الأحيان بين السلم والحرب، والأمن والفتنة، والعافية والمرض، والخصب والقحط... إلخ. وهي تأرجحات يواجهها الوقف مواجهة تضمن للمحتاجين؛ مؤسسات وأفرادًا، تحقيق سيرهم العادي وكأن تلك المستجدات لم تطرأ على البلاد ولم يعشها العباد.

فالوقف من هذا المنظور يمثل في مستوياته العامة تخطيطًا مستقبليًّا يصبو لأن يكون صمامَ أمَان اجتماعي واقتصادي وثقافي في حياة المسلمين، لا يلتفت إلى التخطيطات المرحلية الخاصة، وإنما يلتفت إلى الكيفية التي تتحقق بها صفةُ الدوام والاستمرار في جميع المجالات الحياتية التي تنتظم في مؤسسات دينية أو اجتماعية أو ثقافية.

فالاختلالاتُ التي يعيشها المجتمع في فترة من الفترات، فتهوي بها مؤسساتُ الدولة وتنحل عراها ويتبدد إشرافُها، تؤدي بالمؤسسات الاجتماعية القائمة بالخدمات إلى السقوط والتحلل أيضًا، ولا سيما إذا كان الارتباط بينها وبين الدولة وثيقًا، فيستدعي سقوطُ مؤسسات الدولة سقوطَ غيرها من المؤسسات. ولما كان الخوف ينتاب مستشرفي المستقبل على المؤسسات الاجتماعية؛ فإنهم قد تولوا الإنفاق عليها من أوقافهم، والحرص على ربطها بالمجتمع أكثر من ربطها بالدول الحاكمة؛ ذلك لأن وجود المجتمع يدوم ولكن وجود الدول ليس بدائم، مهما طالت أعمارها.

ولذلك، فقد ارتبط الوقف بالمجتمع أول مرة ولم يرتبط بالدول القائمة استجابة لتحقيق الكفاف مهما تغيرت الظروف، ولتحقيق الأمن الاجتماعي بتوفير الموارد المالية والغذائية لتسيير المؤسسات الاجتماعية، من غير أن يركن إلى جهات إن يمسَسْها سوءٌ يلحق سوؤُها ما يُطلب دوامُه واستمرارُه.

المبحث الخامس
عمارة الدار الآخرة

يتميز الوقف الإسلامي من غيره من ضروب المبرات بمميزات لا يتميز بها سواه؛ فقد تجمَّع فيه كثير مما تفرَّق في غيره. ولذلك، فإن المسلمين قد حثوا خطاهم نحو اتخاذه مركبًا من أجل الفوز بمردودياته الجسام التي ترد على صاحبه تَترَى ورودًا موصولاً، ومن أجل الظفر بعطائه غير المجذوذ الذي لا يعرف الانقطاعُ إليه سبيلاً. وما كان ذلك منهم إلا لأنهم عرفوا أن الجسورَ ممدودةٌ بينه وبين أنواع الصدقات، والحبالَ موصولةٌ بينه وبين الاهتمام بأمور المسلمين في كل حين.

Book 01 Final B.indd 48 2/12/2019 11:22:53 PM

فالوقف، من حيث ماهيتُه، إنما هو صدقة. ولما كانت الصدقة تخوِّل للمسلم أن يستظل بظلها يوم القيامة، مصداقًا لقول النبي – ﷺ – فيما يرويه عنه عقبة بن عامر رضي الله عنه: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»[1]، فقد حث المسلمون خطاهم نحوه، وأقبلوا عليه إقبال من يعرف ضالَّته فعضُّوا عليه بالنواجذ؛ بناء للدار الآخرة، وتحسينًا لمواقعهم في الجنان.

والوقف من جانب ثان، إنما هو نافلة من النوافل التي يركن إليها المسلم لما يكون الواجب عليه قد لحقه خلل أو مسَّه سوء؛ فقد تكون «تَوْفِيَةً لِصَدَقَةِ الْفَرْضِ إِنْ وُجِدَتْ فِي الْآخِرَةِ نَاقِصَةً»[2]. وهو ما يشير إليه حديث رسول الله – ﷺ – فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ»[3].

فالأعمال كلها تخضع لهذه الآلية التي تنفذ فيها النوافلُ صاحبَها، سواء أكانت النافلة صلاة أم صدقة أم صيامًا أم حجًّا. ولما كان الوقف من نافلة الصدقات، فإن المسلمين وجدوا فيه ضالتهم التي لا تنقطع مردودياتها لما كان صدقة جارية، ولا يتوقف إدرارُها لما كان لا يتوقف عطاؤه بموت صاحبه.

وقد يقول قائل: إن الفرضَ أصلٌ والنفلَ فرعٌ، فكيف للفرع أن يقيم أَوَدَ الأصل؟

إننا نعلم أن الفروع تتجاوز الأصول في كثير من الأحيان. وإن الأولين لم يكن قولهم بهذا الخصوص عبثًا أو ضربًا على غير هدى، حين أشاروا إلى أن شأن النوافل شأنُ المقاسِم؛ «فَإِنَّ الرَّجُلَ يُصِيبُ مِنْ نَفْلِهِ أَفْضَلَ مِنْ سَهْمِهِ»[4]. ومن ثم، فإن بشارة النبي – ﷺ – تفتح الباب على مصراعيه أمام المسلمين من أجل الإكثار من النوافل والطاعات.

وإذا كان الوقف كذلك، فإنه من جانب آخر، يكون هبةً من الهبات، ولا سيما حينما يتعلق الأمر بالأقارب، «فقد يكون هبة وصلة رحم، بحسب نية الواقف والعلاقة بالموقوف عليهم»[5]، مصداقًا لقول النبي – ﷺ – فيما يرويه عنه سلمان بن عامر رضي الله عنه: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى

(١) رواه أحمد، ٥٦٨/٢٨، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٣٣١٠، ١٠٤/٨، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم: ١٥١٧، ٥٧٦/١، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٧٧٥١، ٢٩٧/٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: "كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه"، رقم: ٨٦٤، ٢٢٩/١، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، رقم: ٤١٣، ٢٦٩/٢، والنسائي في كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم: ٤٦٥، ٢٣٢/١، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء "في أول ما يحاسب به العبد الصلاة"، رقم: ١٤٢٥، ٤٥٨/١، وأحمد، ١٧٨/١٣.

(٤) مختصر قيام الليل، المَرْوَزِي، ص ٣٤.

(٥) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص ١٨.

Book 01 Final B.indd 49 2/12/2019 11:22:53 PM

ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»[1].

وكما كان أمر الوقف كذلك، فقد كان أيضًا وسيلة ابتعاد عن النار، التي أخبر الصادق المصدوق أن المتصدقين يكونون في ثلة الناجين منها؛ فهي المهدِّدة عن اليمين، وهي المهدِّدة عن الشمال، والصدقات من المنجيات من ورودها. وقد روى عدي بن حاتم عن النبي ﷺ وصفَه لهذا المشهد المرعب فقال: «ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2].

ولقد تفطن المسلمون بالاستناد إلى إخبار النبي ﷺ، إلى أن باب الصدقة ليس مفتوحًا دائمًا، فستأتي مستجدات في حياة الناس تجعلهم يغتنون فتكثر أموالهم وتنتفي عنهم مظاهر الاحتياج، فيكونون في غنى عن قبول الصدقة. ولذلك، فقد عدُّوا أنفسهم في سباق مع الزمن، فسارع كثير منهم نحو الوقف قبل أن تنقضي مدة القبول، استجابة لأمر النبي ﷺ، فيما يرويه عنه حَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ؛ حيث يقول: «تَصَدَّقُوا، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا، يَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا اليَوْمَ، فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا»[3].

هكذا، تكون قد تحددت الأسس الاجتماعية للوقف، وتحددت معها دواعي اللجوء إليه في حياة المسلمين. وإنها لأسس ودواع تستحضر التاريخ وتستشرف المستقبل وتحرص على مؤسسات المجتمع. ولذلك، فقد كانت سببًا في اعتماد الوقف باعتباره آلية كفيلة بالحفاظ على ما لا تقوم الحياة السوية بدونه.

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة، رقم: ١٨٤٤، ٥٩١/١، والنسائي في كتاب الزَّكَاة، باب الصَّدَقَة عَلَى الأَقَارِبِ، رقم: ٢٥٨٢، ٩٢/٥، وابن أبي شيبة في ما رواه عامر بن سلمان الضبي، رقم: ٨٤٨، ٣٤٥/٢، وأحمد، ١٦٦/٢٦، والدارمي في كتاب الزكاة، باب الصدقة على القرابة، رقم: ١٧٢٢، ١٠٤٦/٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، رقم: ١٤١٣، ١٠٨/٢، ومسلم في كتاب الكسوف، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم: ١٠١٦، ٧٠٣/٢، والترمذي في صِفَة الْقِيَامَة وَالرَّقَائِق وَالْوَرَع عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ، باب فِي الْقِيَامَة، رقم: ٢٤١٥، ٦١١/٤، وابن ماجة في كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَاب فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، رقم: ١٨٥، ٦٦/١، وأحمد، ١٨٠/٣٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، رقم: ١٤١١، ١٠٨/٢، ومسلم في كتاب الكسوف، باب الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها، رقم: ١٠١١، ٧٠٠/٢، والنسائي في كتاب الزَّكَاة، باب التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ، رقم: ٢٥٥٥، ٧٧/٥، وأحمد، ٢٥/٣١.

Book 01 Final B.indd 50 2/12/2019 11:22:53 PM

الباب الثاني
الوقف الإسلامي
في مواجهة تحديات الحياة

Book 01 Final B.indd 51 2/12/2019 11:22:53 PM



الفصل الأول
الوقف الإسلامي يواجه مشكلات المجال الديني

المبحث الأول: الوقف على خدمة القرآن والسنة النبوية

المبحث الثاني: الوقف على المساجد

المبحث الثالث: أوقاف على الصائمين

المبحث الرابع: أوقاف على الحجيج

Book 01 Final B.indd 53 2/12/2019 11:22:54 PM



تمهيد:

تتخذ تحديات الواقع سِمات مختلفة؛ بحيث إن المرء كلما استدار وجدها طالعة عليه بوجهها الكالح، فهي لا تكاد تغادر موقع قدم من مجالات الحياة، ولا تغفل حالاً من أحوالها، فتتأرجح بين الديني والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والعمراني والبيئي... إلخ، وهو الأمر الذي يستوجب البحث الدؤوب عن الحلول المناسبة للمشكلات التي استعصت كثيرًا، حتى غدت في صور معضلات تتجاوز بني الإنسان في كثير من الأحيان.

إن للوقف الإسلامي القدرة الباهرة على تحقيق الخلاص مما تراكم في الحياة من مشكلات وأزمات؛ فقد كانت له تجارب مع مشاهد شبيهة بما نحن فيه، وإن لم تكن قد نالت من التعقيد الدرجة التي تسبب الشظف والشقاء والعنت والبؤس الشديد؛ بحيث إن الإنسان، وإن صارت الحياة تحقق له كثيرًا مما يريد، فبدا بمظهر من تقدم على أسلافه، فإن سعادته يكسوها شقاء، وراحته يحيط بها كد وعناء.

وستتولى الفصول اللاحقة بيان هذه الحقائق؛ مشكلات وحلولاً، وليكن ما نريده منها متمثلاً في الآتي:

المبحث الأول
الوقف على خدمة القرآن والسنة النبوية

سنقتصر في هذا المبحث على نماذج تطوف بنا شرقًا وغربًا، وتمكننا من رسم صورة للوقف الإسلامي على كتاب الله- تعالى- وسنة نبيه - ﷺ - يشهد فيها الشاهد للغائب، وتتبين من خلالها الكيفية التي تغلَّب بها الوقف على المشكلات الراهنة التي تعترض الأمة في هذا المجال.

لقد أبدى المسلمون في العصر الحديث من العزم القوي على خدمة القرآن الكريم ما يبهر العيون ويشد الألباب، فاستفادوا في ذلك من مستجدات الحياة ومستحدثات العلوم. وقد سلكت الأوقاف بهذا الخصوص مسالك تتضافر فيها جهود التقنيات، وتتآزر فيها عطاءات الروافد، فكان الأمر على الصورة الآتية:

١- إنشاء مطابع وقفية خاصة بالمصحف

لقد كان من ذلك ما جاءت به الهيئة العامة للأوقاف بالسودان حين أنشأت «مشروع دار الأوقاف للطباعة الذي يقدم ما تحتاج إليه المطبعة من مبان وآلات للطباعة الحديثة. وهي تعنى بشكل خاص بطباعة القرآن الكريم وترجماته إلى اللغات السائدة في إفريقيا»[1]. وهو مسلك عظيم يبدي من الحنكة في تدبير مال الوقف درجة استشعار الأمانة والمسؤولية في ذلك؛ فحتى لا تستهلك أموال الوقف في تسديد نفقات الطباعة التي تدرج فيها أرباح المطبعات التجارية، لجأت الهيئة إلى إنشاء

(١) الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، ص ٢٩٦-٢٩٧.

Book 01 Final B.indd 55 2/12/2019 11:22:55 PM

مطبعة خاصة بها تتولى طبع المصحف وغيره بتكاليف يهون قدرها حين تقارن بما تتطلبه المطابع التجارية من تكاليف.

٢- إنشاء أسهم وقفية لترجمة معاني القرآن وطباعته وتوزيعه

وللوصول إلى مبتغى ترجمة معاني القرآن وطبعه، فقد أنشئت أسهم وقفية في بلدان مختلفة، منها سهم النور، وهو مشروع وقفي خيري عالمي مسجل في هيئة لبوان في ماليزيا، ويعمل من خلال الجمعيات والهيئات والمؤسسات الممثلة له في الدول المختلفة. وهو عبارة عن سهم وقفي قيمته ١٢٠ دولارًا، يستثمر منه ٧٥٪ في مشروعات متنوعة ذات عوائد مجزية من خلال مصارف وشركات استثمار مرخصة ومتخصصة، ويغطَّى بالباقي مصاريف التشغيل والدعاية والإعلان، فتحافظ على قيمة السهم الوقفية، وتحقق ريعًا مستمرًا يخصص لطباعة مصحف وتوزيعه باسم مالك السهم كل عام.

ولقد استطاعت المنظمة المشرفة على هذا السهم أن توزع كمًّا هائلاً من المصاحف، بلغ مجموعُه سبعَمائة وثمانين ألف مصحف في إحدى عشرة دولة حول العالم[١]، هي: إثيوبيا، وجزر القمر، وقرغيزيا، واليمن، وأندونسيا، والسودان، وكينيا، وأوغندا، وتشاد، والصين، ومصر.

وهو ما يشبه ما قامت به الهيئة العامة للأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة حين أنشأت مشروع طباعة القرآن الكريم. وهو «عبارة عن سهم وقفي خيري قيمته (٢٥) درهمًا، يستثمر في طباعة القرآن الكريم وتراجم معانيه، وتتكفل الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بالطباعة والنشر والتوزيع»[٢].

وليس بعيدًا عن هذا ما نجد أن الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم قد اعتمدته في أداء واجبها تجاه كتاب الله تعالى، حين سعت «لتوفير جميع النفقات من خلال إيجاد عدد من الأوقاف القرآنية»[٣]، التي مكنتها من تحقيق إنجازات مختلفة يرد على رأسها أنها استطاعت توزيع عدد من المصاحف يقدر بـ٧٧٤,٨٩٧ مصحفاً، كما وفرت معها ترجمة معاني كلمات القرآن الكريم إلى كثير من لغات العالم (إنجليزي- فرنسي- أوردو- مليباري- بنغالي، وغيرها). وهو ما كان سببًا في افتتاحها عشرين فرعًا بالمملكة العربية السعودية لوقف المصاحف ووسائل تعليم القرآن الكريم[٤].

(١) أُنظر موقع سهم النور على الرابط: www.sahmalnour.org/newsletter، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٣م.

(٢) أُنظر الرابط: www.awqaf.gov.ae/Page.aspx ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٣م.

(٣) كتيب التعريف بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، ص ٥٨. على الرابط: www.hqmi.org.sa، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٨م.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٨.

Book 01 Final B.indd 56 2/12/2019 11:22:55 PM

٣- إبداع مصاحف للمكفوفين

لما كان الوقف الإسلامي في أصله عملاً خيريًّا، فإنه كان يتوق إلى الوصول إلى كل الفئات، حتى لا يحرم أجرها. وبخصوص إيصال المصحف إلى الفئات المختلفة، فإنه كان يطرح مشكلاً أمام الواقفين حين يتعلق الأمر بمن لا قدرة لهم على تلاوته لفقدانهم آلة الإبصار. ولذلك، فإننا نرى عزم المؤسسات الوقفية المعاصرة على تحقيق هذا المبتغى الذي يفرج الكروب، ويجلب الأجر ويمحو الذنوب، ويمكّن من ابتُلي من الاستفادة مما يستفيد منه الأصحاء؛ فقد استطاع سهم النور —مثلا- «توفير مصاحف للمكفوفين»[١] ممن لا قدرة لهم على قراءته بالطريقة المتعارفة بين الناس.

٤- تحفيظ القرآن الكريم والاهتمام بحفظته

لم يتخذ الوقف المعاصر طبع المصحف مبتغاه الوحيد، فجعل من أولوياته تحفيظ كتاب الله، فبلغ عدد من جمعوا القرآن من طلبة الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم وحدها ٤٩,١٤٨ حافظًا وحافظة[٢]، وصار منهم ٨,٤٤٩ إمامًا[٣]. وإكرامًا لهذه الفئة التي هي من الكرام البررة، فإن الهيئة تقدم لها كسوة العيد وذبيحته في شتى أنحاء العالم[٤]. كما تخصص لها ٧٦٧٤ منحة[٥]، إسهامًا منها في تحرير الطلاب من الانشغالات اليومية العادية.

٥- إنشاء كليات ومعاهد قرآنية ودعمها

ولقد استطاع الوقف المعاصر أن ينشئ كليات ومعاهد قرآنية تمنح الشهادة الجامعية المتخصصة في القرآن الكريم وعلومه[٦]. وذلك كالذي أنجزته الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم في طاجكستان، واليمن، والصومال، وغانا، وتشاد[٧]، إضافة إلى إنشائها ستة وستين معهدًا في مختلف دول العالم[٨].

وهي في كل ذلك تتابع سير الدراسة تتبعًا يقوم على وضعها عددًا من المناهج التعليمية والتربوية لطلاب الكليات القرآنية ومدرسيهم[٩]، حرصًا منها على أن يكون المردود متميزًا والأجر ثابتًا بحول الله تعالى.

---

(١) أُنظر هذا على الرابط: www.sahmalnour.org/newsletter، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٣م.

(٢) كتيب التعريف بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، ص ٣٦. على الرابط: www.hqmi.org.sa، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٨م.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٧) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٨) المرجع السابق، ص ٣١.

(٩) المرجع السابق، ص ٤٦.

Book 01 Final B.indd 57 2/12/2019 11:22:55 PM

٦- استثمار التقنيات الإلكترونية الحديثة

من أجل أن يساير حفظة كتاب الله -تعالى- مستجدات العصر ويستفيدوا من عطاءات التكنولوجيا الحديثة وخدماتها في مجال اهتمامهم، فقد وفّر لهم الوقف مواقع إلكترونية تشتمل على كل ما يحقق بغياتهم، وذلك كالذي أبدعته الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، حين وفرت مقرأة إلكترونية تحت عنوان: quranschool.net من أجل «استخدام التقنية الحديثة والوسائل المتطورة في نشر كتاب الله»[١]، كما وفرت قناة أهل القرآن الفضائية التي تبث برامج لها صلة بمجال اهتمامها.

٧- عقد المؤتمرات والملتقيات

عرف الوقف أهمية عقد المؤتمرات والملتقيات فقصدها باهتمام بالغ، ورصد لها النفقات المناسبة، ودعا المهتمين بخدمة القرآن الكريم إليها. وهو ما تصرح به الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم حين تقول: «وبعد النجاح الذي حققته الملتقيات العلمية ترسخت لدى الهيئة أهمية إقامة المؤتمرات القرآنية، التي تضم في جنباتها خلاصة الفكر والتجارب العلمية والعملية لأساليب الارتقاء بالتعليم القرآني»[٢].

٨- الوقف يخدم السنة النبوية

تأتي سنة النبي - ﷺ - بعد القرآن الكريم، ولذلك، فقد أولاها الوقف الإسلامي درجة عالية من الاهتمام. ومن ذلك أن تعقد لها المؤتمرات والندوات، وتخصص لها الجوائز الثمينة من أجل دراستها وحفظها وتداولها.

والمتصفح للأعمال المهتمة بسنة النبي ﷺ، ليجد جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود تتصدرها. وهي جائزة أسست تحقيقًا لرغبة راعيها في تبني جائزة عالمية عن السنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة؛ حيث ابتغى منها «الأجر والثواب من الله جل وعلا. لذا فهذا العمل عمل خيري يتم الصرف عليه من حساب سموه الخاص»[٣].

وإذا كان القسم الأول من قسمي الجائزة يرصد مواضيع لدراستها من لدن الباحثين المتسابقين على الجائزة، فإن القسم الثاني منها اهتم بحفظ الحديث النبوي الشريف، مستهدفًا «الناشئة والشباب من طلاب المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المملكة العربية السعودية»[٤].

ولقد حدد القائمون على هذه الجائزة أهدافها في ربط الناشئة والشباب بالسنّة النبوية

(١) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) - أُنظر الموقع على الرابط: http://www.naifprize.org.sa/displaypage.aspx ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٨م.

(٤) - المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 58 2/12/2019 11:22:55 PM

وتشجيعهم على العناية بها وحفظها وتطبيقها، والإسهام في إعداد جيل ناشئ على حب سنّة النبي ﷺ، وشغل وقت الناشئة والشباب بما يفيدهم؛ دينًا وعلمًا وخُلقًا[1].

وإذا كان الوقف قد سلك هذا المسلك في خدمة السنة النبوية الشريفة، فإنه يُرى وقد حث خطاه من أجل عقد الندوات واللقاءات الثقافية المتعلقة بهذا الجانب الجلل من الدين والدنيا. وليس أدل على ذلك من الندوة التي نظمتها الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت في ملتقاها الوقفي الحادي والعشرين بتاريخ: ٢١-٢٢ ديسمبر ٢٠١٤م، ووسمت شعارها بـ"السيرة النبوية برعاية وقفية: رؤية مستقبلية لتجارب الوقف في السيرة النبوية"[2].

لقد وضح من المشاهد التي أوردناها بخصوص الوقف على خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ أن كل التحديات المعيشة والمحتملة التي يمكن للمجتمع أن يعيشها بهذا الخصوص، يتم الإسهام في التغلب عليها والسيطرة على أسبابها باعتماد الوقف وتسخيره في تلك؛ الوجوه المختلفة.

المبحث الثاني
الوقف على المساجد

ليس عبثًا أن نلحظ نبينا الكريم محمدًا -صلوات ربي وسلامه عليه- لا يقدم عملًا، بعد هجرته من مكة إلى المدينة، على بناء المسجد، فحث خطاه نحو تخصيص بقعة أرضية له، وشمر عن ساعده من أجل اقتنائها بثمنها، ولكن أصحابها سارعوا إلى أن يجعلوها قربة من القربات؛ فقد روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - لما قدم إلى المدينة «أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا. قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ»[3].

فكان الوقف -كما يشير الأستاذ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله- «أهم مورد مالي رُصد لحياة المسجد ليستمر بكل ما يتعلق بالشؤون الإسلامية»[4]، فبه ووجهت مشكلات المجال الديني في هذا الجانب عبر قيامه بوظيفته الاجتماعية، وبه وجدت الحلول للمشكلات التي كانت تعاني منها دُور العبادة لدى أقوام آخرين.

إن هذا المسار التاريخي القائم على ارتباط الوقف بالمسجد ستكون له امتدادات عظيمة في العصر الحديث؛ حيث إنه يمثل مثيرًا نفسيًا يحرك دواخل الخلف من أجل مواصلة المسير على

(١) - المرجع السابق.

(٢) - أُنظر الموقع على الرابط: http://www.awqaf.org.kw/sites/Multaqa ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٤م.

(٣) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب وقف الأرض للمسجد، رقم: ٢٧٧٤، ١٢/٤، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ، رقم: ٥٢٤، ٣٧٣/١، وأبو داود في كتاب الصَّلَاة، باب في بِنَاء الْمَسَاجِد، رقم: ٤٥٣، ١٢٣/١، والنسائي في كتاب الْمَسَاجِد، باب نَبْش الْقُبُور، وَاتِّخَاذ أَرْضهَا مَسْجِدًا، رقم: ٧٠٢، ٣٩/٢، وابن مَاجَة في كتاب الْمَسَاجِد وَالْجَمَاعَات، باب أَيْنَ يَجُوزُ بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ، رقم: ٧٤٢، ٢٤٥/١، وأحمد، ٤٣٠/٢٠.

(٤) الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، ٥٧/٢.

Book 01 Final B.indd 59 2/12/2019 11:22:55 PM

الطريق الذي سلكه السلف، بتجديده وتطويره، قاصدين البر في ذلك من أجل مواجهة المشكلات الخاصة بهذا الجانب؛ حيث نجد من ذلك إقامتهم مشروعات لبناء المساجد وتجهيزها والاهتمام بها، تتجاوز الحصر وتعلو على الإحصاء. وسنفصل القول بخصوص هذا الأمر في الفقرات الآتية:

١- الوقف على بناء المساجد

تخصيص المسلمين أوقافًا لبناء المساجد شائع ذائع في كل ربوع بلاد الإسلام. ولهذا فإن تخصيص فقرة لهذا الأمر يكون من باب تحصيل الحاصل؛ ذلك لأن هيئة واحدة من هيئاتهم الكثيرة والمنتشرة، متمثلة في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، إذا كانت قادرة على أن تبني ٨٩ مسجدًا في ١٤ دولة، فاستفاد منها ٣٧٤٥٧٧ فردًا[١]، وتمكنت «من شراء الأرض لتقيم عليها مشروعًا وقفيًّا يعود ريعه لبناء وخدمة ٣٧٠ مسجدًا في ١٨ دولة بتكلفة قدرها ٢٨ مليون (ر. س)[٢] سنويًّا، إضافة إلى أن تكلفة الإنشاء تبلغ ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ (ر. س)»[٣]، فإن أمر الحديث عن هذا الجانب يطول.

ولقد لجأت الهيئة، من أجل إنجاز هذه المشاريع، إلى أوقاف المحسنين؛ حيث تمكنت من شراء قطع أرضية بمكة المكرمة تبلغ مساحتها ١١٤٠٠متر مربع، لتنشئ عليها مشروعًا تجاريًّا سكنيًّا مكونًا من أحد عشر دورًا، يدر سنويًّا ٢٠٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي. كما أنشأت أسهمًا وقفية منها السهم الذهبي وقيمته ١٠٠٠ ريال سعودي، والسهم الفضي، وقيمته ٥٠٠ ريال سعودي[٤].

٢- إنشاء أسهم على فرش المساجد خاصة

وفيما يخص فرش المسجد، فقد أعلنت الهيئة العامة للأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة عن مشروع يخص هذا الجانب، فجعلته سهمًا وقفيًّا قيمته (١٠) دراهم يخصص ريعه للصرف على فرش المساجد، مستهدفة بذلك تهيئة الفرصة للمجتمع المسلم من أجل الفوز بثواب الصدقة الجارية، وإشراكه في مشروعاتها الخيرية المتطلَّع بشأنها إلى الدوام والاستمرار[٥].

٣- أوقاف على صيانة المساجد

لقد وُجد من الواقفين من بذل جهدًا محمودًا في الوقف على بعض المساجد فقد أعلنت إدارة أوقاف الراجحي أنها قامت «ببناء عدد من المساجد وفرشها وتكييفها وصيانتها وتقديم الخدمات المتعلقة بها. وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذا المشروع حتى العام ١٤٣٣هـ ٥,٢٧٤٨٩٨ (ر. س) »[٦].

(١) التقرير السنوي ١٤٣٣- ١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٥.

(٢) (ر. س): تعني ريال سعودي.

(٣) أُنظر الرابط: http://almeshkat.net/vb/showthread.php، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١١م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) أُنظر موقع الهيئة على الرابط: http://www.awqaf.gov.ae/Page.aspx ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٣م.

(٦) أُنظر موقع إدارة أوقاف الراجحي على الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 60 2/12/2019 11:22:55 PM

وإلى جانب هذا الإجراء، فقد لجأت هيئات أخرى إلى إجراءات تختلف عن هذا قليلا، ولكنها لا تغادر فضاء الأوقاف إلى غيره؛ فقد أنشأت الهيئة القطرية للأوقاف «المصرِفَ الوقفي لرعاية المساجد»، معتمدة فيه أوقاف أهل الخير، وموجهة إياه لبناء المساجد وصيانتها والقيام بإجراءات التوسعة في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي، «وإدارة وتغطية احتياجات المساجد ومتطلباتها من الأجهزة والمعدات التي تساعدها على أداء رسالتها، ودعم مكتبات المساجد وتوفير ما يلزمها من مصاحف وكتب مناسبة»[1].

إن لائحة خدمات الوقف الإسلامي للمساجد؛ اقتناء، وبناء، وتجهيزًا، لا يكاد يعدها العاد ولا يدركها المحصي. وبذلك يتضح أن هذا الوقف قادر على مواجهة كل مشكلة قد تظهر في هذا المجال في حياة الناس اليوم.

٤- الوقف يخدم القائمين على خدمة المساجد

أبرز مثال على هذا الأمر العظيم الذي يكرَّم به خدامُ بيوت الله- تعالى- ما حققته لهم الأوقاف في المغرب؛ فجولةٌ في موقع مؤسسة محمد السادس للنهوض بالأعمال الاجتماعية للقيِّمين الدينيين، لتبين أن القيِّمين على المساجد؛ أئمةً وخطباء ومؤذنين، صار لهم وضع اجتماعي لم يكن معهودًا من قبل؛ حيث إن القرارات الصادرة عن الوزارة غدت مهتمة بهم اهتمامًا لافتًا، منطلقة من أمر ملكي تستشف بعض ملامحه من الخطاب الملكي بمدينة تطوان ليلة القدر المباركة من عام ١٤٢٩هـ؛ حيث ورد فيه: «ويأتي البُعد الاجتماعي، كركن ثالث في مخططنا الإصلاحي (...) ومن ثمة كان قرارنا بإحداث مؤسسة محمد السادس للنهوض بالأعمال الاجتماعية للقيِّمين الدينيين، تجسيدًا لعنايتنا الموصولة بأحوالهم، وحرصًا منا على توفير الوسائل الكفيلة بتحسين أوضاع هذه الفئة العاملة في انضباط ونكران ذات»[2].

ولذلك، فقد أصبح عملهم منظمًا بقانون يرعاهم إذا أصيبوا بعجز دائم، فيخصِّص لهم مبلغًا شهريًّا «يساوي ثلاثة أرباع المكافأة، أو ثلاثة أرباع المكافآت التي يتقاضونها من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية»[3].

كما أصبح القيّمون الدينيون وأراملهم وأيتامهم يستفيدون من إعانة خاصة بعيد الأضحى، تبلغ

(١) كتيب المصارف الوقفية: الرسالة والمهام، ص ٢٥-٢٦. عن موقع الهيئة القطرية للأوقاف: http://www.qcharity.com، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٧م.

(٢) اُنظر الرابط: www.alqayyim.com، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٦م.

(٣) اُنظر قرار وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، رقم: ١١/٢٣٥٨، على الرابط: www.alqayyim.com، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٦م.

Book 01 Final B.indd 61 2/12/2019 11:22:55 PM

٣٥٠ درهمًا، ويستفيدون من إعانة خاصة بالزواج لأول مرة تقدر بألف درهم[١].

وفيما يخص التغطية الصحية فقد صدر الأمر الملكي بتعزيز «مكسب تمكين القيّمين الدينيين من التغطية الصحية بإيجاد هيئة مكلفة بأحوالهم الاجتماعية العامة»[٢]. ولذلك، فقد انكبَّت الوزارة خلال سنوات (٢٠١٢-٢٠١٤م) على استكشاف الأنظمة المعتمدة في مجال التغطية الصحية والمؤسسات التي تعرض أنظمة لها، وإعداد نظام للتعاقد خاص بالقيِّمين الدينيين الذين بلغ عدد المنخرطين منهم «في نظام التغطية الصحية وزوجاتهم وأبنائهم المتمدرسين دون سن ٢١ سنة ١٩٠٠٤٢ مستفيدًا»[٣].

وبخصوص النقل والمواصلات، فقد أصبح القيّمون الدينيون يستفيدون هم وأزواجهم وأبناؤهم - الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٢ و١٨ سنة - من تخفيضات تفضيلية على التعرفة العمومية، المطبقة على السفر بالدرجة الأولى والثانية على متن قطارات الخط الحالية، وعلى متن حافلات CTM[٤].

ولم تهمل المؤسسة جانب شعيرة الحج، فعملت «بتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على تنظيم موسم الحج لفائدة القيّمين الدينيين الذين يمارسون مهام دينية، وهم الأئمة والخطباء والمؤذنون، وفق ما تم تسطيره في خطتها الاستراتيجية لسنوات (٢٠١٢-٢٠١٤م)[٥].

وكذلك كان الشأن في مجالات السكن والتسوق. وكما صار القيّمون يستفيدون من هذه الخدمات، فإن المؤسسة لم تهمل أحوال أولادهم الدراسية، فصارت تقدم لهم إعانات للمدرسين منهم «أو الذين يتابعون دراسات عليا أو تكوينًا مهنيًا مكلِّفًا إلى غاية بلوغهم سن ٢٥ سنة كاملة»[٦].

ولكي تسلك المؤسسة بأولاد هذه الفئة مسالك الاجتهاد والنجاح والفلاح، فقد خصصت للمائة الأوائل وطنيًّا منحة التفوق الدراسي تحت شعار: "رضًى بما يصنع"، وتبلغ قيمتها ألف درهم كل شهر طيلة عشرة أشهر في السنة، على مدى خمس سنوات[٧].

إنها لخدمات جليلة، وإنها لرغبة أكيدة في الانتقال بخدام بيوت الله -تعالى- من مستويات اجتماعية كانوا يعيشون فيها الشظف وقلة ذات اليد، إلى مستويات أخرى يتفيؤون فيها في ظلال العطاء غير المجذوذ الذي بذل فيه الواقفون جهودهم من أجل التيسير على المجتمع وحل مشكلاته.

(١) أُنظر قرار وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، رقم: ١١/٢٣٥٧، على الرابط: www.alqayyim.com ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٦م.

(٢) أُنظر هذا على الرابط: http://www.alqayyim.com. ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٦م.

(٣) أُنظر قرار وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، رقم: ١١/٢٣٥٧، على الرابط: www.alqayyim.com ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٦م.

(٤) أُنظر الرابط: http://www.alqayyim.com، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٦م.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 62 2/12/2019 11:22:56 PM

المبحث الثالث
أوقاف على الصائمين

استحضر الواقفون فريضة الصوم، فاستحضروا من خلالها أحوال الصائمين التي تكون عادة متفاوتة بينهم؛ غنى وفقرًا، وسفرًا وحضرًا، وإقامة وغربة؛ فإذا كان الصوم فريضة واجبة على المسلم ما لم يكن لديه عذرٌ يحُول بينه وبين أدائها، فإن الواجب أن يسانَد وأن يخفف عنه العنت وترفع عنه المشقات.

فإذا وقفنا على ما يقدمه الواقفون للصائمين، تبين لنا أن التكافل والتعاون في المجتمع الإسلامي يحظيان بموقع جيد جميل؛ حيث يبذل المرء بعض ماله من أجل أن يرفع عن المحتاجين ما يجدونه من الحوائل والموانع، فيظفر معهم بأجر ثمين وعطاء عند الله عظيم؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، قوله: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»[1].

وتتبيَّن صورة الوقف على الصائمين، من خلال المسالك الآتية:

أ- إفطار الصائمين خلال شهر رمضان:

فقد وُجد من الواقفين من اهتم بالصائمين خلال شهر رمضان؛ حيث تكون الأجور مضاعفة كثيرًا، مصداقًا لما ورد في حديث النبي ﷺ، فيما يرويه عنه أنس بن مالك، حين سأله السائل عن أفضل الصدقة، فقال: «صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ»[2].

فهذه أوقاف الراجحي، تجعل من برامجها برنامجًا خاصًا بإفطار الصائمين، فتقوم سنويًا، منذ تأسيسها، «بتوزيع وجبات إفطار الصائمين وتقديم وجبات السحور في الحرمين الشريفين، وبعض المساجد والأحياء في شهر رمضان المبارك».

وهذه هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، نراها قد استطاعت تنفيذ مشروعها الرائد المتمثل في «"إفطار الصائم" لعام ١٤٣٤هـ، في ١٦ منطقة من مناطق المملكة، عن طريق الكوبونات مسبقة الدفع التي تعطي المحتاجين حرية التسوق وشراء احتياجاتهم من المحلات التجارية التي تعاقدت معها الهيئة. وقد بلغت تكلفة المشروع ٨١٧٥٠٠٠ (ر.س)، واستفاد منه أكثر من ١٣٣ ألف شخص»[3].

ومن أهل الوقف والصدقات الجارية من لم يسلك هذا المسلك فيتردد على الصائمين في كل يوم، فلجأ إلى إنشاء مشروع السلة الغذائية الرمضانية؛ حيث يقصد أسرًا بعينها يشترط فيها أن تكون

(١) رواه الترمذي في أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائمًا، رقم: ٨٠٧، ١٦٢/٣، وابن ماجة في كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائما، رقم: ١٧٤٦، ٥٥٥/١، وأحمد، ٢٦١/٢٨.

(٢) رواه الترمذي في أبواب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم: ٦٦٣، ٤٢/٣، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الصيام، باب الجود والإفضال في شهر رمضان، رقم: ٨٥١٧، ٥٠٣/٤.

(٣) اُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 63 2/12/2019 11:22:56 PM

من أهل الحاجة. وفي هذا المنحى وجَّهت جمعيةُ "ينابيع الخير اليمنية" وقفها الخيري الذي يتمثل في «سلة تحتوي على العديد من المواد الغذائية تقوم المؤسسة سنويًّا بتوزيعها على الأسر الفقيرة خلال شهر رمضان المبارك في عدد من المناطق. وقد بلغ عدد المستفيدين من المشروع، حتى عام ٢٠١٣م، ١٨٢٦ أسرة»[١].

وهو ما نرى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية قد اعتمدته في العديد من الدول الآسيوية والإفريقية؛ حيث إنها تمكنت من توزيع «٣٢,٢١١ سلة غذائية تحتوي على العديد من الأطعمة المتنوعة بمبلغ ٥١١,٣٠٠٠ (ر.س)»[٢].

ب- إفطار الصائمين يومي الإثنين والخميس

ولكي تكون التغطية شاملة للأيام التي يكون فيها الصوم فرضًا أو مندوبًا إليه، فقد جعلت إدارة أوقاف الراجحي من فقرات برنامج إفطار الصائمين فقرةً خاصة بإفطار من كان صائمًا يومي الإثنين والخميس؛ حيث تقوم «بتوزيع التمر والقهوة على الصائمين يومي الإثنين والخميس بالحرمين الشريفين»[٣].

ولعل الوقف على إفطار الصائمين في هذين اليومين يجد سنده في قول النبي ﷺ، فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»[٤]. وذلك ما يطمح إليه الواقفون وكل من اشتغل في أفلاكهم.

إن الصوم صبر، وإن الصبر إذا لم يجد ما يعضدُّه ويساندُه يؤول في كثير من الأحيان إلى التراجع والفتور. ولذلك فقد عزم الواقفون على شد عضد الصائم ودعمه بالتخفيف عنه من متاعب تجهيز فطوره.

المبحث الرابع
أوقاف على الحجيج

انتبه أهل الوقف إلى الحجيج من أجل إصلاح أوضاعهم، فأولَوا ذلك من الاهتمام ما يلفت الأذهان ويشد الأبصار. ولكي نتبين الصورة الجليلة التي أخذ فيها الوقف على نفسه أن يهتم بأحوال ضيوف الرحمن، فإننا نفضل أن نقف على الخدمات التي صار يؤديها لهم، بغية حل المشكلات التي قد يعانونها، متمثلاً في الآتي:

(١) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٩.

(٢) كتيب ينابيع الخير الخيرية، على الرابط: www.yanabaa.org.

(٣) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٣٠.

(٤) اُنظر الرابط: www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 64 2/12/2019 11:22:56 PM

أ- إسكان الحجيج

حين يخرج الحاج من داره ويفارق أهله وخلانه يصير غريبًا في كل مدينة يحل بها، مما يجعله في فوهة مشكلات جمة ترد عليه تترى إن لم يوجد من يقوم بتوجيهه وإصلاح حاله. ولهذا نجد الوقف الإسلامي قد التفت إلى إسكان الحجيج، قبل مغادرة وطنهم، متوجهين نحو بيت الله الحرام. وهو ما أخذته الهيئة العامة للأوقاف بالسودان على نفسها؛ حيث أبدعت مشروعًا متخصصًا تمثل في «إسكان الحجيج الذي يهدف لإقامة مساكن للحجاج القادمين من المدن والقرى السودانية المختلفة إلى ميناء بورسودان في طريقهم إلى الديار المقدسة، وذلك بقصد تقديم المأوى المؤقت لهم ريثما تتم إجراءات سفرهم»[1]، رغبة في رفع العنت والمشقة عن الحجيج، وطمعًا في الفوز بثواب الله تعالى.

ب- توزيع الطعام على الحجيج بمكة والمدينة المنورة

إن الزائر لهاتين البقعتين الطاهرتين يلحظ بأم عينه تلك الشاحنات الكبيرة التي ترسو على جنبات الطريق، فتوزع منها الأطعمة على من يحتاج إليها من ضيوف الرحمن. ومن ذلك ما تقوم به أوقاف الراجحي، ولا سيما خلال عشر ذي الحجة الفاضلة، موظفة لهذا الغرض المطابخ والمخابز الخيرية بكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومشغلة إياها ذاتيًّا لتنفيذ مشروعات توزيع الطعام.

وقد بلغت نفقات البرامج التي وضعتها إدارة أوقاف الراجحي لخدمات الحجيج؛ متمثلة في برنامج تيسير مناسك الحج للفقراء، وبرنامج تيسير أداء مناسك الحج، وبرنامج تيسير مناسك الحج للحجاج من خارج المملكة، ١٢,٢٠٥٠٠٧ ريال سعودي، واستفاد منها جميعًا ٢٠,٢٠٧ مستفيدين، خلال الفترة المحصورة بين ١٤٢٩هـ و١٤٣٣هـ.

إن هذه الخدمات التي صار الوقف الإسلامي المعاصر يسديها لضيوف الرحمن قد يكون منها الضئيل الصغير، كما يكون منها العظيم الكبير، ولكنها في كلتا الحالتين تفرِّج همًّا عن الحاج، وتبدد غمًّا عمن لا حيلة له ولا قوة، فترفع عنتًا، وتزيح وعثاء، وتواجه مشكلة من مشكلات المجال الديني، حتى لا تُثَبَّط العزائمُ، ولا تخورَ الهِمم.

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم: ٢٥٦٥، ١٩٨٧/٤، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في من يهجر أخاه المسلم، رقم: ٤٩١٦، ٢٩٤/٤، والترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس، رقم: ٧٤٧، ١١٣/٣. واللفظ له.

Book 01 Final B.indd 65 2/12/2019 11:22:56 PM



Book 01 Final B.indd 66 2/12/2019 11:22:57 PM

الفصل الثاني
الوقف الإسلامي يحل المشكلات الاجتماعية

المبحث الأول: الوقف يحمي الأسرة من التفكك

المبحث الثاني: الوقف يخفف من حدة الاحتياج

المبحث الثالث: الوقف يجتهد في محو الأمية

المبحث الرابع: الوقف يواجه البطالة ويُوفر فرص الشغل

المبحث الخامس: الوقف يقي من التعاطي للمخدرات وينقذ المدمنين

المبحث السادس: الوقف يساند اللاجئين والمنكوبين

المبحث السابع: مسالك الوقف تحقق الأمن الفكري

Book 01 Final B.indd 67 2/12/2019 11:22:57 PM



المبحث الأول
الوقف يحمي الأسرة من التفكك

إذا انصرف الواقفون المحدَثون باهتمامهم إلى الأسرة من أجل حمايتها من الشظايا التي تتساقط عليها في كل حين، فإنهم يكونون قد أسدوا إليها معروفًا لا ينكر.

لقد كان الوقف قديمًا في غنى عن تقديم هذه الخدمات، بل إنه كان في غنى عن التفكير فيها وشغل الأذهان بها؛ ذلك لأن الأسرة حينئذ كانت متماسكة لا تعرف تصدعات ولا تعيش توترات على الصورة التي يعيشها المجتمع اليوم. ولذلك، فإن متاعب جديدة ذات أوزان ثقال توضع على عاتق الوقف الحديث، فترى أهله قد هرولوا نحو إنقاذ ما يمكن إنقاذه، بدعم الأواصر بين أفراد الأسرة الواحدة، وتوطيد العرى بين الأبناء والآباء، بإشعارهم بمسؤولياتهم تجاه هذا البناء الذي إن مسه مكروه -لا قدر الله- تصير الحياة بعيدة عن الصلاح، وتغدو السبيل إلى التوازن غير سالكة. ومن جميل صنيع الواقفين بهذا الخصوص ما يأتي:

أ- مشروع الصرف على الأرحام ورعايتهم

من المشروعات الجادة في هذا الباب مشروع "ساهم معنا في صلة الأرحام"، الذي أعلنت عنه الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة؛ حيث أنشأت سهمًا وقفيًّا خيريًّا «قيمته (١٠) دراهم يخصص ريعه للصرف على الأرحام ورعايتهم»[١]؛ ذلك لأن كثيرًا من أولي الأرحام يتقدم بهم العمر فيبلغون منه عتيًّا، وإذا لم تكن روابط الرحم معهم متينة، فإنهم يصيرون عرضة للضياع والتشرد، وإن كثيرًا منهم تلحقهم صروف الدهر، فيعيشون أوضاعًا مأساوية تحيط بهم فيها النكبات واللزبات والمصائب من كل جانب، فإذا وجدوا الرعاية الوقفية التي يكون مثل هذا السهم قد ضمنها لهم، فإن الوقف يكون قد قدم خدمة جليلة لهذه الفئة. ومن ثم، فإن هذا السهم الوقفي يجد موقعه المتميز الطيب.

ولقد أخذ هذا المشروع على نفسه أن يحقق أهدافًا من خلال ما يؤديه من خدمة لأولي الأرحام؛ حيث تتأصل ثقافة التعاون والتكافل، ويتم التشجيع على البر في الحياة وبعد الممات، وتفتح آفاق اجتماعية للتواصل بين الأرحام، وتدرب الناشئة على معاني صلة الرحم وتعظيمها[٢].

ب- مشروع برّ الأم

وإلى جانب مشروع الصرف على الأرحام ورعايتهم، فقد وجد مشروع بر الأم الذي أنشأته هذه الهيئة. وهو «سهم وقفي لبر الأم في الحياة أو بعد الممات، قيمته (١٠) دراهم يستثمر في الصدقات

(١) - اُنظر الرابط: www.awqaf.gov.ae/Page.aspx ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٣م.

(٢) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 69 2/12/2019 11:22:57 PM

الجارية ودعم المشروعات الوقفية الخيرية»[1].

وإذا كان هذا السهم الوقفي يستهدف بر الأم فإن أحدًا لن يكون أحق به منها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّه - ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَنْ أَحَقُّ النَّاس بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»»[2].

فالوقف هنا، ينشد رد بعض الجميل للأم التي حملت ولدها كرهًا ووضعته كرهًا، وسهرت ليلاً لينام هو، وتعبت ليستريح، وتحملت من ضروب المشقات ما لا يتصور بغية أن يكون في وضع إنساني مرضٍ؛ ففكرتُه تنطلق من الرغبة في تمتين الروابط الأسرية بالتشجيع على الوفاء للأم عمليًّا بإنشاء صدقة جارية عليها، وإتاحة الفرصة للأبناء للبر بها في الحياة وبعد الممات[3].

ج- مشروع برّ الأب

لم تغفل هذه الهيئة مكارم الأب وخدماته، فأنشأت سهمًا وقفيًّا لبره تبلغ «قيمته (١٠) دراهم، يستثمر في الصدقات الجارية ودعم المشروعات الوقفية الخيرية»[4]، منطلقة في ذلك من الرغبة في تمتين الروابط الأسرية، وإتاحة الفرصة للأبناء لبر الأب؛ تطبيقًا وممارسة، بإنشاء صاحب السهم «صدقة جارية، تكون سببًا للإحسان إلى الأب والبر به في الحياة وبعد الممات»[5].

هكذا، يبدو الوقف الإسلامي المعاصر قد حث خطاه من أجل إصلاح التفككات الأسرية، التي يعيشها المجتمع بما كسبت أيدي الناس، فيبذل قصارى جهده من أجل البر بالأمهات وبالآباء وبأولي الأرحام جميعًا.

المبحث الثاني
الوقف يخفف من حدة الاحتياج

حين يضع الواقفون في حسبانهم ضرورة أن تتوجه أوقافُهم إلى فئات المحتاجين المتنوعة، فإن السَّير قدُمًا نحو تغطية مظاهر الاحتياج في المجتمع يكون من نتائجه أن تختفي منه هذه المظاهر أو تخف حدَّتُها؛ حيث إن كل المحتاجين يجدون من يهتم بأحوالهم فيصلحها، ويعثرون على من ينفق

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم: ٥٩٧١، ٢/٨، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم: ٢٥٤٨، ١٩٧٤/٤، وأبو داود في كتاب الْوَصَايَا، باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الْإِضْرَارِ فِي الْوَصِيَّةِ، رقم: ٢٨٦٥، ١١٣/٣، وابن ماجة في كتاب الْوَصَايَا، باب النَّهْيِ عَنِ الْإِمْسَاكِ فِي الْحَيَاةِ وَالتَّبْذِيرِ عِنْدَ الْمَوْتِ، رقم: ٢٧٠٦، ٩٠٣/٢، وأحمد، ٨٦/١٤.

(٣) اُنظر الرابط: www.awqaf.gov.ae/Page.aspx، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٣م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 70 2/12/2019 11:22:58 PM

عليهم صباح مساء. ولما كان الأمر يتطلب دوامًا، فإن أحدًا لن يقدر على الوفاء بكل ما يتطلبه ذلك سوى الوقف الذي وَجد فيه المحتاجون «غيثًا مدرارًا، ومَعينًا فياضًا يحيي مواتَهم، وينقع غُلَّتهم، ويبرئ علتهم»[1].

المطلب الأول: أوقاف على الفقراء

إن من الفئات المحتاجة فئةَ الفقراء التي نرى كثيرًا من أهل الوقف والإحسان يحثُّون خطاهم نحوها بالبذل والإمداد في كل حين. ولقد تنوعت خدماتهم لهذه الفئة تنوعًا عظيمًا يدفعنا إلى الوقوف عليها وتبين حقيقتها في الفقرات الآتية:

أ- إسكان الفقراء

نجد الأيادي الطولى ذات الوقف السخي ممتدة لإسكان الفقراء في كثير من البلاد المسلمة؛ فهذه جمعية الأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز للإسكان الخيري، بالتنسيق مع إدارة أوقاف الراجحي توفر مشروعات إسكان الفقراء والمحتاجين في منطقة جازان بالمملكة العربية السعودية، ساعية من خلال ذلك إلى التأكيد على مبدإ التكافل الاجتماعي، الذي يستشعر أحوال الأسر المحتاجة والإسهام في دعمها.

كما أن إدارة الراجحي كانت قد أنجزت -بالتعاون مع (٥٨) جمعية خيرية- كثيرًا من المشروعات السكنية للفقراء والمحتاجين يرد على رأسها برنامج (التكافل الاجتماعي) لتأمين السكن لمائتي أسرة من الفقراء. وهو البرنامج الذي بلغت تكلفته الإجمالية خمسة وعشرين مليون ريال سعودي، شملت مساعدة أكثر من ثمانية آلاف أسرة[2].

وإذا كان الوقف الفردي الخاص العائد إلى الرعايا يركب هذه السبيل، فإن الوقف الرسمي العائد إلى الدول والحكومات يجتهد في ركوبها في كثير من البلاد المسلمة. ويرد على رأس ذلك ما وجهت الدولة الأردنية الوقف نحوه؛ حيث صار يلعب دورًا اقتصاديًّا مهمًّا يسهم من خلاله «في حل بعض قضايا السكن وتوفير الأبنية التجارية وينعش بذلك الحركة الاقتصادية»[3].

ب- الكسوة والغطاء

نجد الوقف المعاصر قد أولى اهتمامًا بالغًا لأمر الكسوة والغطاء للفقراء في كثير من البلاد المسلمة. وإن لمحة خاطفة على ما يبذله في هذا الجانب يظهر عزمه على سلك هذه السبيل بغية التخفيف من وطأة الاحتياج على الفقراء؛ فهذه هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية توزع ثلاثة وثلاثين

(١) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص ١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ٥٣-٥٤.

Book 01 Final B.indd 71 2/12/2019 11:22:58 PM

ألف بطانية لعشرات الآلاف من المواطنين في مختلف المدن والقرى في ست عشرة منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية، في إطار مشروعها الرائد (كسوة الشتاء) الذي درجت الهيئة على تنفيذه لمساعدة المحتاجين داخل المملكة وخارجها[١].

ج- تأمين المواد الغذائية للفقراء

إن الوقف لا يستصغر أي بذل ولا يهمل أي عطاء؛ ففي جانب تأمين المواد الغذائية للفقراء، نجده يبدأ من المستويات الصغيرة المتلائمة مع طاقة الجهة الواقفة والمسيِّرة، ولا يقنع إلا بأن يحيط جمعًا بكل احتياجات هذه الفئة؛ فإذا وجدنا جمعية ينابيع الخير الخيرية باليمن تنشيء مشروع السلة الغذائية في غير رمضان، فتوزع «سلة غذائية على الأسر الفقيرة والمحتاجة في أوقات متفرقة خلال العام، موصلة خدماتها إلى ٤٥ أسرة، خلال عام ١٤٣٣هـ»[٢]، فإن هيئة الإغاثة الإسلامية استطاعت أن تبلغ توزيعاتها خمسة آلاف سلة غذائية بالمخيمات الفلسطينية وللأسر الفقيرة بلبنان[٣].

ومن البرامج الوقفية ما طمح إلى أن يغطي كل هذه الاحتياجات التي حين يُنجز بعضها يُترك بعضها الآخر؛ فقد جعلت إدارة أوقاف الراجحي من برنامجها "دفء وغذاء" برنامجًا يصبو إلى أن تكون هذه السلال الغذائية شاملة ملبية احتياجات الأسرة، من خلال كونها تشتمل على ثمانية أصناف، منها: الأرز، والسكر، والزيت، والمعكرونة، والدقيق، وحليب الأطفال، بالإضافة إلى مدفأة كهربائية، وخمس بطانيات[٤].

إن العمل جليل، وإن الوقف ليبذل قصارى جهده من أجل حل كثير من المشكلات التي يعانيها المسلمون في عالم اليوم. ولكي تظهر قيمة ما تبذله هذه الإدارة في هذا الجانب، فإنه يجب الوقوف على الإحصائيات التي تؤرخ لمسارها الوقفي منذ عام ١٤٢٩هـ، حتى عام ١٤٣٣هـ؛ فقد بلغ عدد السلال الغذائية ٩,٦٣٥ سلة، بقيمة ٧,٨٣٩٦٩٠ ريال سعودي.

ولم يتوقف الوقف عند هذه الحدود؛ حيث تراه سالكًا مسالك أخرى متنوعة من أجل التخفيف من حدة الاحتياج عن الفقراء، فتجده يقدم المساعدات المالية المباشرة، ويصدر شيكات بأسماء المستفيدين من الفقراء، ويوزع لحوم الأضاحي وفق وصية الواقفين، وينسق مع الجمعيات الخيرية لتنظيم عملية ذبح الأضاحي وتوزيعها على هذه الفئة، بكل من مكة المكرمة، والرياض، ومحافظة البكيرية بالقصيم، كما يوزع التمور المنتَجة في مزارع إدارة الأوقاف التي بلغت قيمتها الإجمالية

(١) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٩.

(٢) كتيب ينابيع الخير الخيرية على الرابط: www.yanabaa.org.

(٣) مجلة الإغاثة، العدد ٦٦، المحرم- صفر ١٤٣٦هـ، ص ٤٦.

(٤) اُنظر الرابط: www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter/news، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 72 2/12/2019 11:22:58 PM

٤٧٩٠٠٨٥١ ريال سعودي[١].

د- علاج الفقراء

الملاحظ أن الوقف الإسلامي المعاصر خص هذه الفئة برعايته المتميزة؛ فهو بعد تحقيقه خدماته السابقة، يشاهد قد حث خطاه من أجل أن يهتم بجانبها الصحي. ومن ذلك أن تتبع دولة الأردن -بهذا الخصوص- سياسة خاصة في الداخل والخارج؛ فقد قامت «بتخصيص عقار وقفي ليكون عيادة طبية لمعالجة المرضى الفقراء بالتعاون مع بيت المال الإسلامي في تكساس، كما أنشأت عددًا من المراكز الصحية الملحقة بالمساجد»[٢].

فإذا تحقق للفقير ما يطلبه كلُّ امرئ في أحواله العادية، من إقامة، وكساء، وغذاء، ورعاية، وتطبيب، فإن إنسانيته تكون قد قطعت أشواطًا ليست بالهينة في سلم الارتقاء به في مدارج الكرامة، التي بها يُحسُّ أن المجتمع يكفُله ولا يهملُه، ويتفقد أحوالَه ولا ينساه، فتتراصُّ الصفوف، وتتآلف القلوب، وتموتُ الضغائن والأحقاد، ويصير المسلمون في المجتمع كأسنان المشط.

المطلب الثاني: الوقف يخفف من حدة الاحتياج عن الأيتام

يجتهد الوقف الإسلامي المعاصر اجتهادًا محمودًا في رعاية الأيتام والاعتناء بإصلاح أحوالهم، بالنظر إلى كونه يستحضر المخاطر المحدقة بهم في كل حين، لانعدام وجود من يرعاهم من الآباء أو الأمهات. وفي هذا السياق يرد برنامج الرعاية الاجتماعية الذي وضعته هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية؛ حيث يتركز دورها «في كفالة الأيتام ورعايتهم رعاية شاملة من طعام وكساء وتعليم، ورعاية صحية واجتماعية ودينية وتدريب مهني وتنمية قدراتهم وربط الأيتام بمجتمعاتهم وتوفير الأمان لهم، حتى لا يكونوا عرضة للاستخدام غير الأخلاقي، ولحمايتهم من الانزلاق في عالم الجريمة»[٣].

فبرنامج الرعاية الاجتماعية يولي أهمية قصوى لأن تكون خدماته شاملة محيطة بكل الجوانب الضرورية في الحياة؛ فهو إذا شوهد مهتمًّا بالخدمات الاجتماعية المادية، فإنه يشاهد مهتمًّا بالجانبين النفسي والتكويني. وهما أكثر الجوانب خطورة على اليتيم؛ فقد يتحقق له ما يصلح حاله من طعام وكساء، ولكن ذلك كله لا تكون له فائدة حين تغيب الرعاية النفسية التي تشعره بأن وضعه إنما هو مما تقتضيه الحياة التي يبتلى فيها الإنسان بالشر والخير فتنة، وحين يغيب التكوين المهني والعلمي الذي يُعده للمستقبل وينتشله من مصائر السوء.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ٥٣.

(٣) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٤.

Book 01 Final B.indd 73 2/12/2019 11:22:58 PM

إن هذا البرنامج يتخذ موارده من "وقف الأيتام" الذي أبدعته الهيئة. وقد «بلغ عدد الأيتام المدرجين في سجلات الهيئة لرعايتهم خلال العام المالي (١٤٣٣-١٤٣٤هـ) ٢٥,١٢٧ يتيمًا ويتيمة، في ٢٥ دارًا ومركزًا، في ٢٥ دولة»[١]. وهي أرقام، وإن لم يكن البرنامج قادرًا بها على تغطية فئة الأيتام في بلاد الله كلها، فإنها تدل على أن الخدمات عظيمة، وأن القائمين عليها يبذلون قصارى جهودهم؛ شرقًا وغربًا، من أجل تقديم ما يصلح أحوال من ابتلاه القدر بألا يعيش في كنف والديه وأسرته.

وإذا كان الوقف في هذا المشهد يصبو إلى أن يشمل بخدماته أيتامًا كثرًا في أطراف مختلفة من الأرض، فإنه يرى وقد حث خطاه، تبعًا لجهده وطاقته، بأن يقدم خدماته لأيتام الدولة الواحدة، وذلك كالذي نراه قد قام به في دولة الأردن؛ حيث إنه من أجل تقديم الرعاية للأيتام وأبناء الشهداء؛ فقد أنشأ «مدرسة صناعية تعلم الأيتام الحرف، كالنجارة والطباعة وأعمال الخيزران والتنجيد وصيانة المركبات والآلات وغيرها»[٢]، وكالذي نفذته قطر الخيرية بإقليم البنجاب بباكستان؛ حيث افتتحت مركزًا للتدريب المهني لصالح الأيتام، أقيم على مساحة ١٣٠٠ متر مربع، بتكلفة بلغت ١,٣٠٠,٠٠٠ ريال قطري. وقد تضمن هذا المركز سكنًا داخليًّا مجهزًا بأثاث كامل، وتألف من دورين يضمان ١٤ غرفةً، وقاعةَ مطالعة مجهزةً بـ١٢ حاسوبًا، وغرفةً للإدارة، وقاعةً لتناول الطعام، ومطبخًا، ومخزنًا، و٢٢ حمامًا.

وأما الجزء الثاني، فقد خصص للتدريب المهني، وهو مكون من دور أرضي يضم قاعتين لورشات التدريب المهني وغرفةً للتدريس النظري وغرفةً للإدارة ومخزنًا وحمامات. وهو كامل التجهيز بالمعدات والآلات، بغية تكوين هذه الفئة المستهدفة تكوينًا يمكِّنها من دخول معترك الحياة بعُدة كافية[٣].

لقد تم التركيز -ها هنا- على إكساب اليتيم حرفة تحميه من تكفف الناس، وتغنيه عن مد يده لكل من هب ودب، وتعصمه من التشرد والضياع وبذل أعز ما يملك في سبيل لقيمات يقمن صلبه. وهي أهداف عظيمة، حين يحققها الوقف، يكون قد أسدى لهذه الفئة المبتلاة خدمة جليلة لا تقدر بثمن، ويكون قد حل مشكلة من أخطر المشكلات في مجتمع اليوم.

المطلب الثالث: الوقف يصلح أوضاع أولي الاحتياجات الخاصة

أولو الاحتياجات الخاصة فئة اجتماعية لا تستفيد من وظائف كل الجوارح والأعضاء التي يستفيد منها غيرها من الناس. والتفاوت بين أفراد هذه الفئة في الاستفادة من وظائف أعضائها يجعل التفاوت بينها جليًّا في تحقيق مآربها في الحياة.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ٥٣.

(٣) اُنظر الرابط: http://www.qcharity.com/a/index ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٧م.

Book 01 Final B.indd 74 2/12/2019 11:22:58 PM

والجوارح تتحقق بكل واحدة منها خدماتٌ وتُقضى بها مآرب كثيرة مما ينشده الإنسان في سيرورة أيامه، فإذا فُقدت جارحة فُقد التمكن من الوصول إلى قضاء الحوائج التي لا تقضى إلا بها. ومن هنا تتبين حالة الاضطرار والاحتياج التي تجعل أفراد هذه الفئة يشرئبون بأعناقهم إلى من رزقه الله العافية من كل بلية، ليقدم لهم يد العون التي بها تنصلح أحوالهم.

ولقد حض الشرع الإسلامي المسلمين على أن يقدموا هذه الخدمات لمن يحتاجها، مرغِّبًا إياهم في ذلك، بكون عملهم لن يذهب سدى ولن يكون بدون مردود؛ فكل ذلك صدقة. وفي هذا يقول رسول الله – ﷺ – فيما يرويه عنه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»(١).

وإذا كان يرد في هذا الحديث ما لا علاقة له بأولي الاحتياجات الخاصة، فإن شرعية وروده في حديثنا تستمد من علاقته بالخدمات الاجتماعية التي ينشدها الوقف في أصله؛ إذ إن بينه وبينها علاقة عموم بخصوص، وإلا فإن البسمة المزيحة للعلل النفسية، وإعمال البصر لضعيفه أو فاقده، وبذل المرء جهده لمن يحتاج إليه بالإفراغ من دلوه، كل هذه الأمور تعد كناياتٍ عن الخدمات التي يمكن أن تسدى لصالح هذه الفئة المبتلاة، والتي لن تُعدم فيها صدقاتٌ يفوز المرء بأجورها وحسناتها يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ومن هذا المنطلق وَجد الوقف الإسلامي مَرتعًا خصبًا في تقديم خدماته لفئة أولي الاحتياجات الخاصة، فانطلق عازمًا على التخفيف من حدة المشقات الحياتية التي يعيشها هؤلاء؛ فهذه إدارة أوقاف الراجحي قد جعلت من برامجها الاجتماعية برنامج "عون المعاق"، فأمَّنت له – من خلاله – أجهزة الإعاقة والأجهزة الطبية الأخرى التي يحتاج إليها. وهي تسعى بذلك لتخفيف المعاناة عن المعاقين وتأهيلهم داخل مراكز متخصصة من أجل إكسابهم مهارات معينة. وقد بلغت نفقات هذا البرنامج خلال الفترة الممتدة من عام ١٤٢٢هـ حتى عام ١٤٣٣هـ، ٨,٦٩٧,٦٣٥ ريال سعودي، واستفاد منها ٤٦١٥ مستفيدًا(٢).

(١) رواه مسلم في كتاب صَلَاة الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَأَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْمَلَهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَأَوْسَطُهَا أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، أَوْ سِتٌّ، وَالْحَثُّ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، رقم: ٧٢٠، ٤٩٨/١، وأبو داود في كتاب الصَّلَاة، باب صَلَاةِ الضُّحَى، رقم: ١٢٨٥، ٢٦/٢، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم: ١٩٥٦، ٣٣٩/٤، وابن حبان في كتاب البر والإحسان، باب ذكر بيان الصدقة للمرء بإرشاد الضال... رقم: ٥٢٩، ٢٨٦/٢، وأحمد، ٢٩١/٣٥. واللفظ للترمذي.

(٢) اُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter/news ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 75 2/12/2019 11:22:58 PM

المطلب الرابع: أوقاف على التزويج

أمةُ الإسلام أمة تركن إلى العفَّة وتعض عليها بالنواجذ، وتلتزم ما ورد بخصوصها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وقد سخَّرت لتحقيقها في المجتمع كلَّ الوسائل المختلفة التي لم يكن الوقفُ منها بعيدًا، فشارك في تحقيقها والتمكين لها بين أفراد المجتمع كله.

لقد ظهر الوقف بمظهر الآخذ على نفسه أن يمكِّن للعفة في مجتمع المسلمين، ويحُول بينه وبين السقوط في الرذيلة، حين توجه الواقفون للتخفيف من حدة الاحتياج لدى من حالت بينهم ظروف الحياة وبين أن يتزوجوا، فوُجد منهم من ينتقي فئاته الاجتماعية المستهدفة؛ حيث يُخضع المحتاجين للزواج لتراتب يتقدم فيه الأشد احتياجًا على غيره. وذلك كالنهج الذي اعتمدته "قطر الخيرية" في تزويجها اثنين وعشرين يتيمًا ببنغلاديش شهر فبراير سنة ٢٠١٥م.

لقد كانت هذه الفئة المنتقاة غير بعيدة عن اهتمامات هذه الهيئة؛ فهي فئة تابعة لمركز البنات الذي تديره الهيئة وتشرف عليه، «وتقيم به ٦٠٠ يتيمة، ويوفر لهن جميع متطلبات الحياة الكريمة، من سكن وطعام وشراب وعلاج وتعليم ولباس، كما يوفر لهن التدريب المهني واكتساب الحرف اليدوية»[١].

ومن المعلوم أن الزواج تبعات ومسؤوليات جسام. وإذا كانت الفاقة تحُول بين الشاب وبين أن يتزوج، فإن خطوة أساسًا قد قدمها الوقف هنا؛ فقد تكفلت الهيئة بتقديم بعض الحلي والهدايا للأزواج، وكذلك متطلبات البيت، من سرير وخزانة وطاولة ومقاعد للطعام وأدوات المطبخ إلى غير ذلك من ضروريات البيت[٢].

وبعد أن وفر الوقف العش الذي تأوي إليه الأسرة، فقد انتبه إلى مورد العيش الذي يمكِّن للأسرة بأن تسير السيرَ الرَّشَد؛ حيث يستغني الزوجان عن تكفف الناس، وينعمان بنعم الله الحلال التي لا تكون حلوة إلا حين تكتسب بعرق الجبين. ولهذا، فقد وجهت "قطر الخيرية" هؤلاء الأزواج الجدد إلى «تقديم طلبات للحصول على مصادر الدخل والإنتاج، مثل الأراضي الزراعية، والمواشي، والدراجات الهوائية لحمل الركاب والبضائع، وآلات الخياطة، وأنشطة تجارية صغيرة، أو أي شيء يرغبون فيه»[٣].

وحتى لا تكون رغبات الأزواج غير منسجمة مع مستوى مهاراتهم في الحياة، فقد أخضعتهم الهيئة لدورات تدريبية، ليتمكنوا «من الحصول على دخل جيد يحقق لهم الحياة الكريمة والمستقبل الواعد، لهم ولأبنائهم»[٤].

---

(١) اُنظر الرابط: http://www.qcharity.com/a/index.php، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٧م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 76 2/12/2019 11:22:58 PM

وإلى جانب هذا المسار الذي ينتقي الفئات الاجتماعية المستهدفة، فقد وجد مسار آخر يعمم الخدمة ويعرضها بين يدي كل من طلبها. وذلك كفعل إدارة أوقاف الراجحي التي وضعت برنامجًا لمساعدة «الشباب الراغبين في الزواج، بالتعاون مع صناديق الزواج والجمعيات الخيرية في مناطق المملكة العربية السعودية»[1].

إن رؤية الإدارة استشرفت أمرًا يهم المجتمع كله؛ حيث يكون لمشروع الزواج الجماعي الذي تنظمه كثير من الثمار، يرد على رأسها الإسهام في تكوين الأسر الصالحة، وتذليل المصاعب أمام الراغبين في الزواج، والإسهام في القضاء على العنوسة الآخذة في الازدياد، وحماية الفرد والمجتمع من الفساد والانحراف الخلقي، كما يؤكد دور الوقف في خدمة المجتمع وتحقيق مبادئ التكافل والتعاون فيه.

إن الوقف الإسلامي المعاصر بإلتفاته إلى هذه المعضلة الاجتماعية التي طالما أرقت الشباب الراغب في الإحصان، يكون قد أسهم في حل مشكلة من أخطر المشكلات التي يعيشها كثير من شباب المسلمين في الفترة الراهنة.

المطلب الخامس: الوقف يتفقد أسرتَيْ السجين والأسير

إذا كانت أحوال المفتقِدين للحرية كثيرة في حياة الناس كثرةً لافتة، فإن أخطر حال من أحوالها يتمثل في حال السجين؛ فقد تكون وراءَه أسرةٌ وأطفال، وقد يكون أملَ أبوين طالما انتظراه من أجل أن ينتشلهما من البؤس والفاقة والعوز، وقد يكون فردًا كان يستشرف المستقبل ليكون فيه ذا شأن عظيم ودرجة عالية، ولكن السجن حال بينه وبين بلوغ ذلك.

ومن باب الاستجابة لترغيب الإسلام في تفريج الكربات عن المكروبين، وإزاحة آثار الشدائد عن المبتلين، فقد حث الوقف الإسلامي المعاصر خطاه نحو بذل جهوده العظيمة في كل فج عميق، من أجل أن يخفف عن مسلوبي الحرية من السجناء بعض ما هم فيه. ولذلك نراه قد شمر عن ساعد الجد من أجل الوصول إلى أهدافه الاجتماعية المنشودة فوضع برنامجًا لذلك، نحب أن نقف على معالمه الأساس في الآتي:

أ- رعايةُ أسرة السجين وكفالتُها

بالنظر إلى تفطن الوقف المعاصر إلى انعكاسات سَجن السجين على أسرته، فقد خصصت إدارة أوقاف الراجحي مساعدات مادية وعينية لأسر السجناء، ضمن برنامجها الخاص "بكفالة أسر السجناء"، فكفلتها لمدة عام كامل، حتى تتمكن الأسرة من تلبية احتياجاتها المعيشية والنفسية، وتنقذ الأسرة من الانحرافات السلوكية التي قد تندفع إليها عند الحاجة إلى المال.

(١) اُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter/news ، تاريخ الاطلاع: ٤/١/٢٠١٥م.

Book 01 Final B.indd 77 2/12/2019 11:22:58 PM

لقد أنشأت الإدارة الوقفية برنامجها من فرعين اثنين، تعلق أولهما بمخصصات شهرية لكل أسرة سجين وفق الجدول الآتي:

عدد أفراد الأسرة	تكلفة كفالة الأسرة شهريًا (بالريال السعودي)
ثلاثة أفراد فأقل	١٥٠٠
أربعة أفراد أو خمسة	٢٠٠٠
ستة أفراد	٢٥٠٠

وهي مبالغ مالية تمكن أسر السجناء من ألا تضيف إلى مشكلة فقدانها معيلَها مشكلات أخرى لا عد لها ولا حصر. وإذا تتبع المرء عدد الأسر المكفولة، فإنه يعلم حينها كم ينفق الواقفون من أموالهم وممتلكاتهم بغية تحقيق التكافل الاجتماعي القائم، ها هنا، على تفريج كربات المكروبين، من أجل غرس صدقات جارية ينتفع بها أصحابها في الدنيا وفي الآخرة.

وتعلق الفرع الثاني للبرنامج بسداد إيجار المساكن لمدة عام كامل، من خلال تخصيص مبلغ لا يزيد على عشرين ألف ريال سعودي لسداد إيجار المسكن الواحد. وقد بلغ إجمالي ما قدمته إدارة الأوقاف في هذا الجانب حتى الآن ٤٤١١٧٦٣٨ ريال سعودي.

ب- الأداء والتسديد

تكون العقوبة المترتبة على السجين في كثير من الأحيان ناتجة عن عدم تسديد قروض موثقة (بشيكات). ولذلك، فإننا نرى الوقف الإسلامي المعاصر متمثلاً في إدارة أوقاف الراجحي يُهرول لتسديد ما على السجين من ديون حتى يطلق سراحه وتنعم أسرته بالعيش في ظله وكنفه؛ فقد تمكنت هذه الإدارة من إطلاق سراح ٥١٢ من سجناء الحق الخاص في المملكة العربية السعودية، منذ إنشائها حتى عام ١٤٣٣هـ، بعد أن تكفلت بتسديد ديونهم بموجب (شيكات) تصرف بأسمائهم مباشرة بعد التنسيق مع الجهات الرسمية العاملة في هذا المجال.

ج- إعادة الإدماج

ولما كانت إعادة إدماج السجين في المجتمع أمرًا أساسًا من أجل أن يسلك المسار السويَّ بعد إطلاق سراحه، فقد وضعت إدارة أوقاف الراجحي برنامجًا تأهيليًّا وتدريبيًّا لمساعدة السجناء وأسرهم؛ فإذا كان السجن مؤسسة تربوية ينبغي أن تُخضع السجناء لإصلاح الاختلالات التربوية التي يعانونها، فإنهم، كما يحتاجون لها في ذلك، فإنهم يحتاجون لإعادة إدماجهم في المجتمع بعد الإفراج عنهم وخروجهم منه.

د- ضرورة التفكير في الأسرى

ومن جانب آخر، فإننا حينما نمد البصر قليلاً، تبدو لنا فئة شبيهة في وضعها بأوضاع السجناء المتحدث عن أحوالهم سلفًا. إنها فئة الأسرى التي وإن كانت ظاهرتها الاجتماعية قد تولت إلى

Book 01 Final B.indd 78 2/12/2019 11:22:58 PM

الظل فخفت صوتها بسبب خفوت صوت الصراع التاريخي بين المسلمين وأعدائهم، فإنها ما زالت موجودة في بعض المجتمعات، كشأن أهل فلسطين الذين يرزح عدد كبير من فلذات أكبادهم في سجون الكيان الصهيوني.

والذي يقف على معاناة أسرى المسلمين لدى أعدائهم، يجد المفارقات بين أسرانا عندهم وأسراهم عندنا؛ فديننا يأمرنا أن نعامل الأسير معاملة إنسانية كريمة؛ حيث لا يُعتبر إلا ورقةَ ضغط على الأعداء من أجل التفاوض على ما يُختلف فيه من القضايا. ولكن الأسير لديهم يخضع لما لا يليق بإنسانيته، ويُجرَّع من العذاب ما لا يقدر على أن يُسِيغه.

فإذا كان رفع الاحتياج عن السجناء ضروريًّا، فإن رفعه عن الأسير أشد ضرورة وأقوى؛ فالسجين يكون في غالب الأحيان في أيدي بني مجتمعه ووطنه لمخالفة ارتكبها، ولكن الأسير هو في يد مطبوعٍ فعلُها بالضغينة والعداء القاتلين. وكما توجه الوقف قديمًا لحل مشكلاته، فإنه يجب عليه الآن أنْ يواصل مسيره في طريقه المحمود الذي تفرَّج به الكروب، ويجمع به الشمل، ويتنسم فيه الأسير نفحات الحرية، حتى يُكتب القائمون به عند الله- تعالى- من الأبرار الفائزين بالجنان.

المبحث الثالث
الوقف يجتهد في محو الأمية

إن خير شاهد يقدَّم في هذا الباب- ونحن في معرض حديثنا عن الوظيفة الاجتماعية للوقف في مواجهة مشكل الأمية في البلاد الإسلامية- ذلك الذي نجد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب قد أبدعته وأخرجته لمن يحتاج إليه من الناس؛ فهو مشروع منبثق من رؤية واضحة، تقدِّر الأزمة تقديرًا كبيرًا، فتنطلق من منطلقات اجتماعية معيشة، وترصد أهدافًا مستقبلية عظيمة تمحى فيها الأمية من المجتمع كله، وتوظف لذلك كل الوسائل المتاحة؛ القديم منها والحديث.

لقد تعددت البرامج الوطنية الخاصة بمحو الأمية عبر العقود الماضية تعددًا لافتًا، ولكن ما يرتبط منها بالوقف يتمثل في برنامجين اثنين، اتخذت الوزارة لكل واحد منهما سبيلاً خاصًّا ووسائل محددة، بغية تمكين الراغبين في الاستفادة من بلوغ مرادهم باعتماد ما يسعفهم منهما في سيرورة حياتهم.

أ- برنامج محو الأمية المسجدي

وَجد الوقف في المسجد الفضاء المناسب للقيام بمحو الأمية من المجتمع؛ فهو الفضاء الأكثر ارتباطًا بأفراد المجتمع، وهو المؤسسة الأكثر انتشارًا في ربوع البلاد، فوظف كل الوسائل المساعدة للوصول إلى البغية والهدف. وقد كان منها اللوحة والطباشير، والدفتر والقلم والكتاب، كما أصر على «الاستفادة من التقنيات الحديثة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال»[1]، مستهدفًا بذلك تطوير

(١) أُنظر الرابط: http://habous.gov.ma/alphabetisation ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٢٢م.

Book 01 Final B.indd 79 2/12/2019 11:22:59 PM

العملية التربوية في هذا المجال برمته، حاثًّا خطاه «نحو بناء مجتمع المعرفة، والانتقال بالمستفيدين إلى الانخراط في مشروع التعلم مدى الحياة»[١].

ب- برنامج محو الأمية بواسطة التلفاز والإنترنت

لقد كانت الانطلاقة الأولى لهذا البرنامج بتاريخ ٤ أبريل ٢٠١٤م بالمسجد العتيق بالدار البيضاء، على يد الملك محمد السادس، بعد أن كانت قد وردت الإشارة إليها في خطابه الملكي يوم ٢٠/٨/٢٠٠٠م. وهو توجه يندرج في إطار الاستجابة لمقتضيات ميثاق التربية والتكوين التي تحث في هذا الجانب على تشجيع المستفيد على التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة، وتجاوز إكراهات البعد المكاني وصعوبة تغطية المجال القروي، واستثمار وسائل الاتصال الحديثة في التعلم، كالحاسوب والتلفاز والإنترنت، رغبة في «كسب رهان محو الأمية بالمغرب»[٢].

وهذان البرنامجان؛ المسجدي والتلفزي، ينجزان في مستويين اثنين:

- مستوى أول، يستفيد منه المغاربة الذين لم يلجوا المدرسة أو الذين انقطعوا عن الدراسة وضيعوا مهارة القراءة والكتابة.
- ومستوى ثان، يستفيد منه الناجحون في المستوى الأول، وذلك من أجل تمكينهم من الاستزادة من قدراتهم على القراءة والكتابة والتعبير الشفهي والكتابي، وإنجاز العمليات الحسابية، وحفظ وفهم ما تيسر من القرآن الكريم[٣].

وإذا كان المستوى الأول يخوِّل لصاحبه الاستئناس بأجواء الدراسة التي يكون قد انقطع عنها منذ أمد بعيد، أو التي لم يعرف من قبل إليها سبيلاً، فإن المستوى الثاني يخول له تعميق تكوينه «في المجالات التعليمية المؤهِّلة إلى محو الأمية الوظيفية والحضارية، والانخراط في مشروع التعلم مدى الحياة»[٤].

ولقد رصدت الوزارة مجموعة معالم استراتيجية وضعتها نصب عينيها، متمثلة في الاجتهاد في السير للانتقال من محو الأمية القرائية إلى التعلم المستمر، وتمكين المواطنين من الانفتاح على مجتمع المعرفة والتواصل، وإكساب المستفيدين المعارف والكفايات والمهارات اللازمة لمواصلة التعلم الذاتي والاندماج في الحياة العملية، وتأهيل المواطنين ليسهموا بفعالية في التنمية المستدامة، وتطوير استراتيجيات التعلم بما ينسجم وروح العصر[٥].

ومن أجل الوصول إلى هذا المراد الذي يخرج كثيرًا من الناس من الظلمات إلى النور، فقد وضعت

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 80 2/12/2019 11:22:59 PM

الوزارة للمرحلتين مقررًا يتميز بمجموعة خصائص تتمثل في الشمولية، التي يسعى من خلالها لتغطية «ثلاث مواد تعتبر من أهم ما يجب معرفته على درب مسيرة محو الأمية: القراءة والقرآن الكريم والحساب»[١]. والمرحلية التي تعبر عن كون مضامين الكتاب قد بنيت «بتدرج على شكل أنشطة تعليمية متنوعة وذات ارتباط مباشر بالحياة اليومية»[٢]. والاستمرارية التي يظهر -من خلالها- أن مضامين الكتاب «جاءت استمرارًا للمرحلة الأولى من المستوى الأول، مراعية تحقيق البناء والتراكم»[٣].

وتتفاعل هذه الخصائص التي يتميز بها المقرر الدراسي مع الخصائص النفسية للفئات المستهدفة به، وذلك كاعتماد المقاربات التربوية التي تجعل الغايات والأغراض نفعية، واستجابة المادة التعليمية لحاجات المستفيدين بشكل مباشر، واعتماد أسلوب المتعة والتشويق، وتخصيص أنشطة موازية للدعم لترسيخ المعلومات وتثبيتها، ومراعاة التفاعل الجيد بين المستفيد والمؤطر، وتحفيز المستفيد على التعلم الذاتي من خلال الأنشطة التطبيقية، في استجابة كاملة للقدرات العقلية والنفسية للفئة المستهدفة ولمكتسباتها وخبراتها السابقة، وحاجاتها واهتماماتها واختلاف أعمارها[٤].

وإذا كانت مواد المقرر الخاص بمحو الأمية لا تتجاوز القراءة والقرآن الكريم والحساب، فإن أهدافًا قد رصدت لكل مادة من هذه المواد؛ حيث تريد الوزارة من خلالها أن تحقق للمستفيد ما يحتاج إليه في حياته المعيشة. ويظهر ذلك من خلال ما يأتي:

١- أهداف مادة القرآن الكريم:

أريدَ للمستفيد أن يدرَّب على سماع القرآن الكريم وترتيله وحفظ وفهم معاني سوره، وأن يكتسب معجمًا لغويًّا انطلاقًا من شرح الألفاظ الواردة في السور والآيات، وأن تتعزز القيم الروحية لديه انطلاقًا من معانيها، وأن يكتسب القدرة على إنجاز التمارين التقويمية والأنشطة الداعمة لهذه المادة، حتى تثبت معلوماته[٥].

٢- أهداف مادة الحساب:

تظهر الأهداف المنشودة من هذه المادة من خلال الرغبة في إقدار المستفيد على تعبئة موارده، واستثمار مكتسباته التعلمية في الحساب بشكل إدماجي لحل مسائل مرتبطة بحياته الاجتماعية والاقتصادية؛ إذ يراد إقداره على قراءة وكتابة الأعداد من ١٠٠ إلى ٩٩٩٩، مع تمييز المئات،

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 81 2/12/2019 11:22:59 PM

والآلاف، وإنجاز عمليات الجمع، والضرب، والطرح، والقسمة، وحل المسائل الحسابية، وحفظ جدول الضرب الخاص بالأعداد من١ إلى ٥، وقياس التوقيت بواسطة الساعة، وكتابة الأعداد بالحروف[١].

٣- أهداف مادة القراءة:

تتحدد أهداف مادة القراءة في نوعين اثنين: أهداف قريبة، وأهداف بعيدة، فأما الأهداف القريبة فإنها تتجلى في تمكين المستفيد من برنامج محو الأمية من قراءة ما تُحوجه الأيام لقراءته، من رسائل وخطابات وبيانات وإعلانات... وأما البعيدة، فإنها تظهر من استشراف الدولة لمحو كل مظاهر الأمية، بما فيها الأمية النوعية التي عبرت عنها رسالة صاحب الجلالة الملك محمد السادس إلى المؤتمر الوطني للعصبة المغربية للتربية الأساسية ومحاربة الأمية يوم ١٠ مارس عام ٢٠٠٠م؛ حيث وردت فيها الإشارة إلى تهديد الأمية النوعية التي تعني العجز عن استيعاب وتوظيف عناصر التطور التكنولوجي والمعرفي للمجتمع، «لذلك يتعين علينا أن نعمل، ليس فقط على محو الأمية الأبجدية بمعناها التقليدي، وإنما محاربة خطر الأمية النوعية التي تلاحق كل من يقصر في مواكبة حضارة العصر أو الاندماج في مجتمع التواصل والإعلام»[٢].

هكذا، تظهر تجربة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في اقتلاع جذور الأمية من المجتمع المغربي، وإنها لتجربة جليلة القدر، عظيمة الشأن؛ فقد وظَّفَت فيها كل المداخل التي يكون لها مردود على الفرد المستفيد، وسخَّرت «تقنيات التكنولوجيا الحديثة من التلفاز والإنترنت، واختَارت لذلك من الوقت أنسبه، ومن النصوص والمواضيع أفيدها، مع الحرص على التجويد والإمتاع والتشويق ...لتلبية حاجات المستفيدين وتنمية كفاياتهم»[٣].

المبحث الرابع
الوقف يواجه البطالة ويُوفر فرص الشغل

يقوم الوقف الإسلامي المعاصر بكثير من المحاولات في مواجهة مشكل البطالة ويعمل على توفير فرص الشغل والعمل. وإن الذي يشد إليه الألباب من ذلك كله يتمثل في المسلك الذي اختاره الوقف الإسلامي المعاصر بالمغرب، ممثلاً في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ فقد اختار طريقًا ربط فيه بين محو الأمية ومشكل البطالة. وقد كان اختياره ذاك موفقًا إلى حد بعيد؛ فالأمية، حقيقةً، مشكلة متعددة المظاهر والتجليات، فمنها الأبجدية والدينية والوطنية والصحية، ومنها ما يتمثل في الأمية المهنية والتكنولوجية والاقتصادية. وهي التجليات الخطرة التي دفعت الوزارة إلى ربط

(١) المرجع السابق.

(٢) الوثيقة المرجعية لتأليف كتاب "أقرأ وأتعلم"، التأهيل المهني والتكنولوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ص ٣٠.

(٣) أُنظر الرابط: http://habous.gov.ma/alphabetisation ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٢٢م.

Book 01 Final B.indd 82 2/12/2019 11:22:59 PM

محوها بتوفير فرص الشغل والقضاء على البطالة، وتخليص المجتمع كله من شبحها المفزع.

لقد سلكت الوزارة مسلكًا مددت فيه مفهوم الأمية، واجتهدت في أن تحل مشكلة المستفيدين من برنامج محوها، بتجويد مهاراتهم في بعض المهن، وجعلهم قادرين على الانخراط والإدماج في التنمية المستدامة[١]، فوظفت من أجل ذلك -منطلقة من أمر ملكي وارد في خطاب ٢٠ أغسطس، سنة ٢٠٠٠م- «مدرسين ومدرسات من المجازين العاطلين عن العمل»[٢]، وجعلت فضاءات التلقي محددة في المساجد التي لا تخلو قرية أو مدينة منها.

فإذا كان يُستهدف ببرنامج محاربة البطالة من يعاني من الأمية بأصنافها، فإن الذي يلقنه مفاهيم محاربتها هو من كان عاطلاً عن العمل، في فضاء قريب من الساكنة كلها. وحينها تتحقق إصابة أهداف كثيرة بإجراء واحد يظهر به المسار الإصلاحي بأنه أوتي رشده في فعله ووفق فيه أيما توفيق.

ولما كان الحلم كبيرًا والمبتغى عظيمًا؛ فقد وضعت الوزارة مقررًا لتحقيق هذه البغية، اتخذت له عنوان "أقرأ وأتعلم: برنامج التأهيل المهني والتكنولوجي"، مستهدفة به إدماج المستفيدين في المجتمع «من خلال صقل مهاراتهم وكفاياتهم المهنية ليسهموا في تنمية البلاد، بحسب ما يستطيعون، بعيدًا عن كل مظاهر التبعية والتهميش»[٣].

ولقد انتبهت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى أن العاطل حين يجتمع لديه التقدم في السن والجهل بمسالك كسب الرزق، فإنه يحتاج إلى الضروري من المهارات، فركنت إلى حمل المستفيدين من برنامجها «على تحصيل اللازم والضروري مما يتعلق ببعض المهن والآلات التقنية للحاجة الماسة إليها في الحياة اليومية، ولما تدره من مداخيل اقتصادية لفائدتهم»[٤]، فسلكت بهم مسالك البساطة والتدرج والمرحلية في بناء المعارف والمهارات، من أجل تحقيق الارتباط الحقيقي بينهم وبين الحياة المهنية والتقنية، محددة غايتها وهدفها من ذلك كله في «إقدار المستفيدين والمستفيدات على ولوج عالم الشغل»[٥].

ومن أجل الوصول إلى هذه المبتغيات، فقد جعلت هذا المقرر قائمًا على محور مهني، وثانٍ تكنولوجي، وآخر اقتصادي؛ بحيث إن العلاقة بينها تجعل التأهيل التكنولوجي مكمِّلاً للتأهيل المهني ممهِّدًا للتأهيل الاقتصادي. وهو ما يجعل المستفيد في الأخير «في قلب العملية التنموية؛

(١) الوثيقة المرجعية لتأليف كتاب "أقرأ وأتعلم"، التأهيل المهني والتكنولوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الكتابة العامة، مديرية التعليم العتيق، قسم محو الأمية، ص ٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣.

(٥) المرجع السابق، ص ١١.

Book 01 Final B.indd 83 2/12/2019 11:22:59 PM

تحقيقًا للذات وإسهامًا في النهوض بالوطن»[١].

ونحب أن نقف على مكونات كل محور من هذه المحاور التي يقوم عليها برنامج محاربة البطالة على النحو الآتي:

أ- محور التأهيل المهني

إذا كانت المهن كثيرة واحتياجاتها متنوعة، فإن الوزارة أخذت على عاتقها تعليم المستفيدين من برنامج محو الأمية ثلاثَ مهن، تمكنهم - رجالاً ونساء - من كسب الرزق دون تكفف الناس، وهي[٢]:

١- الفصالة والخياطة.

٢- الخبازة وصناعة الحلويات.

٣- إعداد التدوير.

إن كثرة طالبي مُنتجات هذه المهن تغزو جنبات المجتمع، وإن أدواتها غير مكلفة بالنسبة لمن أراد أن يتخذها مصدر رزق وقوت؛ فالعاطل حين يلم بها يصير قادرًا على الحصول على قوته من أحد طريقين؛ فإما أن يشتغل اشتغالاً حرًّا بعيدًا عن أمر الآمرين والمسيِّرين، وإما أن يلتحق بمعمل يقيم أمره على إحدى هذه المهن فيحصل على أجر دائم ينقذ به ماء وجهه من حرارة العيون ولذاعة الكلمات.

ب- محور التأهيل التكنولوجي[٣]

إنه محور يمكن المرء من استعمال كثير من الأدوات التي صارت تغزو جنبات الحياة، كالآلة الحاسبة، والحاسوب، والشباك الأوتوماتيكي، والهاتف المحمول، والإنترنت. وهو محور يصرح القائمون على البرنامج بأن الحاجة «ماسة إليه لانبناء غيره عليه»[٤]؛ فهو، وإن كان المسؤولون يرون أن البطالة لن تحارب به؛ إذ إن دوره يقتصر على أن يحارب المستفيد منه الأمية في هذه الجوانب من الحياة، فإن الحاجة إليه ماسة في المحورين الآخرين: المهني والاقتصادي.

ج- محور التأهيل الاقتصادي

لقد جعل منه واضعو البرنامج الثمرة والمبتغى؛ فهو يعتبر «أهم مخرجات هذا الكتاب وإليه يرمي باعتباره أسمى ما يطمح إليه»[٥]. والحقيقة لن تكون إلا كذلك؛ فالاستفادة من تكوين مهني وانفتاح

(١) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر الصفحات: ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 84 2/12/2019 11:22:59 PM

على مستجدات التكنولوجيا، لن تكون ذات جدوى إلا في حال توظيفها في الحياة واستثمارها في الانتقال من مستويات العطالة والبطالة القاتلة إلى مستويات يرفل فيها المرء في ظلال العز والكرامة الإنسانية.

ولما كان المستفيد، حين يفك الارتباط بينه وبين المؤطر والبرنامج في نهاية التكوين، سيوجه وجهه شطر المجالات الاجتماعية المختلفة التي تنسجم مع ما تلقَّى تكوينه فيه، فقد حرص واضعو البرنامج على تكوينه في هذا المحور في الجوانب التي يكون أكثر احتياجًا إليها وإلى الإحاطة بشؤونها، وهي[1]:

١- المقاولة الصغرى.

٢- التعاونية.

٣- إعداد مشروع.

٤- المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

ولكيلا تبقى نسبة التنظير في البرنامج راجحة بنسبة التطبيق فيه فقد رصدت الوزارة مجموعة من الكفايات؛ من أجل أن يحققها المستفيدون؛ فالكفاية مهارة ينبغي تمثلها والوصول إليها، حتى إذا انفرد المستفيد بنفسه وواجه المجتمع بعرض ما اختار عرضه من المهن، يكون مؤهلاً في جذب الزبائن إليه؛ إحكامًا، وإنتاجًا، وإبداعًا، وليونة جانب. وتتمثل هذه الكفايات في الآتي[2]:

- الكفاية الخاصة بتحقيق مخرجات تؤهلهم لتوظيف مكتسباتهم في معيشهم اليومي، وتحقيق القدرة على الاندماج والإسهام الإيجابي في الحياة العامة للمجتمع.
- الكفاية الخاصة بالتأهيل المهني والتكنولوجي فيما له علاقة بعالم الشغل والإنتاج.
- الكفاية الخاصة بإقدار المستفيد على تعبئة موارده من خلال بطائق تقنية يوظف مضمونها بشكل إدماجي لحل وضعيات تقنية دالة مرتبطة بحياته المهنية والتكنولوجية والاقتصادية.

إن الهدف من تمكين المستفيدين من هذه الكفايات هو جعلهم قادرين على اكتساب أرزاقهم، حين خروجهم إلى المجتمع، بيسر وسهولة؛ حيث يكونون قادرين على خلق أنشطة مدرة للدخل، مُعدِّين لإنشاء وتسيير المشروعات الصغرى المرتبطة بمجالات الفلاحة، والتجارة، والصناعة التقليدية ...إلخ، مكتسبين معارف تقنية واقتصادية وقانونية قصد معرفتهم بحقوقهم وواجباتهم، مقبلين على الانخراط في العمل التعاوني والتشاركي في مختلف المجالات الاقتصادية[3].

هكذا، يظهر الوقف الإسلامي المعاصر قائمًا بمحاولات، هنا وهناك، من أجل القضاء على البطالة. ولكن المحاولة الواعية الصادرة عن رؤية بنيوية شمولية تستهدف التكوين والاستمرار

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

Book 01 Final B.indd 85 2/12/2019 11:22:59 PM

فيه، من أجل إنقاذ الجحافل العاطلة عن العمل، العالقة في براثن انعكاسات البطالة ومخاطرها، وتوظيف طاقاتها في تنمية المجتمع والاستفادة من عطاءاتها وإشعارها بكرامتها، إنما كانت محددة في المسار الذي أبدعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، منطلقة في ذلك من توجيهات عاهل المغرب محمد السادس في خطاباته الإصلاحية الكثيرة.

المبحث الخامس
الوقف يقي من التعاطي للمخدرات وينقذ المدمنين

المخدراتُ بأنواعها تُضيع العقل من صاحبه فتضيع أهدافه، وتجعل على مساره ضبابًا مفرطًا يحول بينه وبين أن يتبين الضار من النافع، والصالح من الطالح. ولذلك، فقد وُجد من الواقفين من يهتم بفئة المدمنين وهي من فئات المجتمع، وإن مسها سوء -لا قدر الله- فإن المجتمع يكون قد بدأ صناعة نهايته بيده، وشرع في حفر أجداثه ليرحل إلى مثواه الأخير، مستشعرين مسؤولياتهم الجسام، ومستحضرين واجباتهم الدينية والوطنية الخاصة بالحيلولة بين المجتمع وبين أن يسلك سبل السقوط والانهيار.

وإذا كانت المحاولات الوقفية تنتشر هنا وهناك، فإن من أكثرها وعيًا بخلفيات مخاطر المخدرات وأسبابها وانعكاساتها وسبل علاجها "جمعية كفى للتوعية بأضرار التدخين والمخدرات بمكة المكرمة". وهي جمعية خيرية يضم مجلسُها علماء وأطباء ورجال أعمال وكثيرًا من رجالات الدولة، أدركت مسؤولياتها الاجتماعية والدينية تجاه هذا الداء الفتاك الذي يخرب المجتمعات، ويدمر طمأنينتها وأمنها وقوتها. وقد توسعت فجعلت لها فروعًا بالطائف، وبحداء... فسعت في كل أطراف البلاد لمكافحة هذا الخطر الداهم ووقاية المجتمع من أضراره ومساعدة الراغبين في الإقلاع عنه، حاثة خطاها نحو الوصول إلى مجتمع بلا تدخين ولا مخدرات؛ حيث تبدأ الجمعية بتطهير قرية أو حي ثم تنتقل إلى ما بعده من القرى والأحياء حتى تصل، في يوم من الأيام، إلى مملكة بلا تدخين.

ومن أجل أن تصل الجمعية إلى هدفها العظيم، فقد ضمت إليها اختصاصيين نفسيين واجتماعيين ملمِّين بكل المداخل، التي يَعتقد المدمنون من خلالها كونَ التعاطي للتدخين والمخدرات هو من علامات الرجولة والعظمة؛ فيصحِّحون المفاهيم المغلوطة، ويظهرون الحقيقة المرَّة التي كثيرًا ما سعى المروِّجون إلى إخفائها وجعل مثالب الظاهرة محامدَ تُطلب؛ حيث تسودُّ الرئتان بعد لونهما الوردي الزاهر، ويَفقد الدماغ لونَه الأبيض الناصع، ويصاب الجهاز العصبي بالضعف والخور، وتتساقط أطراف الشفتين بعد تشققها، وتصفر الأسنان وتسودُّ قبل أن يُفضَّ الفمُ منها كلها، وتهجم السرطانات والأمراض الخبيثة، ويموت المدمن موتًا انتحاريًّا بطيئًا، أو يكون من الخمسة ملايين التي تلفظ أنفاسها خلال العام، أو يكون من العشرة ملايين التي يُحتمل أن يبلغها عددُ

Book 01 Final B.indd 86 2/12/2019 11:22:59 PM

الوفيات في كل عام مع حلول ٢٠٢٠م، إذا بقيت الأمور على حالها[١].

فإذا علم المدمن على التدخين والمخدرات هذا، وعلم أن نسبة المدخنين في العالم الغربي صارت إلى تراجع، فانتقلت في الولايات المتحدة الأمريكية من ٤١٪ إلى ٢٥٪، فإنه يتبين له أن المنافع التي كان يُمنّي نفسه بكون هذه المسالك تحققها له تصير كلها في مهب الريح، فضلا عن كونها تحقق له الخسارات المتعددة الصور؛ فمرة تكون خسارة مالية، وثانية تكون خسارة صحية، وأخرى تتخذ مظهر التضحية بالعرض والشرف!!

ومن أهداف برنامج هذه الجمعية، بعد توعية فئات المجتمع وتصحيح المفاهيم الخاطئة، توفيرُ قاعدة بيانات شاملة عن التدخين والمخدرات وأضرارها المدمرة، والتعاون مع الجمعيات والمؤسسات الأخرى، بغية التحكم في مداخل الداء ومصادره. ولذلك، فقد اشتملت على أقسام ثلاثة، هي[٢]:

أ- قسم التوعية الميدانية، الذي يهتم بالجانب التوعوي ويشرف على البرامج التوعوية كالمحاضرات وإلقاء الكلمات التوعوية والندوات في المدارس، والدوائر الحكومية والقطاعات الخاصة والعامة وتوعية شرائح المجتمع كافة وتحذيرهم من هذا الداء، بتركيز واضح على توعية المراهق؛ إذ إن المشكل يبدأ من مرحلة المراهقة.

ب- قسم المعارض التوعوية، الذي يشرف على جميع المعارض التوعوية التي ترشد السائرين إلى خطر التدخين والمخدرات، فيعتمد العروض والصور والنشرات... إلخ.

ج- قسم العيادة، الذي يهتم بالجانب العلاجي، ويتوفر فيه أحدث الأجهزة العلاجية للإقلاع عن التدخين. وهي عيادة ثابتة بمقر الجمعية تتخذ من مشاريعها مشروعَ العيادة المتنقلة، وتشتمل على برنامجين اثنين، هما:

١- البرنامج الدوائي: وهو عبارة عن جهاز يسمى جهاز الملابس الفضية أو الملامس الفضي؛ حيث يتم العلاج عن طريق الذبذبة الكهرومغناطيسية التي تقوم بتنشيط الغدة النخامية فتفرز مادة الأندروفين التي تقوم بطرد النيكوتين من الجسم، فيجلس فيه المدمن على ست مراحل، وتستغرق كل جلسة ثلاثين دقيقة يتلقى خلالها جرعات من الدواء، فإذا وجدت الإرادة يتم العلاج، بعون الله تعالى، في بضعة أيام لا يتجاوز عددُها عددَ أصابع اليد.

٢- البرنامج المعرفي والسلوكي: وهو برنامج يتتبع المريضَ بإرشاداته وتوصياته بعد معافاته من الشر المستطير، الذي كان يهدد حياته ويلاحقها في كل حين.

ولقد استطاعت الجمعية بهذه الجهود المبذولة أن تمكن خمسة آلاف مدخن من الإقلاع عن

(١) اُنظر الرابط: http://norivers.org/amazing/box ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٢٧م. وقد ورد في تقارير منظمة الصحة العالمية أن شخصًا واحدًا من سكان العالم يموت في كل ربع ساعة بسبب التعاطي للتدخين والمخدرات. ومن ثم، فإنه يموت ستة وتسعون شخصًا خلال كل يوم بهذا السبب.

(٢) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 87 2/12/2019 11:22:59 PM

التدخين. وقد وجد إلى جانب هذه الأقسام أقسام مساندة تهتم بالعلاقات العامة والإعلام، وتنمية الموارد المالية، والمحاسبة، والبرامج والأنشطة. كما وُجد لها مانحون ومحسنون كثيرون، تأتي على رأسهم جميعًا شركة التصنيع الوطنية بالمملكة العربية السعودية.

المبحث السادس
الوقف يساند اللاجئين والمنكوبين

لما كان الوقف الإسلامي ذا منطلق اجتماعي صادر عن رؤية شرعية، فقد أخذ على نفسه أن يصل إلى كل من حلت النكبة بداره، من أجل أن يخفِّف عنه بعض ما عضه به الزمان بنابه؛ طلبًا لمرضاة الله- تعالى- والفوز بأجوره وحسناته الكثيرة المنتظرة.

ووقفات على مشاهد معدودات مما قدمه الوقف للمنكوبين واللاجئين في شرق البلاد وغربها، لتبين عظمة ما يسديه الوقف للإنسانية من خدمات في هذا الجانب؛ فإذا عرفنا أنه قد قدم، باسم هيئة «الإغاثة الإسلامية العالمية» -وهي هيئة واحدة من الهيئات الإسلامية الكثيرة- ألفي «سلة غذائية و٨ آلاف بطانية، استفاد منها آلاف الأسر المنكوبة في قطاع غزة»[١]، وقدم «مساعدات غذائية وإغاثية استفاد منها حوالي ٣٠٠ ألف لاجئ سوري»[٢]، في كل من لبنان والأردن وتركيا منذ اندلاع الأزمة السورية، ونفذ بدولة بنين حملة إغاثية كبيرة «لمساعدة ضحايا الفيضانات والسيول(...)؛ حيث استطاعت تغطية أكثر المناطق تضررًا وتمكنت من الوصول إليهم في مناطقهم. واستفاد من هذه الحملة ما يقارب ١٥٠٠٠ شخص»[٣]، ودشن حملة إغاثية بإقليم بلوشستان للمتضررين من الزلازل الأخيرة، ووزع «عشرة آلاف سلة غذائية وسبعمائة خيمة على الأسر المتضررة من الزلازل»[٤]، وقام بحملة إغاثية مكثفة «لمساعدة المتضررين من الحرب المشتعلة في منطقة جنوب "كردفان" الواقعة في الجهة الغربية من دولة السودان، تمثلت في توزيع كميات من الذرة والسكر والزيت، استفاد منها ٢٥٤١ أسرة منكوبة، قوامها ١٢٧٠٥ أشخاص»[٥]، ونفذ حملة إغاثية كبرى «في بوركينافاسو لمساعدة اللاجئين الماليِّين وضحايا الفياضانات بالنيجر، استفاد منها ١٤٠ ألف شخص»[٦]. إذا عرفنا ذلك، فإنه يتبين لنا قدر إسهام الوقف الإسلامي المعاصر في حل المشكلات الراهنة في بلاد المسلمين.

---

(١) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، عضو المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، (٢٠١٢-٢٠١٣م)، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٦) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 88 2/12/2019 11:23:00 PM

وإذا كانت إغاثة الهيئة قد انصرفت هنا إلى جهات عُرفت فيها الأزمات بتقادمها، فإن هيئات وقفية أخرى قد أبدت اهتمامًا لافتًا بجهات تعد فيها النكبات حديثة العهد، وذلك كاهتمام «قطر الخيرية» بشؤون اللاجئين السوريين واليمنيين[1]؛ حيث اجتهدت في توفير الغذاء والدواء والمأوى للأولين منهم، وهم الذين بلغ عددهم على حدود الأردن ولبنان وتركيا ١٦٠ ألف لاجئ، كما اجتهدت في توفير العون والمساعدة لليمنيين الذين يعانون من ظروف إنسانية صعبة، بسبب ما خلفته الأحداث التي تعيشها البلاد.

لقد جاءت هذه المساعدات في صورة مشروعات ثلاثة، هي[2]:

١- مشروع الإغاثة الطبية والدعم النفسي، الذي تمثل في إعداد غرف للطوارئ على الحدود، والقيام بعمليات جراحية للمصابين، وتجهيز مستشفى ميداني، وإعادة تأهيل الجرحى، ودعم نفسي للأطفال والمصابين.

٢- مشروع الإيواء، الذي هدف إلى إنشاء مراكز إيواء مؤقتة، ومراكز إيواء آمنة للجرحى، وإيجارات منازل لحوالي ١٠٠٠ أسرة، وتوفير وقود الطبخ ولوازمه والمراوح والملابس والفرش والمخدات والبطانيات والبرادات.

٣- مشروع الإعاشة والغذاء، الذي يهدف إلى توفير مواد غذائية معلبة ووجبات طعام طازجة، ولوازم النظافة والحفاظات، وحليب الرضع ولوازم تغذيتهم.

لقد تبين مما تقدم أن الوقف يبذل قصارى جهده في حل المشكلات التي يعيشها المسلمون شرقًا وغربًا، ولكن سيلَ الأزمات التي يطوف بها طائفُها ليلاً أو نهارًا لا يكاد منبعُها يجف أو ينضب؛ فهي في توالد مستمر، فما تخمد نارُ أزمة إلا وتشب نيران أزمات أخرى جديدة في مختلف الربوع!!

المبحث السابع
مسالك الوقف تحقق الأمن الفكري

يجد المتتبع لأحوال كثير من المجتمعات أن كثيرًا من الاختلالات التي تعيشها هي عائدة إلى عدم اكتمال أمنها، ولا سيما في جانبه الفكري. والمسالك التي يسلكها الوقف في أبواب الحفاظ على الثوابت الدينية والاجتماعية والثقافية، كلها مسالك تمكنه من تحقيق هذا المراد الجلل الذي إن اختلت أركانه، وتبددت أطرافه، مس المجتمعَ من لدنه خطرٌ عظيم وسوءُ مصير جسيم.

والمرء حينما يتتبع المسالك التي يسلكها الوقف في هذا الجانب الخطر، يجده لم يهمل الركائز الكبرى فيه؛ فاهتمامه بما يقوم عليه الدين وممارسة شعائره، من قرآن وسنة ومساجد وصوم وحج... يوفر للمسلمين شروط الارتباط بمقومات دينهم، ويزيدهم تشبثًا بعقيدتهم، في سمت معتدل وسيرة طيبة، ينأون فيها بأنفسهم عن مسالك الجموح والزيغ والغلو.

(١) أُنظر الرابط: http://www.qcharity.com/a/index.php، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٣/٦م.

(٢) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 89 2/12/2019 11:23:00 PM

والوقف في جانبه الاجتماعي المنصرف إلى تيسير الحياة وتحقيق الخدمات لمن يحتاج إليها، يستهدف- من بين ما يستهدفه من ذلك- تحقيق التواد والتراحم بين أفراد المجتمع، ودحر أخلاق الضغينة والحقد والحسد، التي قامت فلسفات كثيرة من أجل تزكيتها ودعمها وإرساء أسسها وقواعدها؛ تنظيرًا وممارسة، فوجهت الفقير لمعاداة الغني، فلم يكن لها حظ في إرساء دعامات الأمن الفكري، فما لبثت أن تهاوت كما تتهاوى أوراق الخريف.

وهو من جانب آخر، حين يسعى في تعاملاته المالية والاقتصادية إلى الاستجابة لأمر الله فيها؛ حيث لا تنطبع ممارساته بالمخالفات، ولا يلجأ إلى سلك المسالك التي تتعارض مع شرع الله تعالى، فإنه يكون قد وفر مدخلاً من المداخل التي تحافظ على ثوابت الأمة في هذا الجانب. وهو ما لا يخلو الجو فيه للنظم المالية الغربية الوافدة وحدها، فيكون له إسهام كبير في الوصول إلى تحقيق الأمن الفكري للأمة.

وإذا كان الأمن الفكري، ها هنا، يتحقق من لدن الوقف الإسلامي المعاصر باعتباره نتائج لمسار واختيار، فإن الوقف ملزم بأن يوجه طاقاته نحو البؤر الاجتماعية التي ينتعش فيها الشذوذ الفكري، سواء أكان وافدًا يسعى لأن يوجد لنفسه في بلاد المسلمين موقع قدم، فيظهر بعد حين في صورة جمعيات وأحزاب، أم كان من منتجات البلاد وأهلها؛ حيث يظهر في صور غالى ممثلوها وتطرف أصحابها فصارت لهم تكتلات منحرفة وكيانات زائغة يلحق أذاها العالمين في كل حين. وذلك من أجل إصلاحها أو محاصرتها واجتثاثها.

Book 01 Final B.indd 90 2/12/2019 11:23:00 PM

الفصل الثالث
الوقف يواجه المصاعب الصحية

المبحث الأول: معايير حوكمة الوقف ومحدداتها

المبحث الثاني: الوقف يجري العمليات الجراحية

المبحث الثالث: الوقف يحارب سوء التغذية

Book 01 Final B.indd 91 2/12/2019 11:23:00 PM



Book 01 Final B.indd 92 2/12/2019 11:23:00 PM

لقد تنوعت أوقاف الواقفين في المجال الصحي تنوعًا كان قادرًا على تغطية احتياجات المرضى والمحتاجين لخدماته؛ فمرة يظهر الوقف في صورة مستشفيات ودور تطبيب، ومرة ثانية يتجلى في هيئة دواء وطعام وكساء وتدفئة، وأخرى يتمثل في كل ما مضى ثم يُقصر أمره على فئة اجتماعية خاصة. وسنقف في الفقرات الآتية على شواهد من هذه الأحوال، نستدل بها على ما لم يتسع المقام لإيراده واعتماده.

المبحث الأول
معايير حوكمة الوقف ومحدداتها

يقوم الوقف الإسلامي المعاصر بخدمات جليلة في هذا المجال؛ حيث يبني المستشفيات والمراكز الصحية ودور التطبيب المختلفة. ولا أدل على ذلك مما قدمته هيئة «الإغاثة الإسلامية» للأمة في هذا الجانب، فقد أنشأت -إلى جانب خدماتها الصحية الأخرى- مستشفى طبيًّا على أحدث المقاييس الطبية بجدة، ومستشفيين اثنين؛ أحدهما بباكستان والآخر بنيجيريا، ويستفيد منهما سنويًّا ٥٣,٦٥٣ مريضًا ومريضة.

وأما ما يخص المراكز والعيادات الصحية، فإن الهيئة أنشأت ستة وعشرين منها في كل من باكستان، وبنجلاديش، واليمن، وجامبيا، وغينيا، وبنين، وتوجو، وتشاد، وبوركينافاسو، ونيجيريا، والسودان، وتنزانيا، وإثيوبيا، وجزر القمر، والبوسنة والهرسك. وقد بلغ عدد المستفيدين منها سنويًّا ٢١٢,٢٥٩ مريضاً ومريضة. وأنشأت صيدلية واحدة بالسودان.

وكذلك الشأن بالنسبة للجهات الوقفية الأخرى، فقد أنشأت إدارة أوقاف الراجحي مجموعة من المستشفيات والمراكز الطبية والإسعافية والتأهيلية؛ إسهامًا منها في تلبية الاحتياجات الصحية للمحتاجين إليها، ودعم الأجهزة الطبية في مختلف أرجاء المملكة العربية السعودية، وفي بعض الدول الإسلامية المحتاجة.

ومن أبرز المشروعات والبرامج المتعلقة بهذا المجال ما نذكره في الآتي:

• مركز الشيخ صالح بن عبد العزيز الراجحي للاعتلال السكري في العين؛ حيث تقدر تكلفته بتسعة وثلاثين مليون ريال سعودي. وهو مبنى مكون من خمسة طوابق تضم غرف الفحص، وغرف المعالجة، وجناح الليزر، وغرف العمليات، وغرف تعليم وتثقيف مرضى السكري، وغرف التصوير التشخيصي الشبكي، وغرف الفيسيولوجيا الكهربائية، ومركز ضعف البصر، ومركز الصفات الوراثية لأمراض شبكة العين، ومركز تجميع وقراءة المعلومات الصادرة من الشبكة التلفزيونية لفحص الشبكية الأولي، وذلك للتشخيص المبكر لاعتلال الشبكية الناتج عن الإصابة بداء السكري.

• مركز الشيخ صالح بن عبد العزيز الراجحي للتأهيل الشامل للمعاقين بمحافظة الخرج؛ حيث يقع المركز على أرض تبلغ مساحتها خمسة عشر ألف متر مربع، وتبلغ طاقته الاستيعابية ٤٠٠

Book 01 Final B.indd 93 2/12/2019 11:23:01 PM

سرير قابلة للزيادة، وبتكلفة بلغت عشرين مليون ريال سعودي. ويتكون المركز من ثلاثة مبان متجاورة، هي:

- المبنى الإداري الذي يضم صالة الاستقبال، ومكتب المدير، وغرفة الاجتماعات، ومكتب السكرتارية، وأربعة مكاتب للاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين، وعيادة الطبيب، وغرفة الخدمات، وست صالات للتدريب المهني، وصالة متعددة الأغراض على شكل مسرح متدرج للاستفادة منها في إقامة الندوات والمحاضرات والاحتفالات، وملاعب لكرة الطائرة، والسلة، واليد، والمضرب.
- والمبنى الطبي الرجالي الذي يشمل غرف الفحص الطبي، وغرف التمريض، وصيدلية، وخمس غرف لعزل المرضى، وثلاث صالات للعلاج الطبيعي، والعلاج المائي، والتمرينات اليدوية، ومسبحًا متدرج العمق. ويوجد في الأدوار العليا سكن الهيئة التمريضية وصالات الطعام.
- والمبنى الطبي النسائي الذي يضم صالة استقبال، ومكتب المشرفة، وأربعة مكاتب للاختصاصيات الاجتماعيات والنفسيات، ومكاتب للطبيبات، وعيادات خارجية، وهو ذو تصميم شبيه بتصميم القسم الرجالي، ولا سيما في أقسام التطبيب والرعاية النهارية والقسم المهني[١].

هذا، إلى جانب إنشاء إدارة أوقاف الراجحي مجموعة من المراكز الصحية في مختلف بقاع المملكة العربية السعودية؛ منفردة أو بالاشتراك مع مؤسسات أخرى، كالمركز الإسعافي بأم سدرة على طريق الرياض، ومركز شري على طريق القصيم، ومركزين في بلدة حلبان والحوميات التابعتين لمحافظة عفيف بمنطقة الرياض. وقد بلغت تكلفة بناء هذه المراكز ٩٠٠,٠٠٠ ريال سعودي، ويتوقع لها أن تخدم ٥٠,٠٠٠ مستفيد سنويًّا[٢].

- بناء مراكز غسيل الكلى وتجهيزها؛ حيث إن إدارة أوقاف الراجحي لجأت إلى التخفيف من معاناة مرضى الفشل الكلوي المحتاجين للعناية الطبية، فقامت بإنشاء وحدة متكاملة للغسيل الكلوي في مستشفى الدوادمي العام، الذي بلغت تكلفة إنجازه ٦٠٠,٠٠٠ ريال سعودي، ويستفيد منه ١٥٠٠٠ مراجع[٣].

ولكي تكتمل أعمال البر في الجانب الصحي، فقد انتبه القائمون على الوقف المعاصر إلى ضرورة إنشاء صيدليات وقفية تكمل هذه الخدمات. وهو ما نرى «الهيئة العامة للأوقاف» في السودان قد سعت نحو إنشائه، ضمن مشروع الصيدليات الشعبية «الذي يهدف إلى إقامة صيدليات في الأحياء الشعبية والقرى البعيدة لتقديم الدواء للفقراء بأسعار مخفضة»[٤].

لقد صار كثير من الخدمات الطبية مكلفًا جدًّا؛ بحيث إن كثيرًا من الناس يظل يقاسي أوجاعه،

(١) اُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter/news ، بتاريخ: ٢٠١٥/١/٤م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، ص ٢٩٦-٢٩٧.

Book 01 Final B.indd 94 2/12/2019 11:23:01 PM

فإذا تدخل الوقف الإسلامي المعاصر من أجل توفير الخدمات تلك؛ علاجًا ودواء، بأسعار مخفضة، فإنه يكون قد أسدى معروفًا لا ينكر، وحل مشكلة من المشكلات الاجتماعية العويصة.

المبحث الثاني
الوقف يجري العمليات الجراحية

أ- جراحة القلب

لقد أُنجزت مجموعة برامج قامت بها جهات وقفية مختلفة، يرد على رأسها البرامج السبعة التي أنجزتها «هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية» في كازاخستان، واليمن، ومصر، والمغرب، والبوسنة. كما نفذت الهيئة «برنامجها الإنساني المتمثل في إجراء عمليات للقلب المفتوح لعدد من المصابين بأمراض القلب في السودان، استفاد منها ٥١ مريضًا ومريضة»[1].

إن إجراء عملية للقلب إجراء مكلف، ولما يتحمل الوقف الإسلامي المعاصر وعثاء هذه التكاليف؛ يكون قد أسهم إسهامًا واضحًا في حل مشكلات كثير من الناس الذين يتهددهم الموت في كل حين.

ب- مكافحة العمى

ومن تجليات تلك الخدمة أن تنبري «هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية» لمكافحة العمى في كثير من البلاد الإسلامية، فتجري ٥٠٠ عملية إزالة للمياه البيضاء وزراعة عدسات داخل العين بتكلفة قدرت بـ١٨٧,٥٠٠ ريال سعودي، ضمن برنامج نفذ في أربع دول على مدار سنة ٢٠١٢م؛ في الفلبين، والفيتنام، وغانا، وموريتانيا.

كما أنها نظمت أيامًا طبية بمدينة كنانة في أواسط السودان، فكشف أطباؤها على ٤٠٠٠ حالة بين رجل وامرأة، واستفاد ألفان منها من نظارات طبية ونظارات قراءة، وأجريت عمليات المياه البيضاء وزراعة العدسات لثلاثمائة وثلاث وسبعين حالة. وقد بلغت تكلفة هذه الحملة ١٣١,٢٥٠ ريال سعودي.

كما قامت بهذا الأمر الجلل بالاشتراك مع المستشفيات الخاصة بمدينة جدة، فأنجزت ثلاثمائة عملية بتكلفة قدرها ٣٠٠,٠٠٠ ريال سعودي، ومع هيئة الهلال الأحمر السعودي لعلاج المحتاجين بتكلفة قدرها ٩٠٠,٠٠٠ ريال سعودي.

إن مشكلة العمى مشكلة عويصة؛ فهي تحول بين المرء ورؤية ما يحيط به، وتمنعه من أن يقضي مآربه بذاته، فيتعذر عليه أن يستفيد مما يستفيد منه الآخرون بيسر وسهولة. وحين ينبري الوقف لمواجهة هذه المشكلة يكون قد أسهم في حل مشكلات اجتماعية، طالما أحاطت ظلماتها بحياة الناس؛ حيث لا ينحصر أمرها في الضرر، ولكنه يتجاوزه ليمس كل مناحي الحياة.

(١) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٩.

Book 01 Final B.indd 95 2/12/2019 11:23:01 PM

ج- إجراء العمليات الجراحية الضرورية

وإلى جانب العمليات الجراحية الخاصة بالقلب والعين، فإن هيئة «الإغاثة الإسلامية العالمية» أجرت بالتعاون مع مؤسسة العون الإنساني في جمهورية اليمن ٢٥٠ عملية جراحية في مختلف التخصصات الطبية، مثل: الجراحة العامة، وجراحة العيون، والجراحة الباطنية، وجراحة العظام والأسنان، وجراحة الأنف والأذن والحنجرة... وذلك في المستشفى العالمي بمدينة (الغيضة) التي تقع في محافظة (المهرة) بشرق البلاد[١].

ولقد أوضح المسؤولون عن هذا العمل الخيري أنه جاء رغبة في إنقاذ عشرات الألوف من المرضى من وهدة العديد من الأمراض المزمنة والمستعصية، متحملاً تكاليف هذه العمليات الباهظة التي لا تقدر عليها الفئات الضعيفة، والتي بلغ عددها في مخيم أسبوعي واحد ٣٢٢٠ مريضًا ومريضة[٢].

المبحث الثالث
الوقف يحارب سوء التغذية

يحول سوء التغذية بين المرء وبين أن يعيش كما يعيش الآخرون، ويمنعه من أن يقوم بما يصلح أحواله في الحياة لعدم قدرة جسمه على مزاولة الأعمال التي تتناسب مع عمره؛ إذ إن «كل طفل يعاني من ضعف النمو الجسدي والعقلي بسبب الجوع وسوء التغذية، يتعرض لخسارة ٥ إلى ١٠٪ من دخله المكتسب على مدى عمره»[٣].

ومن أجل التخفيف من حدة هذه الأوضاع غير السوية، فقد انبرى الوقف المعاصر، فلاحت إسهاماته في كثير من المواقع التي تسود فيها هذه الاختلالات؛ حيث نجد «قطر الخيرية» تمول مشروعًا لمعالجة سوء التغذية في اليمن (٢٠١٥م)، في ثلاث محافظات يمنية، هي: تعز والحديدة والمحويت، وفي ست مديريات، وخمسة وثلاثين تجمعًا سكانيًا، «بتكلفة إجمالية بلغت ٤,٠١٥,٠٠٠ (ر.ق)[٤]. وقد استفاد من هذا المشروع أكثر من ٢٦٠٠٠، ما بين امرأة وطفل»[٥].

لقد جاءت هذه الالتفاتة من لدن الوقف المعاصر في سياق تقرير منظمة الغذاء العالمي أواخر عام ٢٠١٤م، الذي جاء فيه أن أكثر من ١٣٪ من أطفال اليمن يعانون من سوء تغذية حاد (النحافة)، وأن ٤١٪ منهم يعانون من سوء تغذية مزمن (التقزم)؛ حيث تكون له انعكاسات وخيمة-كما ورد في تقارير برنامج التغذية العالمي- على نمو الطفل الجسدي والعقلي وإنتاجيته في العمل، فهو «أشد خطرًا من أمراض الإيدز والملاريا والسل مجتمعة»[٦].

(١) أُنظر الرابط: http://www.egatha.org/portal/index، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٠م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أُنظر هذا على الرابط الخاص ببرنامج التغذية العالمي: http://ar.wfp.org/hunger، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٣/١٥م.

(٤) (ر.ق): تعني ريال قطري.

(٥) أُنظر الرابط: http://www.qcharity.com/a/index ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٧م.

(٦) أُنظر الرابط: http://ar.wfp.org/hunger، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٣/١٥م.

Book 01 Final B.indd 96 2/12/2019 11:23:01 PM

وبالنظر إلى شساعة مساحة هذه المعضلة الاجتماعية، فإننا نرى الوقف الإسلامي المعاصر يرصد المناطق المبتلاة بها من بلاد المسلمين، فيقيم بها مخيمات صحية علاجية لتجاوز ظروفها العويصة، وذلك كالذي قامت به هيئة «الإغاثة الإسلامية العالمية» في بلاد الصومال؛ حيث «استفاد حوالي سبعة آلاف طفل وطفلة من أبناء الصومال وبناته من خدمات عيادة الكشف الطبي ومركز التغذية التكميلية، اللذين افتتحتهما هيئة الإغاثة في مخيم (تريون) بالعاصمة الصومالية مقديشو»[1].

إن هذه الخدماتِ الجليلةَ الباهرة، والنفقات ذاتَ المبالغ النادرة، والأخبارَ المشِيدَة السائرة، لم تكن مؤسسة على غير الوقف الإسلامي الذي اهتم بكل المجالات، واهتم منها بالصحة الاجتماعية التي تحوم حولها أغلب قضايا الحياة؛ بحيث إن الصحة إذا صلحت أشعرت صاحبها بلذة العيش ومتعته، وإذا فسدت -لا قدر الله- فات الفردَ والمجتمعَ بفوَاتها خيرٌ كثير.

(١) التقرير السنوي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٩.

Book 01 Final B.indd 97 2/12/2019 11:23:01 PM



الفصل الرابع
قدرة الوقف الإسلامي
على حل المشكلات الاقتصادية

المبحث الأول: إبداع الواقفين حلولاً للضوائق المالية

المبحث الثاني: للوقف أدوار في تحقيق الاستقرار المالي والاقتصادي

المبحث الثالث: للوقف أدوار في تعبئة موارد التنمية

المبحث الرابع: مؤهلات الوقف لإنشاء مؤسسات مالية وتأمينية وقفية

المبحث الخامس: التأمين الوقفي يحلُّ مشكلات اجتماعية جمة

المبحث السادس: أبعاد الوقف في تحقيق الوحدة والاندماج

Book 01 Final B.indd 99 2/12/2019 11:23:02 PM



المبحث الأول
إبداع الواقفين حلولاً للضوائق المالية

لقد اجتهد من وقفوا أموالهم وعقاراتهم في إبداع حلول للضوائق المالية، فابتكروا ضروبًا وقفية متعلقة بالقروض التي حين نقف على بعض تجلياتها؛ نقف مشدوهين من عظمة تسخيرهم نعم الله عليهم لعمارة الدار الآخرة.

ووقفة على صورة واحدة لتبين أن ماضينا كان أفضل من حاضرنا بأضعاف مضاعفة، فإذا عاد الوقف في أيامنا إلى مواقع السيادة والريادة كان له مع مشكلاتنا الراهنة شأن آخر؛ فإذا وجدنا ابن يمن العرضي (ت: ٦٨٥هـ) -وهو أحد أكابر رجال دمشق- «قد أرصد عشرين ألف درهم يُقرضها من غير ربح، بل درهماً بدرهم، لكل من قصد ذلك»[١]، فإن ذلك إنما يدل على أن الوقف كان مؤديًا دوره في سلك السبل التي تبني المجتمع وترص صفوفه.

لقد كان لهذا السلوك الذي لا يمثل إلا غيضًا من فيض في هذا المضمار أثر بالغ في تفريج الكربات الاجتماعية، الناتجة عن الضوائق المالية تفريجًا شرعيًّا يبتعد بالتعامل المالي عن المحظور الربوي الذي يمحق المال ولا يُربِيه، ويهدم البنيان الاجتماعي المرصوص ولا يبنيه، ويفكك الروابط والأواصر بعد أن كانت متماسكة، متفاعلة متراحمة!!

ولذلك، فقد كان للأساس الديني أثره في توجيه الناس لأن يسلكوا مثل هذا المسلك، الذي حين بعدت عليهم الشقة فيه صار استغلالُ من يكون في تلك الضوائق ديدنَهم، وإثقالُه بضغوطاتهم الربوية مبتغاهم. وشتان بين الرؤيتين؛ إذ كانت الأولى حريصة على تحقيق الفوز الأخروي فتُسقط الربحية المادية البحتة من حسابها، وتبتغي بسلوكها «اكتساب أقصى قدر ممكن من الحسنات واجتناب أقصى قدر من السيئات. وهو ما يمثل الرفاهية الروحية»[٢].

إن مثل هذه السياسات المالية والاقتصادية المنطلقة من رؤيتنا الشرعية، لتمثل الأساس الرشد لبناء المجتمع بناء ينعدم فيه ظلم الكبراء للصغراء، وتجتث منه آثار الفقر التي تجعل الصغير دائمًا عرضة لأن يستعبد من لدن الكبير المفتقر إلى الرحمة، ويقضى فيه على المجاعة التي تجبِر من يعانيها على أن يسلك المسالك غيرَ الشرعية في طلب القوت وفي تلبية مطالب الحياة، وبه تقضى حوائج الناس من غير أن يرتكبوا منكرًا أو أن يفقدوا به ماء وجوههم. وما ذلك إلا لأن التعامل المالي في الإسلام «لا يقبل أن تنشأ في إطاره إلا الأخلاق الفاضلة. لذا جعل مقياس المفاضلة بين الناس التقوى بدل الغنى»[٣].

---

(١) ذيل مرآة الزمان، قطب الدين اليونيني، ٤/٢٩١-٢٩٢.

(٢) النظام الاقتصادي الإسلامي، علي يوعلا، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٢.

Book 01 Final B.indd 101 2/12/2019 11:23:03 PM

المبحث الثاني
للوقف أدوار في تحقيق الاستقرار المالي والاقتصادي

إن الصورة العظيمة التي أوردناها في المبحث السابق عن ابن يمن العرضي الذي كان قد أرصد عشرين ألف درهم يقرضها من غير ربح، حين تتخذ منطلقًا لاستدعاء صور شبيهة بها في ديار الإسلام كلها، لتبين أن المسار الذي كان يسلكه الوقف الإسلامي -إضافة إلى استهدافه الفوز برضوان الله تعالى- كان يتمثل في تحقيق الاستقرار المالي والاقتصادي في بلاد الإسلام، وذلك بما يستدعيه هذا الاختيار من أبعاد ونتائج.

وأول ذلك ما تدل عليه عبارة الراوي: «يقرضها من غير ربح، بل درهماً بدرهم»؛ حيث يتبين أن السلوك رافض للمعاملات المالية الشاذة القائمة على الفائدة، باعتبارها «علاوة تضاف على الدَّين بنسبة مئوية منه لقاء الأجل بحسب مدته»[1]. وهي علاوة تكون مضمونة ومحددة على رأس المال سابقاً. ومن ثم، فهي زيادة مشروطة. و«كل زيادة مشروطة، نصًّا أو عرفًا، في استرداد القرض، هي ربا محرم»[2].

إن الصورة التي انطلقنا منها، إنما هي غيض من فيض؛ فهي صورة وقفية من صور كثيرة يحبل بها تاريخ المسلمين. ومن أجل وصل القديم بالحديث، والماضي بالحاضر، فإن الوقف الإسلامي ينبغي له أن يجتهد في إعادة الممارسات المالية إلى نصابها؛ فإذا وُجد الوقف الخاص بإقراض الناس، فإن الناس، سواء أكانوا متديِّنين أم لم يكونوا كذلك، لن يلجؤوا إلى الاقتراض بالفائدة؛ فحتى من لم يرغب منهم في الاستجابة للأمر الإلهي، فإنه سيستجيب للرغبة في عدم الخسارة المالية.

وإذا أنشئت الأوقاف الخاصة بالإقراض وشاعت وانتشرت، فإن أمرها لا يبقى مقتصرًا على مستويات الأفراد، ولكنه ينصرف إلى مستوى الدول، فتحصل الدول على ما تشاء من القروض من غير فوائد، فتتحرر من ثقل الربا الجاثم على صدرها بكل مشقاته؛ حيث تبدو لاهثة في كل حركاتها وفي كل سكناتها، بسبب الفوائد التي تدفعها على القروض البنكية التقليدية والتي «قد تفوق الدخل القومي بكامله»[3].

إن ركوب هذا الطريق يكون مسلكًا نحو التحرر من «مشكلة المديونية الخارجية التي تكاد توقف عملية التنمية في معظم البلدان النامية، ومنها البلدان الإسلامية»[4]. وبذلك، فإن الوقف إذا

(١) المصارف: معاملاتها، ودائعها، فوائدها، مصطفى أحمد الزرقا، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، السنة الأولى، العدد الأول، ص ١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٣) أهمية البنوك الإسلامية، سامي حسن حمود، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ١٢٢.

(٤) دور المصارف الإسلامية في تعبئة الموارد المالية للتنمية، عبد الرحمن يسري أحمد، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ١٤٤.

Book 01 Final B.indd 102 2/12/2019 11:23:03 PM

انخرط في هذا المسار فإنه يكون قادرًا على الوفاء بالتزاماته فيه؛ فيحرر المسلمين من الرق الجديد، ويمنحهم الاستقلال عن مصاصي الدماء، ويُرضي الربَّ -سبحانه- بالائتمار بأمره.

فإذا أسهم الوقف الإسلامي في تحرير الدول الإسلامية مما هي فيه من مديونية مالية للبنوك العالمية، فإنه يكون قد أسدى إليها معروفًا لا يقدر بثمن. ومن ثم، فإنه يكون قد ردها إلى طريق الاستقلال الشامل من التبعية المتعددة التجليات التي ساعد النظام المصرفي في توثيق حلقاتها، والتي لن يهدأ لأصحابها بال إلا إذا ارتبطت البلدان الإسلامية «بالعالم الغربي ارتباطًا تامًّا، وتناست أو تجاهلت هويتها»[1].

إن آلية التمكين للتبعية تتمثل أساسًا في القروض التي قد يعلن بخصوصها عن تسهيلات، أو تأجيلات، أو منح، أو هدايا... ولكن الحقيقة غير ما يعلن عنه؛ فـ «القروض أيًّا كان حجمها، وأيا كانت نسبة الفائدة فيها هي قروض، لا بد أن تسدد في يوم ما (...) وما لا تسدده بالعملة، تسدده بالتنازل عن جانب من الكرامة أو القيمة المعنوية»[2].

إن أصل كثير من الاختلالات المعيشة في الحياة يرجع إلى المال والاقتصاد. وإن الوقف الإسلامي قادر على أن يعيد المياه إلى مجاريها، فتحل المشكلات الراهنة كلها، ويتخلص أبناء الإسلام من المعضلات الشائكة التي يعانون آثارها الخطرة، بما يستطيعه من تحقيق، في المجالين المالي والاقتصادي، من استقرار وتوازن.

المبحث الثالث
للوقف أدوار في تعبئة موارد التنمية

يوجه الشرع الإسلامي آلياته نحو رفع العنت عن المؤمنين، فيضع بين أيديهم الوسائل المناسبة للانتقال بهم إلى المستويات التي تتحقق فيها كرامة الإنسان؛ حيث يصير مستفيدًا من ثمرات التنمية التي إن لم تكن له يد في صناعتها أول مرة، فإنه يوجَّه إلى ركوب مراكبها بعد توفيرها، بغية أن يُنتقل به من الخصاص إلى الكفاف، ومن التخلف إلى التقدم، ومن التسول وتكفُّف الناس إلى الغنى عن سلك تلك المسالك كلها.

وإذا أدركنا أن الوقف الإسلامي يرد على رأس تلك الوسائل والآليات جميعها، وأدركنا أنه كان قد بذل قصارى جهده في الأزمنة الماضية من أجل تحقيق تنمية اجتماعية شاملة، صار يرفل المجتمع في جنباتها ويتفيأ ظلالها، فإن مستجدات الحياة المعاصرة تفرض بإلحاح توجيه الوقف نحو ركوب مركبين اثنين لا يؤتي أحدهما أُكله في غياب قرينه؛ حيث يتمثلان في مركب فعل الخير الذي كان الوقف ولايزال يقوم عليه، ومركب التنمية المعرفية التي صار الواقع ملوِّحًا في الجنبات كلها بأنه لا موقع في المستقبل لمن لم ينل منها حظًّا كافيًا؛ «فلا مناص اليوم من ربط إرادة الخير بإرادة المعرفة،

(١) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٢) الربا وخراب الدنيا، حسين مؤنس، ص ١٤.

Book 01 Final B.indd 103 2/12/2019 11:23:03 PM

والاستثمار في الاقتصاد بالاستثمار في الذكاء وفي الإنسان»[1].

التفاوت بين الناس في فهم معنى الكرامة الإنسانية لا يكون إلا نتيجة لدرجة المعرفة بحقيقة الإنسان عند الله تعالى، فإذا توجه بهم الوقف نحو الفعل والعمل وبذل الجهد من أجل «دفعهم إلى رفض "التواكل الاقتصادي"، سواء أكان ذلك على الدولة أم على المحسنين»[2]، فإنهم آنئذ يستشعرون كرامتهم التي يكون الوقف قد حققها بالانتقال بطاقاتهم من مستوى الكُمون إلى مستوى يستفيد منه المجتمع ويُحتفظ فيه بماء وجوههم.

إن ما تحتاج إليه الكثير من المداخل التنموية إنما يكمن في المعرفة بخبايا المجال. وهو أمر حين يكون الوقف قد حققه للإنسان يكون قد قطع به أشواطًا عظيمة في تمكينه من بلوغ التنمية الفردية الكاملة، كما يكمن في التمويل الوقفي للمشروع الإنتاجي الذي يكون قد وُجِّه المرء إليه. وهو ثاني اثنين مما يتكفَّل الوقف بإسدائه، فإذا تحققا معا؛ معرفةً وتمويلاً، فإن الوقف يكون قد أسهم في تحقيق التنمية الاجتماعية الشاملة، ولا سيما حين يكون قد عمَّم هذا الأسلوب على كل من يحتاج إليه.

فإذا تتبعنا هذه المتتالية التي تتُوق لأن تستوعب كل من يحتاج من الناس إلى الأمرين الضروريين؛ المعرفة والتمويل، وتم تعميمها على كل من يجوبون الشوارع من غير مردود، أو من يقفون في مداخل الأزقة والممرات من غير طائل، فإن البطالة لن يبقى لها أثر، ولن تُطلّ ثانية على المجتمع من شُرفاته بوجهها الكالح؛ حيث يتاح «المزيد من فرص العمل واستغلال الثروات المحلية وزيادة الإنتاج وزيادة الدخول»[3].

وقد يقول قائل، إن هذا الأمر التنظيري مهم إذا كانت له المصادر التمويلية الظاهرة المرئية رأي العين. وهو ما يعني أن الأمر في غياب هذه المصادر يبقى في حكم سبح الخيال.

إن الوسائل الوقفية التمويلية كثيرة كثرة لافتة -والدعوة لأهل الاختصاص من العلماء والاقتصاديين أكيدة للاستزادة منها- فإذا سخرت من أجل حل مشكلات التخلف والبطالة وإهدار الوقت، باعتماد صيغ المعاملات الشائعة بين الفقهاء، كالمرابحة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، فإن الوقف يكون من خلالها قد أسدى إلى المجتمع معروفًا لا ينكره منكر ولا يغض الطرفَ عنه مُجاف.

إن تحقق التنمية الشاملة مع الوقف لا يعرف التوقف ولا يعرف التراجع أو الركود؛ ذلك لأن الوقف بطبيعته يمتاز باستقلاليته عن أساليب الاقتصادات النفعية غير المنضبطة بالضوابط الخلقية، فمنطلقُ الوقفِ دينيٌّ، وتوجهُه خدمةُ المجتمع، وهدفُه إسعادُ الناس ورفعُ العنت عنهم. وهو ما لا

(١) الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر والمياومة من خلال المنوال التونسي، حسن القرواشي، ص ٥٣.

(٢) التنمية من الداخل، ضرورة وقفية، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ص ١٢ (الافتتاحية).

(٣) دور الوقف في تمويل المشروعات الصغيرة، عبد القادر زيتوني، ص ١٤٣.

Book 01 Final B.indd 104 2/12/2019 11:23:03 PM

صلة له البتَّة بما يُعتمد في اقتصادياتٍ مصابة بالشَّره في استغلال الخلائق، وامتصاص دمائهم، وأكل أموالهم بالباطل؛ فوقفُنا خدمي خيري، وهذه الاقتصادات نفعية استغلالية.

ومن ثم، فإن أزماتها حينما تصيب العالم يكون الوقفُ وخدماتُه مبرأين من كل تبعاتها ونتاجاتها غير المرضية. وبذلك، تكون التنمية التي يحققها الوقف للمجتمع ممتلكة لشروط الاستدامة التي تصبو لتحقيق السعادة المادية والروحية.

المبحث الرابع
مؤهلات الوقف لإنشاء مؤسسات مالية وتأمينية وقفية

يقف الأستاذ عبد الرحمن يسري على التعريف الشائع للمصرف الإسلامي بكونه «مؤسسة مصرفية لا تتعامل بالفائدة أخذًا أو عطاء»[1]، ويذهب إلى أنه تعريف قاصر، لأن هناك نماذج اقتصادية غير إسلامية لا تعتمد الفائدة، مثل: نموذج بنوك القرية أو بنوك الادخار في ألمانيا والمصارف في الكتلة الاشتراكية، وتجارب بعض المصارف الرأسمالية بانصرافها إلى أساليب لا تعتمد بالضرورة على نظام الفائدة الشائع لديها.

ومن هذه المفارقة التي يلتقي فيها المصرف الإسلامي ببعض المصارف لدى بعض من ليسوا مسلمين، ينطلق الباحث ليصوغ حدًّا مميزًا للمصرف الإسلامي، الذي يراه بأنه «مؤسسة مصرفية تلتزم في جميع معاملاتها ونشاطها الاستثماري وإدارتها لجميع أعمالها بالشريعة الإسلامية ومقاصدها، وكذلك بأهداف المجتمع الإسلامي داخليًّا وخارجيًّا»[2].

ومن هذا التحديد الذي يزيح كثيرًا من المشترك بين الرؤية المالية في الإسلام ورؤى أخرى ترجع إلى منطلقات دينية وإيديولوجية مغايرة، يمكننا أن نرصد من مضمونه كثيرًا من المؤهلات لإنشاء مؤسسات مالية وتأمينية وقفية. لا سيما وأن الوقف الإسلامي يمتلك صيغًا مرنة توجهها القيم الروحية، تكسبه القدرة على «تطوير نماذج للبنوك ومؤسسات التأمين أكثر ملاءمة لاحتياجات الناس، في نفس الوقت الذي تحافظ فيه على شرعية معاملاتها دون المساس بنشاطها الاقتصادي»[3].

إن أولَ المؤهلات التي تمكن الوقف الإسلامي من تحقيق هذا المبتغى انسجامُ الأسهم التي يتعامل بها في كثير من الأوقاف المعاصرة مع الرؤية الشرعية، ونفوره من السندات البنكية؛ فـ «السهم مقبول للتداول من طرف الرؤية الإسلامية؛ لأنه لا يعدو أن يكون شهادة بملكية، ووسيلة إثبات لها (...)، أما السند فهو شهادة بدَين القرض الربوي، على الخزينة العامة أو على الشركات. ومن ثم،

(١) دور المصارف الإسلامية في تعبئة الموارد المالية للتنمية، عبد الرحمن يسري أحمد، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ١٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٣) التنمية من الداخل، ضرورة وقفية، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ص ١٢ (الافتتاحية).

Book 01 Final B.indd 105 2/12/2019 11:23:03 PM

فهو وسيلة ربوية مرفوضة»[١].

والسهم هنا، إنما هو وسيلة تنظيمية، وإلا فإنه ليس على شاكلة أسهم البورصة؛ فهو صدقة جارية "لا يباع ولا يوهب ولا يورث". ومن ثم، فإن أرباح السهم حين لا تُردُّ على من وقفه، فإنها تسهم في نماء البنك الوقفي أو المؤسسة التأمينية، ثم تصرف على الجهات التي حدِّدت لها أول مرة.

ومن جانب ثان، فإن تلك الأسهم حين تصير ملكا للبنك الوقفي، فإنها لا تفرض على البنك فوائد تجاهها، فتصير من هذا المنظور مخالفة للودائع البنكية العادية حين لا تكون في حساب جار؛ حيث تترتب لصالح المؤسسة المالية فوائد تجاهها. وهو أمر آخر يسهم مرة ثانية في نماء البنك نماء ظاهرًا.

إن نماء المؤسسة المالية الوقفية حين يتحقق من هذين الرافدين؛ الأوقاف المتلاحقة وأرباح الأسهم العائدة إليها، يكون قد مثل أول خطوة على طريق الحل لمشكلات مالية جاءت بها الحياة المعاصرة، حين ارتبط فيها المسلمون بالبنوك الغربية المخالفة لمنطلقاتهم العقدية؛ فكثير من الناس يخشى التعاملات الربوية ولكن الاضطرار يُجبره على ركوب مراكبها. ومن ثم، فإن تحقق هذه البغية هو تحقيق لآمال كثير من المسلمين الذين صرحوا في كثير من المناسبات بأن «من أفضل الحلول للقضاء على مشكلة الربا إنشاءَ مصارف إسلامية تقرض الفقراء، والمساكين، والمصابين، وأصحاب الكوارث والمصائب، من غير فائدة، تساهم فيها الدولة، ويساهم فيها الخيرون من المسلمين الذين يبغون الأجر والثواب من عند الله»[٢].

فالمنطلقات واضحة، والأرضية مفروشة بكل المؤهلات، والتعامل المالي مستهدفٌ حلَّ الأزمات والضوائق وليس مستهدفًا تكديس الأرباح وامتصاص دماء المحتاجين. ولذلك، فإن المشروع المالي كله هو تجلٍّ من تجليات الرشد الاقتصادي الذي يلعب «دور الستار الواقي من الوقوع في الممارسات الاقتصادية اللامشروعة»[٣].

وثاني المؤهلات الأساسية أن الوقف يمثل في أحد جوانبه استثمارًا للأصل الموقوف، لا يخشى الخسارة؛ حيث يسعى صاحبه «من خلاله إلى المحافظة على الأصل الموقوف ونمائه، بينما يكون الاستهلاك للناتج والثمرة والربح والريع»[٤]. فإذا كان الأمر على هذه الصورة، فإن المؤسسة المالية الوقفية تصير في وقت وجيز قادرة على مساندة الجهات الحكومية في تنفيذ خدماتها بعد تحقيق خدمات أهل الاحتياج من المواطنين.

إن الأمر ليس ضربَ خيال أو أضغاثَ أحلام؛ فالتجربة معيشة في بلاد من بلاد المسلمين، فقد

(١) الأسس الشرعية للنشاط الاقتصادي في الإسلام، محمد الحبيب التجكاني، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ٦١.

(٢) مشكلة البطالة وعلاجها- دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، جمال حسن أحمد عيسى السراحنة، ص ٢٨٨.

(٣) النظام الاقتصادي الإسلامي، علي يوعلا، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ٧٨.

(٤) دور الوقف في تمويل المشروعات الصغيرة، عبد القادر زيتوني، مجلة أوقاف، العدد ٢٢، ص ١٢١.

Book 01 Final B.indd 106 2/12/2019 11:23:03 PM

كانت هيئة الأوقاف الإسلامية السودانية عاجزة عن فعل أي شيء، وكانت تعيش عالة على موارد الدولة الشحيحة، ولكنها لما تحسست قوتها وإمكاناتها، وأصلحت أمرها، وأنشأت مؤسساتها المالية، فقد استطاعت «أن تحقق من الإنجازات ما استعصى على الكثير من المؤسسات الرسمية والشعبية»[١]، بل إنها أصبحت «هيئة فاعلة مؤثرة، تقدم بعض الدعم لمؤسسات التعليم، ومؤسسات الدعوة الإسلامية، والجمعيات الخيرية، وتمنح المساعدات للفقراء، وتسهم في صيانة المساجد، ودعم معاهد تحفيظ القرآن الكريم، ملتزمة في كل ذلك أحكام الوقف الشرعية وشروط الواقفين»[٢].

وثالث المؤهلات الأساسية أن الوقف إنتاج وليس تعطيلاً للأموال كما يظن كثير ممن يناصبون الوقف العداء؛ فإذا استطاع الوقف أن يحرر الطاقات من قيود البطالة، وأن ينمي القدرات العلمية والمعرفية لدى أبناء المسلمين، وأن يقدم المساعدات للمحتاجين؛ أفرادًا وجماعات ومؤسسات... فإن إنتاجه آنئذ لا يعدله إنتاج. لا سيما وأن «الإنتاج عندما يتعدى الحاجة يصبح لدينا طاقة تصديرية. وهذه هي روعة الإسلام في أنه يوجه المال للإنتاج»[٣].

ورابع المؤهلات أن الوقف الإسلامي قادر على أن يتجاوز المستويات العادية المألوفة المرتبطة بفئات محددة معلومة؛ لأن يكتسح جنبات المجتمع ويحيط بها جمعًا. وإذا لم يكن هذا الأمر متحققًا في كل البلاد الإسلامية، فإن الوقف يمتلكه باعتباره قوة كامنة فيه، فإذا تم تفعيل قدراته الذاتية وارتبط عبر شراكات مع مؤسسات المجتمع المدني باعتبارها المنظم لمطالب المجتمع والمهتمة بتحقيقها، فإنه سيؤتي أكله كل حين بإذن ربه؛ إذ إنه «آلية تنموية بامتياز تنطلق من إمكانات الداخل وتستند إلى حس الأفراد بمسؤوليتهم الاجتماعية، لتطور وتثري المجموعة في مجالات فعلها المتعددة»[٤].

وخامس المؤهلات أن يكون قطاع الوقف متوفرًا على طاقات مؤهلة للتسيير الإداري والتدبير المالي. وهو الأمر الذي صار مرئيًّا رأي العين؛ فكثير من الأطر ذات التخصصات الاقتصادية والمالية والمحاسبية هي ملمة بالمقتضيات الشرعية الضرورية التي تمكن الوقف، حين إنشائه مؤسساته المالية والتأمينية، من عدم الوقوع في مخالفات شرعية لا تتفق مع الرؤية التي انطلق منها أول مرة. فوجود هذه الفئة المؤهلة من الناس «ضرورة لنجاح النشاط المصرفي الإسلامي في تعبئة الموارد اللازمة للتنمية»[٥].

---

(١) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ١١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٣.

(٣) أهمية البنوك الإسلامية، سامي حسن حمود، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ١٢٢.

(٤) التنمية من الداخل، ضرورة وقفية، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ص ١٠ (الافتتاحية).

(٥) دور المصارف الإسلامية في تعبئة الموارد المالية للتنمية، عبد الرحمن يسري أحمد، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، ص ١٢٤.

Book 01 Final B.indd 107 2/12/2019 11:23:03 PM

المبحث الخامس
التأمين الوقفي يحلّ مشكلات اجتماعية جمة[1]

إن إعلاننا عن قدرة الوقف على إنشاء مؤسسات مالية وتأمينية ليس ادعاء، ولكي تكتمل صورة ما نركبه في هذا المذهب ينبغي أن نمد النظر إلى ما كان سائدًا في حياة المسلمين في هذا الجانب؛ فالمرء يستغرب كثيرًا حين يجد المفاهيم الكلية السائدة في قطاع التأمين المعاصر كانت موجودةً لدى المسلمين في تاريخهم الطويل؛ فقد اهتموا بها اهتمامًا لافتًا، وإن لم تكن قد استقرت لديهم على الوجه الشائع بيننا اليوم.

فإذا كانت فروع التأمين الاجتماعي لا تكاد تخرج عن التأمين على الشيخوخة، والعجز، والوفاة، والمرض، والأمومة، وأضرار العمل، والبطالة، والعلاوات العائلية[2] ، فإن صور هذه الأحوال كانت شائعة في تاريخ المسلمين في صورتها الكلية، ولا سيما إذا اعتبرنا «المعاش والبدل في أنظمة التأمين الاجتماعي ليسا من الهبة المشروطة بعوض، وليسا عن الاشتراك، وليسا مكافأة عن العمل، وإنما هما كفالة أو تكافل اجتماعيان حسب المول للنظام»[3].

ومن صور ما يشدنا إليه بهذا الخصوص في علاقته بالوقف الإسلامي أن نجد الواقفين قد أبدعوا كثيرًا من وجوه التأمين، التي لم ينصرفوا بها إلى التنظير أكثر من انصرافهم إلى الفعل والتطبيق، فوجد من ذلك التأمين على البطالة، وذلك كالذي نجده في فعل السلطان المغربي أبي عنان المريني الذي جعل بعض «صدقته على الزّمنى والضعفاء بأزواج الحرث يقيمون بها أودهم»[4].

وحتى إن لم تكن مواجهة البطالة، في هذا المشهد، على الصورة السائدة في أدبيات التأمين المعاصر؛ إذ انصرفت إلى البحث عن العمل للعاطلين، ولم تنصرف إلى ضمان راتب دوري لهم، فإن الذي يهمنا هنا هو توفر المؤهلات الأساس لدى الوقف الإسلامي للقيام بذلك. وهو ما إذا عمَّق فيه الباحثون بحوثهم الجادة لكان للوقف فيه شأن عظيم وعطاء غير مجذوذ؛ حيث يتم به حل كثير

---

(١) لن نشغل أنفسنا بالموقف الشرعي من التأمين؛ حيث إنه صار مقررا لدى الفقهاء المعاصرين بما توصلوا إليه في بحوثهم -حسب إشارة عبد اللطيف محمود آل محمود، في "التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية"، ص٣٨١- من أنهم لا يجدون «ما يمنعه شرعا، رغم قيامه على الحاجة المظنونة لا المتحققة»؛ ذلك لأنه- كما يذكر الشيخ مصطفى أحمد الزرقا، في "نظام التأمين: حقيقته والرأي الشرعي فيه"، ص١٦- «لا يمكن أن توجد في حياة البشر حاجة حقيقية إلى أمر من الأمور، أو تدبير من التدابير تتوقف عليه مصالحهم، أو دفع الأذى عنهم، وتضيق به الشريعة الإسلامية التي هي شريعة الأبد الصالحة للخلود بما تضمنته من قواعد وأسس وأصول كفيلة بتلبية الحاجات الحقيقية: ما هو كائن منها، وما سيكون مع تطور الأزمان». ونحن إذ نقبل هذا كله، فإننا نؤكد على كون الوقف حينما اهتم بالجانب التأميني، فإنه لم يهتم منه بما فيه مخالفات شرعية، وإنما الذي نجده فيه هو من باب "التأمين التعاوني" الذي «لا يهدف إلى الربح، وأنه من باب التعاون على البر». انظر: موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، علي أحمد السالوس، ص ٣٧٧.

(٢) التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية، عبد اللطيف محمود آل محمود، ص ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨١.

(٤) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ١٩٩/٤.

Book 01 Final B.indd 108 2/12/2019 11:23:04 PM

من المشكلات المعيشة في حياة الناس؛ كرامة وأمنًا واستقرارًا، فلطالما كان للبطالة دور في «انتشار الأنشطة الإجرامية»[١].

ومن اللافت للنظر أن الفقهاء قد جاؤوا باجتهادات جميلة، فجعلوا الانقطاع لطلب العلم الواجب من لدن الطالب نوعاً من أنواع العجز الذي يستحق به المعونة، «لأن طلب العلم بجد يمنعه عن الكسب ولو كان قادرًا عليه»[٢]. وهو ما جعل الواقفين ينظرون إلى المشتغلين بالعلم، من العلماء والطلبة، نظرة اقتضت كفايتَهم أحوالَهم من سكن ولباس وطعام وجراية، بما يعتبر إجراءً تأمينيًا قام به الوقف وأدَّاه على أحسن صورة.

ومن ذلك ما يشير إليه ابن جزي من اختراع السلطان أبي عنان «في الكرم والصدقات أمور لم تخطر على الأوهام ولا اهتدت إليها السلاطين؛ فمنها إجراء الصدقة على المساكين بكل بلد من بلاده على الدّوام»[٣]؛ حيث تؤمَّن لهم جراية دائمة، كما تؤمَّن الكسوة للمساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ والملازمين للمساجد بجميع بلاده»[٤]، بل إن الاستفادة من التأمين الاجتماعي صارت تتحقق بالوقف لمسلوبي الحرية؛ حيث تم «تعيين الصدقة الوافرة للمسجونين في جميع البلاد أيضًا، ومنها كون تلك الصدقات خبزًا مخبوزًا متيسرًا للانتفاع به»[٥].

ومن صور ذلك، حالة تأمينية نادرة أبدعها الوقف، إنها تلك التي تتمثل في «تعويض الأواني التي تكسر حتى لا يتعرض الكاسر للعقاب»[٦]، أو أن يخصم من أجره ما يقابل الضرر الذي قد يلحق أدوات العمل من لدنه؛ فكما اهتم التأمين الاجتماعي الوقفي بحماية صاحب الدخل، فقد اهتم به في الحالات التي يحدث له فيها «ما يستدعي مصروفات استثنائية»[٧]. وهو ما لخصه الشيخ بنشقرون بقوله (الطويل):

وقَد أَوقَفُوا جَبْرَ الأَوَانِي، فَرُبَّمَا * * * يُهَشِّمُهَا طِفْلٌ، فَتُقطَعُ مِنْ أَجْرِ
ولَكِنْ بِمَـالِ الْوَقْفِ يَأْخُذُ غَيْرَهَا * * * بِلاَ عِوَضٍ مِنْهُ، فَيَسْلَمُ مِنْ خُسْرِ

ومن صور ذلك أيضًا، التأمين الاجتماعي الذي كان يحققه الوقف الإسلامي لأُسَرِ الأَسْرى والشهداء. وذلك كالذي نجده في فعل هشام الأموي بالأندلس (ت: ١٨٠هـ)؛ فقد «كان ينفق الأموال الطائلة في افتداء أسرى المسلمين، حتى لم يبق في عهده منهم في قبضة العدو أحد، ويرتب في

(١) مشكلة البطالة وعلاجها – دراسة مقارنة بين الفقه والقانون- جمال حسن أحمد عيسى السراحنة، ص ١٦١.

(٢) نظام التأمين: حقيقته والرأي الشرعي فيه، مصطفى أحمد الزرقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١١٧.

(٣) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ابن بطوطة، ١٩٩/٤.

(٤) المرجع السابق، ١٩٩/٤.

(٥) المرجع السابق، ١٩٩/٤.

(٦) التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية، عبد اللطيف محمود آل محمود، دار النفائس، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ٢١٣.

(٧) المرجع السابق، ص ٦٧.

Book 01 Final B.indd 109 2/12/2019 11:23:04 PM

ديوانه أرزاقًا لأسر الجند المتوفين في الجهاد»[1].

إن لائحة إنجازات الوقف في مجالات التأمين الاجتماعي أكبر من أن يحاط بها؛ فهي مسيرة حياة أمة، وهي ثقافة ودين. وإذا كنا نلمِّح بذلك إلى رغبتنا في الاكتفاء بما ذكر من شواهد، فنجعل الشاهد منها ينوب عن الغائب، فإننا ننبه على أن الوقف الإسلامي قادر على القيام بهذا الأمر من جديد، ولاسيما إذا صرف الواقفون اهتمامهم إلى تنظيم هذا المجال بإخضاعه لرؤية حديثة تساير العصر وتلتزم بأوامر الشرع، وتخلص المسلمين من جشع شركات التأمين التي أصبحت «تفرض أقساطًا عالية، وتجني أرباحًا باهظة، استغلالاً لحاجة الناس واضطرارهم، وطمعًا في زيادة الربح الذي أصبح هو هدف شركات التأمين»[2].

المبحث السادس
أبعاد الوقف في تحقيق الوحدة والاندماج

الوقف في أصله عمل اجتماعي يضيق فيستهدف خدمة فئة مخصوصة من المجتمع، ويتسع فيشمل المسلمين جميعًا أنَّى حلوا وحيثما ارتحلوا. وهو بين حالي الضيق والاتساع تكون فيه تأرجحات ومستويات وتفريعات. وإذا كان متمثلا في حال الاتساع وحدها فإنه لا يستثني أحدًا من المسلمين؛ إذ إن ما يقفه الواقف من ماله وعقاره في المغرب يكون بإمكان المشرقي أن يستفيد منه، وما يقفه الواقف في المشرق يكون قادرًا على أن يشمل المغاربة بفضله وخدماته.

فحين يجد الراحل من أرضه وبلده ما تخف به الوعثاء وتنمحي به آثار الغربة، فإن الموطن الجديد تنمحي فيه نتوءات الحياة التي يجدها كل غريب، فلا يصير حينها بلدَ غربة، ولا يكون بلدَ شقاء بأي وجه. والتاريخ يحفظ لنا هذه الأحاسيس التي عاشها الغرباء في غير بلادهم، حتى إن بعضهم صار يدعو شباب قومه إلى التغرب؛ إذ إن ما يكون الوقف قد أعده للغريب لا يستطيع الظفر به وهو بين أهله وخلانه.

وفي هذا يقول الرحالة ابن جبير: «فمن شاء الفلاح من نشَأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد (المشرق) ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة؛ فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، فاذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد»[3].

وفي مقابل هذه الصورة نجد أوقاف المغاربة قد بلغت بلاد المشرق لتستفيد منها فئات من أهله؛ حيث إننا في وقفة عجلى على ما وقفه أبو الحسن المريني -وهو سلطان من سلاطين بني مرين بالمغرب - على نُسَخ المصحف الشريف الثلاث التي أودعها المساجد التي تشد إليها الرحال، نجد أن الوقف قد تجاوز كل الحدود الجغرافية، ورفع بصره إلى أبناء الدين والعقيدة من غير بني الدم

(١) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ٢٢٩/١.

(٢) نظام التأمين: حقيقته والرأي الشرعي فيه، مصطفى أحمد الزرقا، ص ١٢٦.

(٣) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ص ٢٣٢.

Book 01 Final B.indd 110 2/12/2019 11:23:04 PM

والجلدة؛ حيث أخرج السلطان «من خزائنه أموالًا عيَّنهَا لشراء الضّيَاع بالمشرق لتَكون وَقفا على الْقُرَّاء»[1] في تلك المساجد.

فإذا عُلمت هذه الأدوار التي قام بها الوقف، وأنشئت المؤسسات المالية الوقفية المتحدث عنها سلفًا في كل بلاد المسلمين، فإن الخدمات التي يقدمها الوقف في جانبها الاجتماعي، تضاف إليها خدماته الاقتصادية التي توحِّد منطلقات المسلمين في تعاملاتهم المالية، وتمكنهم من الصدور من رؤية مالية واحدة، وتعصمهم من السقوط في مطبَّات ومخالفات عائدة إلى رؤى تختلف عن رؤيتهم.

ولذلك، فإن استفادة هؤلاء من أوقاف أولئك، واستفادة أولئك من أوقاف هؤلاء، تكون مدخلاً ثريًا من أجل تحقيق الوحدة والاندماج بين بني الإسلام أنَّى وجدوا؛ فالملامح الجغرافية، والانتماءات المكانية، والأصول العرقية لاتعود حينها إلا وسائل تعرف بها الأصول والجهات، ما دامت الاستفادة تكون واحدة، والألسنة تكون لاهجة للواقفين بدعوات واحدة.

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الناصري، ١٣١/٣.

Book 01 Final B.indd 111 2/12/2019 11:23:04 PM



الفصل الخامس
إسهامات الوقف الإسلامي
في حل المشكلات التعليمية

المبحث الأول: الوقف على التعليم العتيق والعصري

المبحث الثاني: الوقف يحل مشكلات طالب العلم

المبحث الثالث: الوقف يدعم فضاءات العلم

المبحث الرابع: تفعيل آليات الوقف سبيل إلى تحقيق تعليم نوعي

Book 01 Final B.indd 113 2/12/2019 11:23:05 PM



Book 01 Final B.indd 114 2/12/2019 11:23:05 PM

المبحث الأول
الوقف على التعليم العتيق والعصري

المطلب الأول: التعليم العتيق

يهتم الوقف بالتعليمين السائدين في البلاد الإسلامية (العصري، والعتيق)، وإن كان اللافت فيه أنه ينصرف إلى التعليم العتيق منهما أكثر من انصرافه إلى غيره. وما ذلك إلا لأن وشائج تاريخية ودينية تربطه به أكثر مما تربطه بغيره؛ فالمنطلق الديني المشترك بينهما، والرغبة في خدمة الثوابت الثقافية بهما، وقيامهما معا بوظيفة الآليتين المحصنتين لثقافة الأمة، كل أولئك جعل التعليم العتيق أكثر التحامًا بالاستفادة من خدمات الوقف عبر التاريخ؛ فهو «صمام الأمان والأمن لهذه الأمة، وهو المدافع عن ثوابتها الدينية والوطنية، وحامل لواء عزتها وأمجادها على امتداد الزمان والمكان»[١].

وإذا كانت التجارب العاكسة لهذا الارتباط في البلاد الإسلامية كثيرة كثرة تشد إليها القلوب والأبصار، فإن تجربة الوقف الإسلامي المعاصر بالمغرب فيه تعد من أجلّ التجارب بما تسجله من حضور متميز بين التجارب كلها؛ ذلك لأنها تجربة تستهدف الدوام والاستمرار، وتسعى إلى الاستفادة من مبتكرات العصر في خدمة التعليم الضارب في أعماق التاريخ، وتنشد – من بين ما تنشد– المحافظة على الهوية الإسلامية، والخصوصية الثقافية، والأمن الروحي للبلاد وصيانة وحدتها؛ عقيدة، وشريعة، وسلوكا، من كل أشكال الغلو والتطرف والتفسخ والتفرق[٢].

ولقد اشترط القائمون على التعليم العتيق ثلة من الشروط التي تعد ضرورية فيه من أجل أن يمتاز بخصوصيته عن غيره؛ فجعلوا منها بدء التعلم فيه من إتقان حفظ القرآن الكريم كله في الطور الأولي والابتدائي، وقيام التعلم فيه على حفظ أشهر المتون في مختلف العلوم، واعتماد كتاب مقرر من كتب التراث لكل مادة من مواد الخصوصية الشرعية واللغوية، مناسب لكل مستوى، مع السرد والشرح للكتاب من الأول إلى الآخر، وجمع التعلم فيه بين التحقق من مسائل العلم والتخلق بآدابها ومقتضياتها، وارتباط التعليم فيه بالمسجد تربية وإشعاعًا وتأهيلاً[٣].

ومن أجل الوصول إلى هذا المبتغى العظيم، فقد رُصدت طائفة من الكفايات التي تؤهل الطالب للإحسان في الأمور كلها، والتي تتضافر «الأهداف والوسائل، والمضامين والقيم، والقدرات والمهارات على إنمائها وبلورتها وتمكين المتعلم من اكتسابها»[٤] عبر تطويرها بالتدرج في الأطوار التعليمية. وهي كفايات يرد على رأسها: الكفايات العلمية، والمنهجية، والتواصلية، والتقنية، والاستراتيجية[٥].

(١) أُنظر الرابط: http://habous.gov.ma ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/٢١م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 115 2/12/2019 11:23:05 PM

إن الخطة التي صار التعليم العتيق يعتمدها في استفادته من الوقف لم تعد مطبوعة بطابع التقليد الذي كانت تتميز به في غابر الأزمان؛ حيث إن إصراره على استثمار علوم التربية في وضع برامجه ورسم ملامحه المميزة إصرار واضح جلي، وإن إلحاحه على طبع طريقته التعليمية بطابع الجدة التكنولوجية المعاصرة إلحاح قوي. ومن ثم، فإن استثمار الوقف في هذا الجانب استثمار يوظف الإمكانات المعاصرة، وخدماتها في جعل التعليم رافدًا من روافد الحفاظ على المقومات والخصوصيات.

المطلب الثاني: التعليم العصري

أ- الوقف يبني المدارس

لقد اعتنى الوقف عبر التاريخ ببناء المؤسسات التعليمية اعتناء عظيمًا؛ حيث غطى كل بقعة من بلاد المسلمين. وهو الآن يعود إلى سالف عهده؛ حيث صرنا نجد كثيرًا من الواقفين يلجؤون في تجاربهم الوقفية إلى بناء المدارس التعليمية، كتجربة مسلمي إفريقيا/جمعية العون المباشر بدولة الكويت، التي ما فتئت تبني المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية[1] في دول إفريقيا التي غزاها التبشير والتنصير من كل جانب، بسبب تعطل وظائف الوقف فيها لأمد طويل.

وهو الأمر الذي نشهده في كثير من بقاع الأرض التي تستوقفنا منها تجربة «قطر الخيرية» بألبانيا؛ حيث أنشأت فيها المدرسة الألبانية القطرية بتيرانا، لتقديم نموذج تعليمي متميز للمجتمع الألباني بجميع مراحل التعليم، وذلك لحاجة المجتمع الألباني له، بتكلفة بلغت ٣٥٠,٠٠٠ ريال قطري[2].

لقد وُضعت لهذه المدرسة أهداف جليلة طالما سعى الوقف لتحقيقها. وقد جاءت متمثلة في المحافظة على القيم الخلقية، والتعامل مع فئة المؤثرين في ألبانيا والتأثير فيها، والتأثير في العملية التربوية للطلاب والطالبات، وتقديم نموذج حضاري إسلامي، والتواصل الفعال مع أهم شريحة في المجتمع.

ولكي تتبين فاعلية البرنامج الذي وضعته الهيئة لهذه المدرسة، فإنه ينبغي لنا أن نقف على نتائج طلبتها حين مقارنتها بنتائج غيرهم من طلاب المدارس؛ فقد فاز عدد منهم بالمراكز الأولى في مسابقات المواد العلمية على مستوى دولة ألبانيا كلها، كما أن المدرسة قد حصلت على تقدير جيد جدًّا من حيث الشهادات العامة، كما حصلت على تقدير مثله من حيث الخطة التعليمية والأنشطة التي تعتمدها[3].

---

(١) نقلا عن الوقف في الإسلام، مجالاته وأبعاده، أحمد الريسوني، ص ١٧.

(٢) أُنظر الرابط: http://www.qcharity.com ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٠م.

(٣) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 116 2/12/2019 11:23:05 PM

وإذا كانت «قطر الخيرية» قد وجهت وجهها فيما سبق إلى المسلمين في أوروبا/ألبانيا، فإنها وجهت وجهها مرات أخرى إلى المسلمين في مختلف بلاد الله التي ترد على رأسها دولة بنغلاديش؛ حيث شيدت فيها مدرسة في منطقة سرينغر بمديرية منشي غنج التي ينتشر فيها الفقر والأمية والتسرب المدرسي، لصالح أكثر من ١٠٠٠ طالب، بتكلفة إجمالية بلغت ٧٥٠,٠٠٠ ريال قطري، على أنقاض مدرسة مبنية بألواح الزنك التي تقتلعها العواصف التي تضرب البلاد، فضلا عن كونها لا توفر الراحة والطمأنينة للطلاب بسبب شدة الحر والرطوبة فيها، وبسبب هشاشة بنيتها المتداعية. وهو ما يدفع الطلاب إلى الانقطاع عن الدراسة؛ حيث يتسرب ما لا يقل عن ٥٠٪ قبل نهاية المرحلة الابتدائية[١].

ب- الوقف ينشئ الجامعات

لقد انتبه الواقفون المسلمون إلى التحولات التي صار التعليم العالي في البلاد الإسلامية يخضع لها؛ حيث غدا الطابع الغربي مهيمنًا عليه في كل مجال، فحث كثير منهم؛ أفرادًا وجماعات، خطاهم نحو وقف العقارات والأسهم المالية لإنشاء كليات وجامعات ومراكز علمية متطورة تلبي ما تتطلبه الشروط العصرية.

إن من المشاهد الباهرة التي تمت فيها العناية بفضاءات التعليم العالي، في العصر الحديث، وقف الحاج إدريس بن الحاج محمد البحراوي قصرَه الرائع بمدينة الرباط بالمغرب (في عام ١٣٨٨هـ) على القرآن الكريم والحديث النبوي؛ حيث صار مؤسسة علمية ذات شأن عال وصيت ذائع. ومما جاء في عقد وقفيته قوله: «إنني أحبس هاته الدار على القرآن والحديث، ولا أريد أن تكون في المستقبل إلا لهاته الغاية، ولا تحوَّل إلى أية غاية أخرى؛ بحيث تركت الحق للورثة بالرجوع في هذا التحبيس فيما إذا أريد تحويلها عن غايتها»[٢].

وإن من التجارب الرائدة في هذا الباب، تجربة مسلمي إفريقيا/ جمعية العون المباشر الكويتية؛ فقد فرجت عن المسلمين في كثير من البلاد الإفريقية همومهم، فخففت ضغط مؤسسات التعليم العالي ذات التوجه الغربي فيها، فقامت ببناء كلية التربية بزنجبار، وكلية الشريعة بكينيا[٣].

والأكثر من ذلك شدًّا للألباب، تجربة تركيا الحديثة التي فتحت الباب على مصراعيه أمام رجال الأعمال، الذين «نهض الكثير منهم في إنشاء الجامعات الوقفية الخاصة، التي تحررت من قيود البيروقراطية والروتين المعطل، لتنطلق باستقلالية كبيرة، وبإبداع ملحٍّ، في مجالات حساسة

(١) المرجع السابق.

(٢) الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، ٣٥٨/١. والوقف المذكور هو ما يحمل اسم دار الحديث الحسنية بالرباط.

(٣) نقلا عن الوقف في الإسلام، مجالاته وأبعاده، أحمد الريسوني، ص ٢٧.

Book 01 Final B.indd 117 2/12/2019 11:23:06 PM

مثل: النانوتكنولوجي Nanotechnology ، والبيوتكنولوجي Biotechnology، والحاسبات الفائقة Super- computers، وعلوم الفضاء Space Science، والطاقة النووية Nuclear energy... وغير ذلك من مجالات جديدة وبالغة التكلفة»[1].

فالوقف، من خلال هذا، يتبين أنه لما اهتم بالتعليم العتيق، فإنه لم يغض الطرف عن التعليم العصري، ولكنه صرف جهوده إليهما معًا، رغبة منه في الحفاظ على المقومات وتطلعًا إلى الاستفادة من كل خدمات العصر الحديث.

المبحث الثاني
الوقف يحل مشكلات طالب العلم

لقد نبه كثير من الدارسين قديمًا وحديثًا على أهمية كفالة طالب العلم وأثرها في تحقيق مردود الطلب والدراسة. ومن ذلك ما أوردناه سلفًا من حثّ ابن جبير طلبة العلم المغاربة على الرحيل إلى المشرق؛ حيث يجدون ما يسد حاجاتهم ويلبي رغباتهم ويأتيهم بكل أُكل غير متوقع.

والوقف الإسلامي المعاصر حين يسلك مسالك الأوقاف السالفة، يكون قد سلك ما يفيد العلم وطلبته في مشرق البلاد ومغربها. وذلك مثل ما أبدعته الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت في مشروع "رعاية طالب العلم"، الذي يسعى «إلى إيجاد نظام تمويل ملائم لتقديم المساعدات بوسائل مناسبة للطلبة المحتاجين في دولة الكويت، والتنسيق في هذا المجال بين جهود كافة الجهات الأهلية والرسمية ذات العلاقة»[2].

وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذا المشروع العظيم خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٩٧م إلى عام ٢٠٠٢م مبلغ ١,٥٨٤,٤٢٤ دينار كويتي، واستفاد منها ١٥,٣٦٢ طالبًا. وقد استهدَف بذلك كله تغطية نفقات الدراسة للطلبة المحتاجين، واحتضان النابغين منهم، ووقايتهم من الانحراف الخلقي الذي تكون الفاقة عاملاً من عوامله في كثير من الأحيان[3].

وتجد هذه المحمدة لنفسها موقعًا في تجارب معاصرة رائدة في أطراف أخرى من بلاد الله، مثل تجربة لجنة مسلمي إفريقيا، أو جمعية العون المباشر بدولة الكويت؛ حيث إن نصف مليون طالب إفريقي يدرسون في مدارسها، وتدفع رسوم الدراسة عن ٩٥ ألفًا منهم، وتساعد عددًا منهم بالمنح[4]، ومثل تجربة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي قدمت المنح لـ ٤٢١ طالبًا ينتمون إلى ٢٧ جنسية، «وذلك في عدة تخصصات منها: الدراسات الإسلامية والطب والهندسة واللغة العربية

(١) دور الأوقاف في نهضة تركيا الحديثة "الجامعات الوقفية نموذجا"، أحمد علي سليمان، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ١٠٥. بل إن الاندهاش مما أداه الوقف في هذا البلد ليزداد حينما يعلم أن عدد الجامعات التي أنشأها الوقف الإسلامي به يفوق نصف الجامعات الحكومية؛ فقد بلغ عددها ٦٢، سنة ٢٠١٢م، مقابل ١٠٢. المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) أُنظر الرابط: http://www.awqaf.org.kw، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٣/٣م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) نقلا عن الوقف في الإسلام، مجالاته وأبعاده، أحمد الريسوني، ص ٢٧.

Book 01 Final B.indd 118 2/12/2019 11:23:06 PM

والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، بالإضافة إلى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المملكة»[١]، ومثل تجربة إدارة أوقاف الراجحي التي تولي عناية خاصة للإنفاق على طلبة العلوم الشرعية والاقتصاد الإسلامي واللغة العربية، وتمكين الطلبة البارزين من إكمال دراساتهم العليا، مستهدفة بذلك تأهيل أبناء المسلمين، وتيسير سبل تحصيل العلوم النافعة.

ولقد استطاعت هذه الإدارة الوقفية، عبر مشروعيها المتمثلين في: صندوق المنح الدراسية والصرف على طلبة العلم، أن تكفل بالتنسيق مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٦٠ طالبًا وفق نظام الكفالة الشاملة؛ حيث يستفيد الطالب من السكن والمكافأة والتذاكر والإعاشة، فبلغت تكلفة ذلك ١٦,٠٠٠,٠٠٠ ريال سعودي، وكفلت، بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٤٥ طالبًا سنويًا كفالة شاملة، وذلك لمدة أربع سنوات دراسية، بتكلفة بلغت ٨,٠٠٠,٠٠٠ ريال سعودي، كما بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة على هذا البرنامج في الفترة الممتدة من ١٤١٨هـ إلى ١٤٣٣هـ، ٣٥,٧٨٤,٠٢٩ ريال سعودي[٢].

ومن جانب آخر، فإن هذه الإدارة الوقفية نظمت برامج تعريفية وعلمية واجتماعية لهؤلاء الطلاب، بالتنسيق مع المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالرياض لتدريبهم على العمل الدعوي. وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذه البرامج ٨٠٩,٢٦٤ ريال سعودي[٣].

وإذا كان الوقف في الصور السابقة يسعى لتحقيق الكفالة الشاملة للطالب؛ سكنًا، ومكافأة، وتذاكر، وإعاشة، فإنه يسعى في صور أخرى إلى قصر خدمته على جانب من هذه الجوانب، وذلك مثل ما لجأت إليه هيئة الأوقاف في السودان في مشروع وقف طالب العلم؛ «حيث أقيمت من التبرعات التي استطاع المشروع أن يستقطبها مجمعاتٌ لمساكن طلابية بالقرب من مختلف الجامعات في السودان»[٤]، مستهدفة بذلك أن تبدع حلولاً لمشكلة إسكان الطلبة؛ حيث إنها تعد أخطر مشكلة يواجهها المتغربون منهم، فإذا أسهم الوقف في حل هذه المشكلة فإنه يكون قد أسدى لهذه الفئة خدمة لا تقدر بثمن.

المبحث الثالث
الوقف يدعم فضاءات العلم

أ- الدعم والتسيير

إن رغبة الواقفين إلى الفوز بأجور أوقافهم، تدفعهم إلى الوقف من غير أن يعرضوا ما يريدون العزم عليه على متخصصين ليرشدوهم إلى الأولويات التي تنتظرها الأمة من الوقف. ولذلك، فإن

(١) أُنظر الرابط: http://www.egatha.org/portal/index.، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٠م.

(٢) أُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter/news ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، ص ٢٩٦.

Book 01 Final B.indd 119 2/12/2019 11:23:06 PM

الوقف لا يرقى في تلك الأحوال إلى وضع برامج كاملة لا تغفل ضروريات وحاجيات الأمة.

ومن هنا، فإن الوقف المعاصر صار يشرك متخصصين في وضع البرامج والمناهج المطلوبة النافعة، وذلك بالاستناد إلى الرؤية المعاصرة التي تسخر الأموال فيما يمكِّن الأمة من الاستفادة من مشروعاتها الوقفية من أجل مواكبة المستجدات العلمية.

إن من هذه الصور الرائعة التي تعكس جلال قدر الوقف المعاصر ونشر ظلاله في العالم، ما نفذته هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في العديد من أطراف أرض الله؛ فقد «دعمت وسيرت ٣٩ مؤسسة وبرنامجًا تعليميًّا، تنوعت بين مدرسة ومعهد وجامعة وكلية جامعية وسكن داخلي وحقيبة مدرسية»[١]، في ٣٤ دولة في ثلاث قارات، هي آسيا وإفريقيا وأوروبا.

وإن وقفة على بعض هذه المشروعات لَتُبين زخم العطاء غير المنقطع الذي يقوم به الوقف المعاصر في هذا الجانب الهام من الحياة، ولَتُظهر قيمة ما يسديه للمحتاجين في مختلف البلاد؛ فقد كان من المعاهد العلمية المستفيدة تلك الواقعة بجنوب السودان في ملكال وجوبا وواو، وتضم ٣٩٤٧ طالبا وطالبة، ومعهد أم القرى في أبادن بنيجريا، وجامعة جالا الإسلامية في تايلاند، وكلية الأولية، والمدرسة الأولية، ومدرسة النصر، بإثيوبيا، التي تضم مجتمعة ٧١٤٥ طالبا وطالبة.

والأكثر من ذلك شدًّا للانتباه أن نعلم أن عدد المستفيدين من خدمات هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في تجهيز فضاءات العلم وتسييرها، قد بلغ ٣٩,١٠٨ أفراد. وهو رقم لا تخطئ حجمه العين ولا تغفل ثقله الإحساسات، ولا سيما حين تكون الخدمات المسداة إلى الأفراد منتشرة في كل صقع من أصقاع العالم.

ب- الوقف على طبع الكتب

من النماذج الخاصة بطبع الكتب ووقفها ما أنجزته إدارة أوقاف الراجحي التي اجتهدت اجتهادًا عظيمًا في هذا الباب[٢]؛ حيث تولت طبع كتب نفيسة نافعة وتوزيعها على طلاب العلم والمشتغلين به، من خلال مشروع طباعة الكتب الإسلامية ومشروع حقيبة طالب العلم. وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذا العمل الجليل خلال الفترة الممتدة من عام ١٤١٨هـ حتى عام ١٤٣٣هـ مبلغ ١,٦٦٣,٦١٤ ريال سعودي، مستفيدًا منها ٥٠٤,٠٠٠ من المقبلين على العلم والثقافة.

وإذا كانت هذه الإدارة قد قامت وحدها بأداء هذه القربة، فإن الوقف المعاصر في تجليات أخرى نراه ينشئ مشاريع وقفية ويجعلها بين أيدي الراغبين في الوقف والصدقات الجارية، وذلك كالمشروع الذي أعلنته الهيئة العامة للأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة؛ فقد جعلت من فقرات "مشروع وقف العلم" الذي خصصت ريعه لخدمة العلم وأهله، وبناء ورعاية مرافقه، وتوفير

(١) أُنظر الرابط: http://www.egatha.org، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٠م.

(٢) أُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 120 2/12/2019 11:23:06 PM

مستلزماته، فقرة اهتمت بـ «دعم إعداد الدراسات والأبحاث وتأليف الكتب وطباعتها»[١].

ج- وقف الكتب والمكتبات

لم يغفل الوقف الإسلامي وقف الكتب؛ إذ بها تنتقل المعارف، ومنها تؤخذ المعلومات، وفيها تحفظ إبداعات السلف ليستفيد منها الخلف. ومن أمثلة ذلك: وقف الأستاذ عبد الله كنون -يرحمه الله تعالى- مكتبته العامرة بمدينة طنجة المغربية على كل من يرغب في العب من مجاري المعرفة من طلبة العلم. ومنها مبادرة الدكتور علي الزميع وزير الأوقاف الكويتي الأسبق (١٩٩٤-١٩٩٦م) بوقف مكتبته في مبنى الأمانة العامة للأوقاف بالكويت. وهي مكتبة «احتوت قرابة ١٨٠٠ عنوان، فجمعت أصنافاً من كتب الشريعة والقانون والاقتصاد والفلسفة والسياسة، لتكون موقوفة لأهل العلم والباحثين عن المعرفة»[٢]. ومنها مكتبة الشيخ عبد الله آل ثاني الوقفية العامة التي تعتبر قبلة يؤمها الباحثون وطلاب العلم على مدار العام. وهي مكتبة تضم أقسامًا كثيرة بما يجعلها مركزًا ثقافيًا متعدد الخدمات، فمنها القاعة الرئيسية، وقاعة الدوريات، وقاعة الأطفال، كما تقوم بخدمات فنية موازية لفائدة القراء، مثل وحدة الفهرسة والتكشيف والتصنيف، ووحدة التزويد والتبادل والإهداء، ووحدة تجليد وصيانة الكتب.

وإلى جانب هذا كله، فإن المكتبة تقوم بأنشطة ثقافية، مثل: المركز الصيفي للأطفال، والحلقات البحثية، والمسابقات الرمضانية[٣].

وأمام التحولات الكثيرة التي عرفها العصر الحديث؛ حيث صار طالب العلم مجهداً ماديًّا وبدنيًّا، وصارت المعلومات مشتتة في كل صقع، فقد انتبه الواقفون المعاصرون إلى ضرورة البحث عن آليات أخرى، يقوم أمرها على جمع القديم والحديث بطرق إلكترونية عصرية، تمكن العالم والمتعلم من الحصول على مرادهما العلمي أنَّى حل وحيثما ارتحل.

لقد كان من أعظم نماذج ما يذكر في هذا الباب، المكتبة الوقفية التي تحتوي أقسامًا علمية كثيرة تهتم بالقرآن الكريم وتفسيره وعلومه، والحديث النبوي وشروحه، والفقه وأصوله ومذاهبه، والأسرة وشؤونها، وعلوم الحاسب الآلي، والمجاميع، والأدلة والفهارس، والمكتبات وطرق البحث، والموسوعات العامة، والمجلات والدوريات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الإحصاء، والعلوم السياسية، والاقتصاد، والقانون والإدارة، والتربية والتعليم، والمعاجم العربية وغير العربية، والبلاغة، والنحو، والصرف، والعروض، والتكنولوجيا والعلوم التطبيقية، والطب، والزراعة، والفنون، والجغرافيا والرحلات، وغيرها.

(١) اُنظر الرابط: http://www.awqaf.gov.ae ، تاريخ الاطلاع: ١٥/١/٢٠١٥م.

(٢) اُنظر الرابط: http://www.awqaf.org.kw/sites/Awqaflibrary ، تاريخ الاطلاع: ٤/١/٢٠١٥م.

(٣) اُنظر الرابط: http://www.sheikhali-waqfia.org.qa ، تاريخ الاطلاع: ٢١/٣/٢٠١٥م.

Book 01 Final B.indd 121 2/12/2019 11:23:06 PM

وكان من تلك النماذج أيضًا، المكتبة الشاملة التي بلغ عدد كتبها ٥٢٩٩ كتابًا حتى الآن، تنوعت بين العقيدة، والتفسير وعلوم القرآن، والحديث وعلومه وشروحه، وكتب التخريج والزوائد، والفقه وأصوله، والسياسة الشرعية والقضاء والفتاوى والرقائق، والسيرة والشمائل، والتاريخ والتراجم والطبقات والأنساب، والبلدان والجغرافيا والرحلات، وكتب اللغة والمعاجم والنحو والصرف والأدب والبلاغة، والجوامع والمجلات، والفهارس والمحاضرات المفرغة، وغير ذلك.

د- وقف الحواسيب الآلية

اجتهدت الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت في وقف الحواسيب على طلبة العلم بالجامعات والمعاهد والمدارس، استجابة للطلب المتزايد عليها، وتلبية لما يتطلبه العصر الذي لم يعد فيه الحاسوب وسيلة لهو ولعب، ولكنه أصبح ركيزة أساسا في بناء العلم والتعلم وتنظيم المعارف والاستفادة منها بطرق سهلة وإنجاز سريع ونشر يعم العالم.

ولكي يكون الوقف، ها هنا، ذا جدوى وفائدة، فإن الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت لجأت إلى إنشاء مراكز خاصة بالحواسيب الآلية في الفضاءات التعليمية المختلفة، مستفيدة من أوقاف المحسنين وصدقاتهم الجارية وصرف ريعها في تلبية متطلبات الواقع[1]، ومسهمة بذلك في حل مشكلة من المشكلات التي تقف في وجه كثير ممن يشكون من قلة ذات اليد، فلا يتمكنون من اقتناء هذه الآلة التي لا غنى عنها في عالم اليوم.

المبحث الرابع
تفعيل آليات الوقف سبيل إلى تحقيق تعليم نوعي

لقد اجتهد الأسلاف- يرحمهم الله تعالى- في إبداع السبل الوقفية التي تمكن العالم والمتعلم من الظفر بموقعه الذي يليق به، فيحس فيه بكرامته وجلاله ووقاره. ولكن هذه المسالك التي سلكها أسلافنا قد اختلفت نتيجة لاختلاف مستجدات الحياة؛ فالطرائق بين القديم والحديث تبدو متباينة، والمقررات الدراسية فيهما يطبعها الاختلاف والتنافر في كثير من موادهما، والنظرات إلى العالم والمتعلم صارت تسلك أودية أخرى غير ما كانت تسلكه في سابق دهورنا المشرقة.

ولذلك، فإن المسلمين مدعوون، في حل المشكلات التعليمية المعاصرة، إلى إعادة النظر في الأوقاف المتعلقة بالعناصر والمكونات التعليمية؛ إصلاحًا لأوضاعها، وتطويرًا لخدماتها، وذلك بتكييف الأساليب التي كانت معتمدة قديمًا، وجعلها مسايرة لما تتطلبه الحياة في هذه الأيام؛ حيث يتم الجمع بين مقتضيات الرؤية الشرعية وخدمة قضايا المسلمين.

وإن من أجلِّ المداخل الموصلة إلى هذا المبتغى، ذلك المتعلق بتوعية الواقفين المعاصرين وتنبيههم إلى ما تتطلبه الحياة الجديدة؛ حيث إن انتباههم إلى الفروق بين مقتضيات التعليم في السابق،

(١) اُنظر الرابط: http://www.awqaf.org.kw/Arabic/AboutMunicipality ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/١/٤م.

Book 01 Final B.indd 122 2/12/2019 11:23:06 PM

ومقتضياته في أيامنا، يدفعهم دفعًا حثيثًا نحو إعادة النظر في الشروط التي تقوم عليها العقود الوقفية؛ فإذا كان من الشروط التي تدرج في بعض العقود الوقفية المعاصرة توفير الزيت والشمع، والحصر للمدارس -وإن كانت خاصة بالتعليم العتيق- ... فإنها لم يعد لها موقع في الحياة المعاصرة؛ إذ إن الحياة لم تعد تسير على هذا المنوال ولم تعد تحتاج لمثل هذه الخدمات.

ويضاف إلى ضرورة تكييف الشروط مع مقتضيات الحياة الحديثة عنصر آخر، يتمثل في ترشيد الإنفاق الوقفي، الذي حين لا يتحقق -سواء أتعلق أمره بالمشاهد الإنفاقية الصغيرة أم تعلق بالنفقات الكبيرة والصفقات الضخام- تكون له انعكاسات نفسية سلبية حين يساوى الطالب المجد بالطالب المتواضع الاجتهاد، ويجعل الأستاذ المثابر في درجة الأستاذ الذي انشغل بدنياه عن بذل الجهود العلمية لصالح الطلبة والمتعلمين، كما تكون له انعكاسات وخيمة على المال بإهداره ووضعه في غير ما ينبغي أن يوضع فيه. ويكفينا لأخذ العبرة أن نطل على كيفية تسيير واحدة من المؤسسات الوقفية الغربية، مثل مؤسسة(wellcome)، لنرى أن «المؤسسة استطاعت الاستفادة من كل (باوند) بطريقة إبداعية تضمن نقلات نوعية وفريدة في خدمة المجتمع ورفاهه»[1].

فإذا استجيب لهذين الأمرين المتمثلين في ترشيد النفقات وإصلاح شروط الواقفين، فإن الوقف آنئذ يكون قد سلك المسار الذي يرفع به العنت عن الدول، ويمكّن به العلماء والمتعلمون من استرجاع مجدهم الضائع، ويستقرون في مواقع الكرامة والسيادة والسؤدد، وتظفر المؤسسات العلمية ببغياتها، وترى مشروعات البحث ما لم تره في ظل التخبط العشوائي الذي يهدر الأموال ويضيع الطاقات والجهود.

(١) تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية (دراسة حالة)، د.أسامة عمر الأشقر، ص ٥٥.

Book 01 Final B.indd 123 2/12/2019 11:23:06 PM



الفصل السادس
الوقف ينمي العمران ويحافظ على البيئة

ويتضمن:

المبحث الأول: الوقف ينظم المجال العمراني

المبحث الثاني: الوقف يتولى أمر مياه الأحباس إداريًّا وتقنيًّا

المبحث الثالث: الوقف يكافح التصحر ويوسع المجال الأخضر

المبحث الرابع: الوقف يحمي الكائنات كلها

Book 01 Final B.indd 125 2/12/2019 11:23:07 PM



المبحث الأول
الوقف ينظم المجال العمراني

إن الناظر في تصميم المدن الإسلامية القديمة ليجده تصميمًا منطلقًا من رؤية إسلامية واضحة؛ فالمواقع المخصصة للمرافق الاجتماعية الحيوية فيه مختارة وفق تخطيط معين، ومثيلاتها المخصصة للبنايات والمنازل السكنية تظهر أن اختيارها محكوم أيضًا بالدين والعمران.

إن جعل المسجد -وهو أبرز العناصر المرتبطة بالوقف في الثقافة الإسلامية- في قلب كل مدينة إسلامية قديمة لن يكون اختيارًا قائمًا على العبث أو الضرب على غير هدى. ولذلك، فإن الوقف في هذا الجانب يتخذ دور العامل المنظم للفضاء المكاني.

فالمسجد فضاء مشترك، ولكل فرد من الساكنة حق فيه، ولذلك فقد جعل في قلب المدينة ومركزها حتى تتساوى المسافات بينه وبين كل البيوت والمساكن الواقعة على مسافة واحدة منه. وهذا الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود، ولكنه أمد كل البيوت والمساكن بعناصر تعد أساسية في تصميم المسجد ذاته؛ فالنافورة المخصصة للوضوء فيه، وانفتاحها على السماء، ودخول الشمس من انفتاح سقف بَهوها رغبة في تعقيم المكان، كل ذلك صار من خصوصيات تصاميم الدور والمنازل في المدينة الإسلامية القديمة.

كما أنه من جانب آخر، حين تستحضر مؤسسات اجتماعية أخرى تقوم على الوقف، مثل الحمامات والمتوضآت، وتستحضر مواقعها الهامشية في تصميم المدينة، يكون الوقف قد وجه التصميم في انسجام كامل مع الرؤية الإسلامية لأن يتخذ لمواقع القذارة أماكن تبعد عن المجالات التي يعيش فيها الناس.

ومقارنة بين الحال التي كان يقوم عليها تصميم المدينة الإسلامية القديمة، والتصاميم التي تُرى بادية للعيان في المدن الحديثة تبين بجلاء البون الشاسع بين ما كان وما هو كائن الآن؛ فالرؤية التي كانت تتحكم في وضع التصاميم قد تولت إلى الظل، وصارت مرجعياتُ التصميم وافدة علينا من ثقافات لا تمت إلى الدين بصلة. ومن ثم، فإن تنظيم المجال العمراني الذي كان، صار مزاحمًا، بل محاصرًا، من لدن تنظيم آخر لا ينطلق من الدين.

ومن مظاهر تدخل الوقف الإسلامي القديم في تنظيم العمران أن يهتم، إضافة إلى وضع التصميم المناسب لرؤية المسلمين الثقافية، بإنارة الطرق والأزقة والدروب، حتى يتمكنوا من قضاء حوائجهم ليلاً كما يتمكنون من قضائها نهارًا. وفي ذلك ينقل لنا المقري كلام المؤرخين عن الإنارة في قرطبة بأرض الأندلس، فيقول: «إن العمارة اتّصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة؛ بحيث إنّه كان يُمشى فيها لضوء السُّرُج المتصلة عشرة أميال»[1]. وهو تقدم مهم جدًّا تتجاوز به المدينة الإسلامية القديمة كثيرًا من المدن الحديثة في مشارق الأرض ومغاربها؛ حيث ترزح تحت سطوة الظلام الدامس.

(١) نقلا عن نفح الطيب، ٤٥٦/١.

Book 01 Final B.indd 127 2/12/2019 11:23:08 PM

المبحث الثاني
الوقف يتولى أمر مياه الأحباس إداريًّا وتقنيًّا

يختص الماء باهتمام كبير في الوقف الإسلامي القديم، ويرجع ذلك الاهتمام إلى المنطلقات الدينية والحاجية في حياة الناس؛ فهو الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وهو الذي لا يمكن للحياة أن تقوم في غيابه.

ومن هنا، فإن الوقف الإسلامي القديم كان يرى أن الماء ضرورة لا تضاهيها ضرورة. وبالنظر إلى حاجة الأحياء كلهم إلى الماء، فقد تدخل الوقف من أجل أن يوفر لهم حاجتهم هذه؛ فبدءًا بوقف عثمان رضي الله عنه بئر رومة التي جعلها حبسًا لله، حين استجاب لدعوة النبي - ﷺ - لما قال: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ المُسْلِمِينَ»[2]، فكان حظه منها كحظ غيره ممن لم يحبسها، ولم يكن له فيها مزية على غيره[3] ، ومرورًا بوقف زبيدة زوج الرشيد المياه على الحجيج؛ حيث حفرت الآبار، وهيأت الصهاريج، ويسرت عليهم الحصول على الماء من غير عنت ولا مشقة؛ فأبقت بفعلها -كما يذكر ابن جبير- «مرافق ومنافع تعمّ وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن. ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سُلكت هذه الطريق، والله كفيل بمجازاتها، والرضى عنها»[4]، فأوقاف المسلمين المياهَ على العمران في كل مكان،إنما كان تدخلاً إداريًّا وتقنيًّا.

ومن ذلك أن يجعل أهل الأندلس من أوقافهم صهاريج كبيرة للشرب[5]، تخزن فيها المياه فتكون في متناول كل من أراد أن يروي ظمأه أو أن يطفئ غلواء عطشه، بل إنه قد وجد منهم من حبس حانوتًا على جرة في السوق[6]. ومن أجل ذلك، فإنك تراهم قد بذلوا قصارى جهودهم من أجل حفر الآبار وإصلاح المجاري المائية.

وكما اهتم المسلمون في الأندلس بالوقف على مياه الشرب، فإنهم كانوا قد اهتموا بمياه الري التي أنشؤوا من أجل سيرها السير الرشيد محكمة خاصة تهتم بالفصل في المنازعات بين الناس في هذا الجانب، كما تهتم بوضع القوانين الضابطة للاستفادة من مياه الوقف في ري العباد وسقي الأرض. وهو ما كان له مردود عظيم على الضبط والاستقرار الاجتماعيين، اللذين أسهم الوقف الإسلامي القديم في تحقيقهما وإرخاء سدولهما على مناحي الحياة وجنباتها.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٠،

(٢) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسومًا كان أو غير مقسوم، ١٠٩/٣.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، ٤٩٢/٦.

(٤) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ص ١٦٥.

(٥) المعيار المعرب، الونشريسي، ٩٩/٧.

(٦) المرجع السابق، ٢٠٥/٧.

Book 01 Final B.indd 128 2/12/2019 11:23:08 PM

المبحث الثالث
الوقف يكافح التصحر ويوسع المجال الأخضر

انطلق الوقف الإسلامي القديم في مكافحة التصحر وتوسيع المجال الأخضر من قول النبي – ﷺ – فيما يرويه عنه أنس بن مالك: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[1]؛ حيث كان الحث قويًّا لارتباط الغرس بظرف لا يمكن أن يستفيد منه صاحبه شيئًا، وحيث كانت الاستجابة له عظيمة فأخرجته من مستوى القول والتوجيه إلى مستوى يُرى فيه رأي العين. وهو المنطلق الذي مكن البيئة من تحقيق التنمية المستدامة التي لها مضامين خلقية تتمثل في مسؤولية الجيل الحالي تجاه الأجيال القادمة.

وهذا المنطلق التشريعي يبين حرص الشرع الإسلامي على توسيع المجال الأخضر الذي به يحاصر التصحر، ويستفيد الأحياء، وتُحمى البيئة. ومن ثم، فإن الوقف لما كان ينطلق من الرؤية الشرعية، فإن نُظَّارَه أدخلوا إليه أسلوب المغارسة المستمد من الرؤية ذاتها، فكان له أثر عظيم في توسيع المجال الأخضر في البلاد الإسلامية كلها.

والمغارسة أسلوب يقصد به «أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ أَرْضَهُ لِمَنْ يَغْرِسُ فِيهَا عَدَدًا مِنَ الْأَشْجَارِ، فَإِذَا بَلَغَتْ كَذَا وَكَذَا كَانَتِ الْأَرْضُ وَالْأَشْجَارُ بَيْنَهُمَا»[2]. وقد اشترط الفقهاء في الأشجار التي ينبغي غرسها أن تكون «شجرًا معلومًا من الأصول الثابتة كالنخل والأعناب وشجر التين والزيتون والرمان وما أشبه ذلك من الأصول»[3]. وأما الأرض، فإنها لا تقتسم كلها بينهما، وإنما التي تشملها القسمة منها فهي أصل الشجر «وقاعته من الأرض»[4].

لقد كان لهذا الأسلوب أثر نفسي بالغ في حياة غير مالك الأرض؛ حيث وجد مجالاً تنمويًّا للعمل والتحرر من كابوس البطالة، كما كان له أثر بيئي واضح، فاستُصلحت الأراضي وحميت التربة وحفظت البيئة وحوصر التصحر. وبه أدى الوقف ما عليه في هذا الجانب من الحياة.

وإذا كان هذا المسلك قد تميزت به حياة المسلمين قديمًا، فإن أساليب أخرى ابتدعها كثير من أهل الوقف في الحياة المعاصرة، فاستفادوا من الخدمات التقنية العصرية التي مكنتهم من جعل الفلوات والمفازات جنات في أرض الله، ولا سيما في شبه الجزيرة العربية التي ما كان يظن ظانٌّ أن أرضها تكون مجالاً أخضر في يوم من الأيام.

إن من ذلك ما أبدعته الإدارة الزراعية التابعة لإدارة أوقاف الراجحي؛ حيث طبقت «التقنية

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده في ما أسند أنس بن مالك الأنصاري، رقم: ٢١٨١، ٥٤٥/٣، والبخاري في الأدب المفرد، في اصطناع المال، رقم: ٤٧٩، ١٦٨، وأحمد، ٢٩٦/٢٠.

(٢) تَهْذِيب الْفُرُوقِ وَالْقَوَاعِدِ السنية فِي الْأَسْرَارِ الْفِقْهِيَّةِ، للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتى المالكية بمكة المكرمة (١٣٦٧هـ)، ٣٢/٤-٣٣.

(٣) الكافي في فقه أهل المدينة، ابن عاصم النمري القرطبي، ٧٦٢/٢.

(٤) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 129 2/12/2019 11:23:08 PM

المتطورة لإنتاج أجود أنواع التمور وفسائل النخيل طبقاً للمواصفات الفنية والمعايير العالمية (...) وصرف ريعها في الأعمال الخيرية بما يحقق خدمة المجتمع وفق رؤية الموقف»[١].

إن هذه الإدارة تشرف على ثلاثة مشروعات، هي:

١- مشروع الباطن في مدينة بريدة بمنطقة القصيم، وقد سُجل بوصفه أكبرَ مشروع نخيل على مستوى العالم؛ حسب موسوعة جينيس للمعلومات العامة والأرقام القياسية في مايو ٢٠٠٥م. وقد بلغ عدد النخيل فيه ٢٠٠,٠٠٠ نخلة، في مساحة بلغت ٥٤٦٦ هكتارًا. وفي عام ١٩٩٣م بدأ التوسع في غرس أشجار النخيل وإحلالها تدريجيًّا محل محاور القمح والشعير والبطيخ، بالتزام التوصيات العلمية والقواعد الفنية عند غرس الفسائل وتوزيعها على أبعاد منتظمة بمقدار (١٠×١٠) متر، ويتم ري المشروع بشبكة ري حديثة[٢].

٢- ومشروع ضرماء في محافظة ضرماء بمنطقة الرياض الذي بلغ عدد النخيل فيه ٥٠,٠٠٠ نخلة من مختلف أصناف النخيل، ولا سيما تلك التي تلائم أجواء منطقة الرياض في مساحة بلغت ٧٦٠ هكتارًا التُزمت فيها مسافات الغرس المنتظمة الأبعاد، وأنشئت فيها الآبار الملائمة، واعتمدت فيها أساليب الري والرعاية العلمية الحديثة[٣].

٣- ومشروع الحائر والتوفيق في مركز الحائر جنوب مدينة الرياض؛ حيث تبلغ مساحته ثلاثين هكتارًا. وقد بلغ عدد النخل فيه ٢٠٨٥ نخلة من مختلف الأصناف، يعتمد سقيها على شبكة ري تم تعديلها لتوائم نظم الري الحديثة[٤].

لقد جعلت هذه المشروعات الوقفية العملاقة من أهدافها تحسينَ جودة الإنتاج مع زيادة كميته من أجل تحقيق الأمن الغذائي، الذي استعين فيه بالجمعيات الخيرية فوزعت ٦٦٩ طنًّا من التمور المنتَجة في هذه المزارع. وهو ما له علاقة وطيدة بالعمران البشري والأمن العام.

ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف، فقد أنشئت برك لتجميع مياه الأمطار (شبه سدود)، وأنشئت آبار جديدة وبرك لتبريد مياه الري، كما أعد مصنع متكامل حديث لحفظ التمور وتصنيعها[٥].

إن المسار الذي سلكه الوقف في هذا الجانب يحقق للأحياء كلهم منافع جليلة؛ غذاء، وأمنًا، وتشغيلاً، وتنظيمًا للموارد، وتحقيقَ تميُّز في المردود والعائد، وإنقاذًا لهم من تهديد التصحر الذي يلتهم أرض الله - تعالى - من كل جانب، ووقايةً من انعكاسات الاحتباس الحراري، وتلطيفًا للأجواء.

(١) اُنظر الرابط: http://www.rajhiawqaf.org/ar/mediacenter/news ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٣/٢١م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

Book 01 Final B.indd 130 2/12/2019 11:23:08 PM

المبحث الرابع
الوقف يحمي الكائنات كلها

ينطلق الوقف الإسلامي من قول النبي ﷺ: «في كلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ»[1]، فيمدد خدماته في كل الجهات، ويعدد عطاءاته لكل من سجل حضوره في الحياة، بغية أن يستدر منهم جميعا أجورًا وحسنات، في الحياة وبعد الممات.

وإذا كان هذا مسارًا قد اختاره الوقف الإسلامي لنفسه؛ قديمًا وحديثًا، فإن منه صورًا تتجاوز الاهتمام بالإنسان... إنها الصور التي يوجِّه فيها الوقف وجهَه شطر الكائنات الحية من غير بني الإنسان؛ حماية لها، ورعاية لجنسها، وتحقيقَ توازن لمجالات الطبيعة بها.

إن من ذلك صورة اللقلاق الذي اهتم به الوقف اهتمامًا لافتًا للأنظار، ولا سيما ذاك الذي يسكن في أعالي صوامع المساجد؛ فإذا مرض عالجه، وإذا عطب جبره، وإذا مُس بسوء رأيته منشغلاً بإصلاح حاله انشغالا يشد إليه الأبصار والبصائر، سالكًا في ذلك مسالك الرأفة والرحمة التي لا يرضى الإسلام لأهله إلا أن يتمسكوا بها ويعضوا عليها بالنواجذ، مقتدين في ذلك بأسوتهم وقدوتهم النبي محمد ﷺ؛ فما كان قط إلا رحمة، وما كان أبدا إلا رأفة، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

لقد كان لهذا السلوك الوقفي أثر بالغ في تحريك قرائح الشعراء، فحثها على أن تجود، ومهد لها السبيل لأن تفيض، فقال بشأنه الفقيه الشاعر الحاج أحمد بنشقرون رئيس المجلس العلمي بفاس، صائغًا أطرافه ومحددًا معالمه في قصيدة ورد فيها[3]:

إِذَا عَطِبَ اللَّقْلاَقُ يَوماً فَإِنَّهُ * * *بِمَالٍ مِنَ الْأَوْقَافِ يُجْبَرُ مِنْ كَسْرِ

ومن الصور الوقفية التي اهتم فيها الوقف بالكائنات الأخرى صورة العناية بالقطط؛ فهي من الحيوانات الأليفة التي تعاشر الإنسان وتساكنه وتزيل وحشته وتطهر مسكنه من الحشرات الضارة، فكان الوقف يتدخل من أجل خدمتها حين يصيبها ضرر أو يلحقها مكروه أو يتقدم بها العمر.

ومن ذلك أيضًا، اهتمام الوقف بالحيوانات الهرمة التي تكون قد قدمت خدمات لبني الإنسان، مثل الخيول والبغال والحمير؛ فقد كان الوقف يتولى أمرها بعد تقدمها في السن وعجزها عن العمل، فيقدم لها الأكل والشرب والمكان الآمن حتى يوافيَها الأجل.

إن عظمة الوقف الإسلامي تظهر في هذا الجانب من حيث كونه ينطلق من مبدإ الرحمة، التي

---

(١) رواه البخاري في المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم: ٢٣٦٣، ١١١/٣، ومسلم في الآداب، باب فضل ساقي البهائم، رقم: ٢٢٤٤، ١٧٦١/٤، وأبو داود في كتاب الْجِهَادِ، باب مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ، رقم: ٢٥٥٠، ٢٤/٣، وأحمد، ٤٦١/١٤.

(٢) الأنبياء؛ آية ١٠٧

(٣) نقلا عن مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، ٨٥/١٢.

Book 01 Final B.indd 131 2/12/2019 11:23:08 PM

حث عليها رسول الله – ﷺ – ووجهه إليها الدين الإسلامي الحنيف، فسبقت رؤيتُه القوانينَ الدولية المعاصرة، وفاقت خدماتُه خدماتِ جمعياتِ الرفق بالحيوان في أطراف بلاد الله المترامية المتناثرة، وما ذلك، إلا لأنه ينطلق من دين الرحمة والرأفة والصلاح.

Book 01 Final B.indd 132 2/12/2019 11:23:08 PM

الفصل السابع
استعادة فاعلية الوقف تقوم على إصلاح العوامل التي تحول دون تحققها

المبحث الأول: ضرورة التخطيط الاستراتيجي في شؤون الوقف

المبحث الثاني: مأسسة الوقف برؤية حديثة

Book 01 Final B.indd 133 2/12/2019 11:23:08 PM



المبحث الأول
ضرورة التخطيط الاستراتيجي في شؤون الوقف

إذا كانت المشاهد الوقفية التي وقفنا عليها فيما مضى مشاهدَ رائقة عظيمة، تشد الأبصار والألباب إليها شدًّا، فإن مشاهد أخرى كثيرة تسود في كثير من البلاد الإسلامية، ينطبع فيها الوقف بمجموعة مظاهر سلبية ناتجة عن اختلالات في التسيير وفي الرؤية؛ حيث يسود التسيير البيروقراطي، وتهيمن ندرة الكوادر الوقفية المتخصصة؛ شرعًا، وإدارة، واستثمارًا، وتسويقًا، وتواصلاً، وتنسيقًا... إلخ. وهي ملامح تجعل الرؤية لا تعتمد التوجه الاستراتيجي «رغم أهميته وعلاقته المباشرة بتطوير قدرات هذه المؤسسة»[1]، في الوقت الذي يبدي فيه أصحابها أسفًا إذا قلَّت الموارد الوقفية ونضَبَت جذور إمدادها. وهي مفارَقة عجيبة بين الرغبة وعدم اتخاذ أسباب تحقيقها.

إن التخطيط الاستراتيجي يمكِّن من طي الزمان، وتجاوز ما كان، والاستقرار في محاضن مستقبلية إيجابية لم تخطر على بال إنسان؛ فهو «مظهر من مظاهر تعجيل خطى التاريخ»[2] التي تتوضح بها نقاط القوة والضعف، وتُتجاوز بها العقبات والقيود فلا تترك للمفاجأة، وتُرصد بها الفرص الممكنة، وتُرشّد النفقات، ويراقب مدى التوافق بين المقررات والتنظيرات وبين ما تأتي به الإنجازات.

ومن ثم، فإن أي عزوف عن التخطيط الاستراتيجي في سير المؤسسة الوقفية إنما يعني بقاء دار لقمان على حالها، ودوام الثغرات التي تُستنزف منها أموال اقتطعها أناس من أرزاقهم وحرموا منها أنفسهم، بغية أن ترفع بها مظاهر الاحتياج عن المجتمع، مما يجعل التسيير «هو بمثابة العبث بشروط الواقف والغاية التي استهدفها بوقفه»[3]. ولذلك، فإن «المؤسسات الوقفية مدعوة في هذه المرحلة إلى إعادة النظر في أساليب عملها ومشاريعها»[4].

فإذا ركب المهتمون بالوقف هذا المركب الجلل فإنه ينبغي أن تتغير الطريقة التي وجه بها المسلمون الأولون أوقافهم؛ فرغم الخدمات العظيمة التي كانت قد قدمتها للمجتمعات الإسلامية آنئذ، إلا أن ظروفنا الحياتية ليست ظروفَهم، وهمومنا ليست همومَهم، وتطلعاتنا ليست شبيهةً بتطلعاتهم، فلا «يمكن للمسلم اليوم أن يفكر باعتماد أفق المعرفة الذي كان سائدًا عندما ضبط العلماء مهجة الوقف وأصوله»[5].

---

(١) أهمية التخطيط الاستراتيجي في النهوض بالقطاع الوقفي، أوقاف، العدد ٢١، ص ٩ (الافتتاحية).

(٢) بين الرشاد والتيه، مالك بن نبي، ص ١٧٠.

(٣) نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات الإسلامية)، محمود أحمد مهدي، ص ٨٣.

(٤) أهمية التخطيط الاستراتيجي في النهوض بالقطاع الوقفي، أوقاف، العدد ٢١، ص ١١ (الافتتاحية).

(٥) الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر والمياومة من خلال المنوال التونسي، حسن القرواشي، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ص ١٨.

Book 01 Final B.indd 135 2/12/2019 11:23:09 PM

ومما يتحكم في طريقة هذا التفكير الجديد أن توجَّه الأوقاف الجديدة إلى جهات البر الأكثر احتياجًا، وما حام حولها مما تتطلبه حياة المجتمع المعاصر من مستشفيات، وجامعات ومراكز بحوث، ومآو وملاجئ... فلا يبقى الأمر مقتصرًا على بناء المساجد؛ ذلك لأن التخطيط الاستراتيجي في محصلة معناه إنما هو «وعي بالداخل والخارج في نفس الوقت»[1].

فإذا تجمعت هذه الشروط والعناصر من أجل أن تخضع المؤسسة الوقفية للتخطيط الاستراتيجي، فإنه يبقى لزامًا عليها أن يتميز مجلسها الإداري المسير بالكفاءة في كل التخصصات، حتى تتميز الرؤية بالإحاطة والشمول، فلا تهمِل شروط الواقع، ولا تجحِف في حق التطلعات نحو المستقبل.

المبحث الثاني
مأسسة الوقف برؤية حديثة

بعد الوقوف على العنصر الأساس في إصلاح المؤسسة الوقفية المتمثل في توفر الاستراتيجية والتخطيط، نريد أن نعمق التحليل بالوقوف على بعض العناصر التي تعتبر ضرورية في مأسسة الوقف برؤية حديثة، والتي كثيرًا ما نبه الباحثون على ضرورة التزامها في إصلاح المؤسسة الوقفية[2].

المطلب الأول: الإدارة التنفيذية المؤهلة

لا يُطلب من الإدارة الوقفية أن تخالف التوجه العام الذي تسلكه الدولة، ولا يطلب منها أيضا أن تقدم الخدمات كلها التي هي على عاتق الدولة أولاً وأخيرًا؛ ذلك لأن الوقف «في الأساس عمل خيري وتطوعي يكمل دور الدولة ولا يعوضها»[3].

فالوقف، وإن كان يبدو متمتعًا باستقلالية كبيرة، ما دام يكون عائدًا في منشئه إلى المجتمع الذي تصدر عن واقفيه الشروط التي يبنى عليها، والتي جعلها الفقهاء كنص الشارع، فإن الواقع المعاصر «قد يتطلب أن يكون للدولة دور في إدارة الوقف ودعمها»[4].

وإذا كان هذا الدعم لا يكاد يتجاوز حدود قواعد الإنشاء والتشريع والرقابة[5]، فإنها قواعد كثيرة المردود عظيمة الفائدة. ووقفة على تجربتي هيئة الأوقاف الإسلامية بالسودان والأمانة العامة

(١) أهمية التخطيط الاستراتيجي في النهوض بالقطاع الوقفي، أوقاف، العدد ٢١، ص ١١ (الافتتاحية).

(٢) تنظر هذه التنبيهات في: الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، ص٧٣، و٢٧٩ وما بعدها، ودراسة حول نموذج المؤسسة المعاصرة للوقف: الإدارة والاستثمار، د. فؤاد عبد الله العمر، بحث مقدم إلى ندوة الوقف في تونس: الواقع وبناء المستقبل، ٢٨- ٢٩ فبراير ٢٠١٢م، الجمهورية التونسية.

(٣) الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر والمياومة من خلال المنوال التونسي، حسن القرواشي، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ص ٥٠.

(٤) دراسة حول نموذج المؤسسة المعاصرة للوقف: الإدارة والاستثمار، فؤاد عبد الله العمر، ص ٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٨.

Book 01 Final B.indd 136 2/12/2019 11:23:09 PM

للأوقاف بالكويت، لتبين أن الإدارة الوقفية فيهما ما كانت لتعرف التطور الذي تعيشه اليوم لولا الإرادة السياسية.

فتجربة أولاهما، كانت قد «انطلقت من إصلاح قوانين الوقف والهياكل التنظيمية لإدارته، وسعت إلى تحريره من أسر البيروقراطية المركزية والتسيب الإداري، مع الإبقاء على الأسس والمبادئ الشرعية التي تحكم مسائل الوقف وتحدد كيفية تصريف شؤونه»[١]. وهو أمر يعود الفضل فيه إلى الدولة التي رفعت يدها قليلًا عن الإدارة الوقفية ومكنتها من اختيار التوجهات الناجعة في التسيير؛ ذلك لأن «الشرط الأول والأساسي للنهوض بالأوقاف الإسلامية هو توفير الإرادة السياسية الواعية لذلك»[٢].

ومن هنا، فقد وجَدت الإدارة الوقفية بالسودان الطريق سالكة نحو تخير السبل الناجعة والخطط الفعالة، من أجل إرساء قواعدها على تربة صلبة مواتية، وضبط خطوات سيرها من غير إهدار للأموال الموقوفة في جنبات الطريق، وإنجاز العطاء غير المنقطع في كل حين، فوجهت جهودها نحو أهدافها عبر سبيلين إثنين؛ يتمثل أولهما في استدعاء أوقاف جديدة، ويحدد ثانيهما في تنمية الأموال الوقفية القديمة والحديثة[٣]. ولذلك، فإنك ترى عطاءاتها وإنجازاتها على الصورة التي هي عليها اليوم.

وأما ثانيتهما (أي تجربة الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت)، فقد مكنتها الدولة من القيام بأدوارها الوقفية؛ تمثيلاً، وتنظيمًا، ونظارة[٤]. فإذا كان لذلك من مردود، فإن الدولة ستكون صاحبة الفضل فيه. ولذلك، فإن التحرر من البيروقراطية مكن الأمانة العامة للأوقاف من سلك السبيل التي تراها صالحة للإدارة، مناسبة للتنظيم، فاختارت «أسلوب التنظيم الهيكلي الذي يتأسس على الاختصاص الوظيفي بحسب الأهداف»[٥]، واعتمدت العمل على محورين اثنين:

١ – استثمار أموال الوقف وتنميتها، وتحصيل غلاتها وإيراداتها.

٢ – توزيع عوائد وإيرادات الأوقاف الموجودة على أغراضها، والعمل على التوسع في إقامة أوقاف جديدة تخدم الأغراض الاجتماعية ذات الأولوية والأهمية[٦].

ومن ثم، فإن الخطوات الاستثمارية التي جاءت بعد إنما كانت خطوات تنظيمية فقط، لأنها كانت قائمة على أسس سليمة وقواعد متينة؛ حيث نظمت الأمانة العامة أمرها في مجموعة مشروعات،

(١) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ١١٢.

(٢) الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، ص ٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(٤) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ٩٤.

(٥) الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، ص ٢٩٩.

(٦) انظر: روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص ١٥٤-١٥٥.

Book 01 Final B.indd 137 2/12/2019 11:23:09 PM

كان على رأسها مشروع الصناديق الوقفية المتخصصة، الذي يعتبر «صيغة مؤسسية استحدثت لتسهم في تحقيق أهداف إحياء سنة الوقف، وزيادة الأوقاف الجديدة لعدة أغراض يختص كل من هذه الصناديق بواحد منها»[1].

إن هذه السياسة الإدارية المنطلقة من الرؤية السياسية الحاكمة في البلدين، هي التي آتت أكلها، فنفخت الروح في الوقف الإسلامي، وأحيت عظامه وهي رميم، ومكنت المؤسسة الوقفية من أداء أدوارها والاضطلاع بوظائفها على أحسن وجه.

المطلب الثاني: اعتماد الموارد البشرية المؤهلة

لكي تكون الإدارة مؤهلة فاعلة، فإنه يجب أن يُصطفى القائمون على تسييرها والإشراف عليها من الناحيتين، الدينية والتأهيلية؛ فكل من استشعر أن عمله أمانة، وأن وظيفته سيسأل عنها يوم القيامة، فإنه سيحرص على ألا يضيع ولو نزرًا يسيرًا من أي وقف، ولا أن يفوِّت فرصة على استثمار يعود به الوقف على الأمة بالفضل والخير؛ ذلك لأن الوقف ليس على شاكلة المشروعات الأخرى – وإن كان استشعار الأمانة واجبا فيها كلها – إذ إن له حرمة دينية كبيرة[2].

فالتأهيل العلمي وحده، في ميدان الوقف، ليس كافيًا؛ ذلك لأن القائم بالأمر فيه هو قائم على حقل من الأمانات عظيم. ومن ثم، فإن التأهيل الديني في استشعار تلك الأمانات واجب ديني فيمن يقوم بذلك الأمر، من أجل تطوير المؤسسة الوقفية، والانتقال بها من حالٍ معيشة إلى حال أفضل منها. ولذلك، فإن هذا الأمر ليس اختياريًا، ولكنه مسؤولية دينية يُنتظر أن يسأل عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المطلب الثالث: استثمار التكنولوجيا والاقتصاد المعرفي

لكي تكتمل صورة المؤهلات المعتبرة – والضرورية – في الموارد البشرية القائمة على تدبير شأن الأوقاف، فلابد من مسايرة مستجدات العصر كذلك. ويرد على رأس تلك المستجدات استثمار التكنولوجيا والاقتصاد المعرفي؛ حيث بهما يصير التسيير سهلاً لينًا، ويغدو كل ما يهم الأوقاف حاضرًا بين يدي المسؤول فور الحاجة إليه، فيعالج المطلوب معالجة صحيحة سليمة لا تكهُّن فيها ولا تخمين.

وإذا كان الظاهر في البلاد العربية والإسلامية أن ما يخص هذا الجانب من المؤهلات يمثل سلَّم تفاوت بين مؤسسات الوقف فيها؛ حيث إننا إذا لاحظنا حضور التجربتين السابقتين بقوة في ميدان التجارب الوقفية المعاصرة، فهما تتقدمان على كثير مما عداهما تقدمًا لافتًا، بسبب كفاءة

(١) نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، ص ٩٥.

(٢) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٢١.

Book 01 Final B.indd 138 2/12/2019 11:23:09 PM

الإدارة فيهما التي لم يهمل فيها استثمار التكنولوجيا والاقتصاد المعرفي، فإن المؤسسات الوقفية في كل بلاد الإسلام مدعوة لمحاكاة النهج الذي سلكتاه فصارتا على الصورة التي هما عليها اليوم. وقد تقرر لدى كثير من الدارسين أن «التقليد جزء من الطبيعة البشرية وميل غريزي للقيام بما يقوم به الآخرون»[1].

المطلب الرابع: إنشاء مجالس النظارة الجماعية

يردُّ كثير من الدارسين أسباب الكثير من الاختلالات في الأوقاف إلى فساد النظَّار. والواقع، إن بطون كتب الفقه والتاريخ ملأى بالمخالفات التي كانت تصدر عن ضعاف النفوس هنا وهناك. ولذلك، فإن محاسبة القائمين بأمر الوقف ينبغي أن تكون للوقاية من الوقوع في الخلل، أو تدارك الزلل قبل أن يستشري في جنبات الصدقة الجارية؛ إذ إن «الوقف يجب أن يلاحظ فيه حق الأجيال المقبلة التي تستحق فيه. ومن الحق علينا ألا نسلمه إليهم إلا صالحًا للاستغلال، وقابلًا للنماء، يدر عليهم ما ينفعهم»[2].

وإذا كان استشعار المسؤولية يمثل فارقًا بين هذه الفئة من الناس؛ صالحهم وفاسدهم، وكان الإلحاح على المحاسبة جاريًا على قدم وساق، فإن التفاوت فيها بين النوعين ينبغي أن يكون ظاهرًا بيِّنًا.

إلا أن الأمر الذي يفرض ذاته بحدة من أجل الخروج من هذه الورطة التي تأتي على الوقف وتجهز عليه، وتوجهه وجهة لم يخصص لها، يتمثل في ضرورة تخصيص مجالس نظارة جماعية للأوقاف، ولا سيما حين تكون أوقافًا عظيمة الشأن، فلا بد «أن يكون لها مجلس إدارة مكون من كفاءات من اختصاصات مختلفة قادرة على دراسة كل المشاريع من جميع النواحي»[3]. وهو الأمر الذي جاءت به تجربة الهيئة العامة للأوقاف بالسودان، وتجربة الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، والهيئة العامة للأوقاف بالإمارات العربية المتحدة.

إن مجالس النظارة الجماعية تعصم الإشراف الوقفي من الوقوع في الزلل، وتقيه السقوط في الإغراءات التي يتعرض لها الناظر إذا كان فردًا، وتصرف عنه الاتهامات التي قد تنبع من الأحكام المسبقة، ولا سيما إذا كان مجلسها يضم «مجموعة من المسؤولين الحكوميين بالإضافة إلى مجموعة مختارة من الأهالي»[4].

(١) علم النفس الاجتماعي، وليم. و. لامبرت، وولاس. إ. لامبرت، ترجمة سلوى الملا، مراجعة الدكتور محمد عثمان نجاتي، ص ٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١١.

(٣) الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر والمياومة من خلال المنوال التونسي، حسن القرواشي، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، ص ٥٢.

(٤) دراسة حول نموذج المؤسسة المعاصرة للوقف: الإدارة والاستثمار، د.فؤاد عبد الله العمر، ص ٩.

Book 01 Final B.indd 139 2/12/2019 11:23:09 PM

المطلب الخامس: المراجعة والمحاسبة والتقويم

تمثل المراجعة والمحاسبة والتقويم القوانين التي بواسطتها تتم معرفة الصالح والطالح من الأعمال المنجزة، ويميز بها بين ما لا ينبغي إعادة النظر فيه وما يكون التعديل أو التصويب أو التبديل نصيبَه. فهي المعالم التي تنجز فيها إصلاحات ما فسد ويقوَّم عندها ما اعوجَّ. ومن ثم، فهي محطات لتصحيح المسار ورصد المفيد وجلبه من أجل ألا تتراكم الاختلالات في العمل.

والمراجعة والمحاسبة والتقويم في المؤسسة الوقفية مسائل واجبة وجوبًا عقليًّا وشرعيًّا؛ فبذلك يستفيد الوقف من كل ما تؤديه هذه الآليات من إصلاحات وتصحيحات ووضوح في السير، وكذلك يرشد العمل في الأوقاف التي اقتطعها أصحابها من أموالهم وممتلكاتهم ووهبوها على وجه القربة إلى الله تعالى لخدمة المجتمع وتفريج كروبه.

فحينما تتم الاستدارة من أجل مراقبة ما أنجز وتتبع مكامن الخلل فيه من أجل الإصلاح، فإن الإدارة التنفيذية تزداد تأهلاً، ويزداد تبين إمكانات الموارد البشرية، حتى يكون الرجل المناسب في المكان المناسب، وترصد مكامن النقص في الإنجاز ليُستثمر مزيدٌ من إنتاجات التكنولوجيا والاقتصاد المعرفي، ويرشَّد تنظيم مجالس النظارة الجماعية، فتوزع الأدوار بين أعضائها؛ طلبًا لتنمية أموال الوقف. وهي العناصر التي إذا كان للمراجعة والمحاسبة والتقويم دور في الاستدارة نحوها من أجل إقامة أَوَدِ ما ضعُف منها وتقويم ما اعوجَّ من عناصرها، يكون الوقف حينئذ قد فاز بما تتطلبه مأسسته برؤية حديثة.

المبحث الثالث
التنسيق بين المؤسسات الوقفية

يظهر من تتبع المشاهد الوقفية المختلفة التي وقفنا عليها في هذا البحث كله أنها تفتقر إلى التنسيق بين المؤسسات الوقفية في كثير من الأحيان؛ فقد تتشابه الأوقاف في المكان الواحد وتتكرر، وقد تتفاوت في تغطية الفئات المحتاجة إليها، وقد يغيب بعضها ويهيمن بعضها الآخر... إلخ. وهو ما يفوِّت فرص الخدمات على المستفيدين من الوقف في كثير من الأحيان، ويفوِّت على الواقفين أن تنال أوقافُهم فاعليتها الاجتماعية التي يطمحون إلى تحقيقها والوصول إليها.

فالتنسيق بين المؤسسات الوقفية يضمن تحقيق التكامل الوقفي إذا انطلق من رؤية تنظيمية استراتيجية؛ فإذا وقفنا على وقف تعليمي مثلاً، ووجدنا المؤسسة القائمة عليه غير قادرة على تغطية أطواره الخدمية كلها، فاقتصر الوقف حينئذ على توفير السكن للطلبة، فإن التكامل القائم على التنسيق يسمح لمؤسسة وقفية أخرى أن تجد موطئ قدم، حسب طاقتها، تنصرف فيه إلى الإطعام، كما يسمح لأخرى أن تقدم خدمات التنقل، ويسمح لغيرهما بخدمات وقفية أخرى كثيرة، كإنشاء المكتبات، وتحمل تكاليف الدراسة، وتنظيم الرحلات العلمية والترفيهية... إلخ.

وهو من زاوية أخرى، يمكِّن الواقفين من إنشاء أوقافهم على تراكم خبرات الآخرين وتجاربهم،

Book 01 Final B.indd 140 2/12/2019 11:23:10 PM

فلا ينبغي بأي وجه أن يسلك اللاحقُ من الواقفين مسارَه التجريبي الخاص من غير أن يستحضر المسارات التي سلكها غيرُه؛ إذ إن ذلك يقيه الوقوع فيما وقع فيه غيره من الهفوات، ويختصر السبيل الوقفي التي سلكوها، ويزيل أي عنصر من عناصر التخطيط الاستراتيجي غير الفعال من عناصر التجربة، ولا يحتفظ إلا بما له مردود ظاهر بيِّن.

والتنسيق من جانب ثالث، إذا التزم الحرص على التكامل الوقفي إلى جانب الاستفادة من تراكم خبرات الآخرين، فإنه يستحضر المجالات ذات الأولوية، فلا يتجاوز إلى طور في عمل وقفي إلا بعد تغطية الأطوار الوقفية التي تسبقه؛ فقبل أن ترصد الأوقاف لتزويج المحتاجين للزواج مثلاً، ينبغي أن ترصد أوقاف لإكساب العاطلين حرفًا تقيهم تكفف الناس.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك، ما قامت به الهيئة العالمية للوقف التي أنشأها البنك الإسلامي للتنمية، بالتعاون مع هيئات الأوقاف الحكومية والمنظمات غير الحكومية وفاعلي الخير من القطاع الخاص، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م؛ حيث تحرص على «رعاية منظمات الأوقاف ودعمها بالخبرة، والتنسيق بينها في إقامة المشاريع والبرامج المختلفة في المجالات التعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية»[١].

إن التنسيق بين المؤسسات الوقفية يضمن تطوير تجارب إنشاء الأوقاف بعدم تكرار إنشاءات الواقفين والاهتمام بمجالات معينة وإهمال مجالات أخرى؛ فيكون التكامل في تقديم الخدمات، ويكون الترشيد في إنفاق الأموال، وتتم تغطية جميع مجالات الحياة في ذلك كله.

(١) اُنظر الرابط: http://www.worldwaqf.org/irj ، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٥/٢/١٤م.

Book 01 Final B.indd 141 2/12/2019 11:23:10 PM

خاتمة البحث

أولاً: النتائج:

إن سعة الوقف الإسلامي، وإحاطته بكل مجالات الحياة (تنظيمًا وتسييرًا واستقلالاً وتنوع موارد)، تمثلان عاملين أساسين يقيم عليهما الوقف توازنه، ويستمد منهما قوته. ولقد تبدت لنا، في فصول هذه الدراسة وأبوابها، صورة اتساع الوقف في مشارق ديار الإسلام ومغاربها، كما توضحت لنا فيها مواجهته للمشكلات الدينية والدنيوية على حد سواء.

ولقد جادت هذه الدراسة -بفضل الله تعالى- بمجموعة نتائج نجملها فيما يأتي:

١- يظهر الوقف حين ينطلق من الرؤية الإسلامية بمظهر الإبداع الأصيل، الذي أنتجته السنة النبوية المطهرة من أجل إيجاد المسالك الأساسية لتحقيق التعاون والتكافل الاجتماعيين، اللذين تتم بهما تغطية فئات المجتمع بغية تمكينها جميعًا مما تتطلبه حياتها المعيشة من خدمات.

٢- يتضح أن وجود الوقف الإسلامي وإحياء سنته وإيلاءه مواقع القيادة والريادة مسائل تصب في مصلحة المجتمع المسلم؛ حيث يحل ما لا يحصى من المشكلات في كافة النواحي (الاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والعمرانية، والبيئية).

٣- تعد النهضة الوقفية في العقود الأخيرة محاولة جادة للعودة إلى المنابع الصافية، التي تحقق للأمة استقلالها المستقبلي في التسيير والتمويل وتفريج الكربات والإنشاء والتعمير. ولذلك، فإن الحرص على استدامتها، واستدامة حماية المؤسسة الوقفية من تربص جهات مختلفة، ينصرف إلى كونه واجبًا شرعيًّا وضرورة حضارية.

ثانيًا: التوصيات:

ومن أجل أن نسهم في توجيه الوقف نحو الأفضل، فإننا نسطر التوصيات الآتية:

١- إذا كان الفقه الإسلامي قد اعتبر "شرط الواقف كنص الشارع"، فإن الواجب أن ينبَّه الواقفون المعاصرون قبل تسطير عقودهم إلى ضرورة الانتقال بشروطهم من مستوياتها التقليدية- التي كانت صالحة لظروف الأيام الخالية -إلى مستويات ما تتطلبه الحياة الجديدة؛ حتى تتحقق بها خدمة المجتمع المسلم المعاصر.

٢- ضرورة التنبيه على أن «لأموال الوقف حرمةً مستمدةً من الجهة الموقوف عليها؛ فما كان حقًّا لأشخاص موقوف عليهم فحرمتُه حرمةُ مال الغير وحقوقه. وما كان لمصالح دينية أو عامة أخرى، فحرمته حرمة حقوق الله -تعالى- والأموال العامة التي تتعلق بها حقوق الجماعة»[1]. ولذلك؛ فإن ترشيد الإنفاق في أموال الوقف يعد أمرًا واجبًا يستمد قيمته من خطورة تضييع حقوق الله أو حقوق خلقه.

٣- إذا كان أسلافنا من المسلمين قد وظفوا الوقف في الخدمات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية تبعًا لما كانت تستدعيه ظروف حياتهم، فجاؤوا فيه بكل عجيب، فإن الواجب علينا أن نوظفه في ذلك كله بما يخدم حياتنا ومستجدات عصرنا، لا سيما وأن تراكمات الوقف الإسلامي بين

(١) أحكام الوقف، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٢١.

Book 01 Final B.indd 142 2/12/2019 11:23:10 PM

أيدينا، كما أن تجارب غيرنا في المجالات الخيرية برؤيتها العصرية تبسط عطاءاتها من أجل الاستفادة منها.

٤- ضرورة توجيه الوقف الإسلامي من أجل الاهتمام بالبحث العلمي والاستثمار في العقول البشرية، بالشروط العصرية، حتى يعود مردوده على الأمة فتستعيد مواقع خيريتها التي وصفها الله -تعالى- بها.

٥- ضرورة إشعار المسؤولين في كل البلاد الإسلامية بعطاءات الوقف التي لا يقتصر مردودها على الفئات التي يوجه إليها، ولكنه يتجاوزها إلى الإسهام إلى جانب الدولة في تقديم الخدمات المختلفة، فيخفف من مسؤولياتها، بغية أن يولوه ما يستحق من العناية والتنظيم والتشريع.

ثالثًا: آليات العمل:

وإذا كانت هذه التوصيات تمثل ركنًا ركينًا من بحثنا، وذلك لما تقوم عليه من استشراف مستقبلي، يحفظ الأوقاف، ويدرجها في الأساليب التمويلية الحديثة، فإننا نرى أنها لن تقوم لها قائمة إلا بالتنبيه على الآليات الضرورية التي تمكنها من الانطلاق والاستمرار في العطاء. وهي التي نسطرها في الآتي:

١- عقد المؤتمرات وإقامة الندوات ونشر التطلعات التي يمكن للوقف أن يحققها في الحياة المعاصرة على نطاق واسع، حتى تتبين الصورة الحقيقية لما يراد للوقف أن يقوم به، فتحث خطى الواقفين نحو الإعلان عن شروطهم الوقفية بما يخدم الحياة المعاصرة بالانطلاق مما يرتضيه دين الله -تعالى- ويحث عليه.

٢- تقديم النماذج العملية الإجرائية التي وُقفت فيها الأموال على البحث العلمي والاستثمار في الرأسمال البشري، ومقارنة المردوديات التي حققتها بما يقدمه الوقف على ما يعد تقليديًا متجاوزًا في الحياة المعاصرة، حتى يُستحضر المردود المنتظر من الوقف حين العزم على تسطير شروطه.

٣- عرض التجارب الناجحة في مجالات الوقف بين أيدي الدول الإسلامية، حتى تُنبَّه إلى ما يمكن للوقف الإسلامي القائم على الرؤية الحديثة الناضجة أن يقدمه للمجتمعات المسلمة، فيتم الاقتداء، وتتحرك العزائم.

فإذا توجه الوقف نحو هذه التوصيات، ونحو تفعيل آلياتها؛ طلبًا لتجديد ذاته وإخضاع سلوكاته وممارساته للعقل والمنطق، فإنه آنئذ يكون قد فتح الباب ووضع رجله في الركاب، نشدانًا لاستعادة المسلمين لدورهم المفقود، وسعيًا وراء أن يصيروا -كما كانوا- قادة المعمور وسادة الدهور.

Book 01 Final B.indd 143 2/12/2019 11:23:10 PM

قائمة المصادر والمراجع[1]

١. أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢. استثمار الأموال الموقوفة (الشروط الاقتصادية ومستلزمات التنمية)، فؤاد عبد الله العمر، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الناصري، تحقيق: جعفر الناصري/محمد الناصري، دار الكتاب- الدار البيضاء، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٤. الأسس الشرعية للنشاط الاقتصادي في الإسلام، محمد الحبيب التجكاني، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، البنك الإسلامي للتنمية- المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، السنيكي، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٦. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، البكري، دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٧. أهمية البنوك الإسلامية، سامي حسن حمود، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، البنك الإسلامي للتنمية- المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٨. أهمية التخطيط الاستراتيجي في النهوض بالقطاع الوقفي، أوقاف، العدد ٢١، ذو الحجة ١٤٣٢هـ.

٩. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، بدون تاريخ.

١٠. بلغة السالك لأقرب المسالك، للصاوي، دار المعارف، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ.

١٢. تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، طارق حجار، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٠- السنة ٣٥ - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٣. تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق فهيم شلتوت، طبع على نفقة حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.

١٤. التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية، عبد اللطيف آل محمود، دار النفائس، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٥. تحفة الحبيب على شرح الخطيب، البُجَيْرَمِيّ، دار الفكر، بدون رقم للطبعة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٦. تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية (دراسة حالة)، أسامة

(١) اللائحة مرتبة ترتيبا ألفبائيا، مع تجاهل "أل".

Book 01 Final B.indd 144 2/12/2019 11:23:10 PM

عمر الشقر، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٧. التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
١٨. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٠. التقرير السنوي (١٤٣٣-١٤٣٤هـ) عن الأداء العام لبرامج هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية.
٢١. التنمية في عالم متغير، إبراهيم العيسوي، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٢. التنمية من الداخل، ضرورة وقفية، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ/مايو ٢٠١٣م.
٢٣. تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٤. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٥. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري، تعريب حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٨. الدافعية للإنجاز، عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٩. دراسة حول نموذج المؤسسة المعاصرة للوقف: الإدارة والاستثمار، فؤاد عبد الله العمر، بحث مقدم إلى ندوة الوقف في تونس: الواقع وبناء المستقبل، ٢٨- ٢٩ فبراير ٢٠١٢م.
٣٠. دور الأوقاف في نهضة تركيا الحديثة "الجامعات الوقفية نموذجًا"، أحمد علي سليمان، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ/مايو ٢٠١٣م.
٣١. دور المصارف الإسلامية في تعبئة الموارد المالية للتنمية، عبد الرحمن يسري أحمد، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، البنك الإسلامي للتنمية- المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٢. دور المعاملات المصرفية الإسلامية في الاستقرار المالي والاقتصادي، حاتم القرنشاوي، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، البنك الإسلامي

Book 01 Final B.indd 145 2/12/2019 11:23:10 PM

للتنمية- المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٣. دور الوقف في تمويل المشروعات الصغيرة، عبد القادر زيتوني، أوقاف، العدد ٢٢، جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ/مايو ٢٠١٢م.
٣٤. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٣٥. الذخيرة، القرافي، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٣٦. الربا وخراب الدنيا، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٣٧. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.
٣٨. رحلة ابن جبير، ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ.
٣٩. روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، نهضة مصر، ط١، أغسطس ٢٠١٠م.
٤٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٤١. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٤٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
٤٣. سنن أبي داود، أبو داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.
٤٤. سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٤٥. سنن الدارمي، الدارمي، تحقيق حسين الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٦. السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.
٤٧. السنن الكبرى، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٤٨. شرح صحيح البخارى، ابن بطال، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٤٩. شرح مختصر خليل، الخرشي، دار الفكر- بيروت، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ.

Book 01 Final B.indd 146 2/12/2019 11:23:10 PM

٥٠. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٥١. صحيح ابن حبان، ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
٥٢. العَرف الشذي شرح سنن الترمذي، أنور شاه الكشميري، تصحيح محمود شاكر، دار التراث العربي- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٥٣. علم النفس الاجتماعي، وليم. و. لامبرت، وولاس. إ. لامبرت، ترجمة سلوى الملا، مراجعة الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٥٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف محب الدين الخطيب، تعليق العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩م.
٥٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
٥٧. الكافي في فقه أهل المدينة، ابن عاصم القرطبي، تحقيق محمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٥٨. كتاب الأفعال، ابن القَطَّاع الصقلي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٥٩. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.
٦٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٦١. لسان الحكام في معرفة الأحكام، ابن الشِّحْنَة الثقفي، مطبعة البابي الحلبي- القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.
٦٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٦٣. مجلة الإغاثة، العدد ٦٦، المحرم – صفر ١٤٣٦هـ.
٦٤. محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م.
٦٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٦٦. مختصر قيام الليل، المَرْوَزِي، اختصار العلامة المقريزي، حديث أكادمي، فيصل آباد- باكستان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦٧. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

Book 01 Final B.indd 147 2/12/2019 11:23:10 PM

١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٦٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٦٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٧٠. مشكلة البطالة وعلاجها، جمال السراحنة، اليمامة، دمشق - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٧١. المصارف: معاملاتها، ودائعها، فوائدها، مصطفى أحمد الزرقا، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى، العدد الأول، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٧٢. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٧٣. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
٧٤. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م.
٧٥. المغني لابن قدامة، ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، بدون رقم للطبعة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٧٦. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٧٧. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٧٨. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للرُّعيني، دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٧٩. موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، علي أحمد السالوس، مكتبة دار القرآن، مصر العربية - بلبيس - دار الثقافة - الدوحة، قطر، ط٧.
٨٠. النظام الاقتصادي الإسلامي، علي يوعلا، ضمن: البنوك الإسلامية ودورها في تنمية اقتصاديات المغرب العربي، البنك الإسلامي للتنمية - المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٨١. نظام التأمين: حقيقته والرأي الشرعي فيه، مصطفى أحمد الزرقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٨٢. نظام الوقف في التطبيق المعاصر، محمود أحمد مهدي، البنك الإسلامي للتنمية: المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب (جدة) - الأمانة العامة للأوقاف (دولة الكويت)، وقائع ندوات، رقم: ٤٥، ١٤٢٣هـ.
٨٣. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.
٨٤. النكت والعيون، الماوردي، تحقيق سيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
٨٥. نيل الأوطار، الشوكاني، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٩٩٣م.

Book 01 Final B.indd 148 2/12/2019 11:23:10 PM

٨٦. الوثيقة المرجعية لتأليف كتاب "أقرأ وأتعلم"، التأهيل المهني والتكنولوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الكتابة العامة، مديرية التعليم العتيق، قسم محو الأمية.
٨٧. الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، دار الفكر، بيروت – دمشق، ط٢، ٢٠٠٦م.
٨٨. الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر والمياومة من خلال المنوال التونسي، حسن القرواشي، مجلة أوقاف، العدد ٢٤، جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ/مايو ٢٠١٣م.
٨٩. الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

المواقع الإلكترونية:

٩٠. موقع إدارة أوقاف الراجحي: http://www.rajhiawqaf.org
٩١. موقع الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت: www.awqaf.org.kw
٩٢. موقع برنامج التغذية العالمي: http://ar.wfp.org/hunger
٩٣. موقع جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة: http://www.naifprize.org.sa
٩٤. موقع جمعية كفى للتوعية بأضرار التدخين والمخدرات بمكة المكرمة: http://norivers.org
٩٥. موقع سهم النور: http://www.sahmalnour.org
٩٦. موقع قطر الخيرية: http://www.qcharity.com
٩٧. موقع القيِّم: http:www.alqayyim.com
٩٨. موقع مكتبة الشيخ عبد الله آل ثاني الوقفية العامة: http://www.sheikhali-waqfia.org.qa
٩٩. موقع المكتبة الشاملة: http://shamela.ws
١٠٠. موقع المكتبة الوقفية: http://waqfeya.com
١٠١. موقع هيئة الإغاثة الإسلامية: http://www.egatha.org
١٠٢. موقع الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم: www.hqmi.org.sa
١٠٣. موقع الهيئة العالمية للوقف التابعة للبنك الإسلامي للتنمية: http://www.worldwaqf.org/irj
١٠٤. موقع الهيئة العامة للأوقاف بالإمارات العربية المتحدة: http://www.awqaf.gov.ae
١٠٥. موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية: http://habous.gov.ma

Book 01 Final B.indd 149 2/12/2019 11:23:11 PM

قائمة الكتب والدراسات الصادرة عن الأمانة العامة للأوقاف في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي

أولاً: سلسلة الرسائل الجامعية:

١- دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التكنولوجية،(ماجستير)، م. عبد اللطيف محمد الصريخ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م.

٢- النظارة على الوقف، (دكتوراه)، د. خالد عبد الله الشعيب، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣- دور الوقف في تنمية المجتمع المدني «الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت نموذجًا»، (دكتوراه)، د. إبراهيم محمود عبد الباقي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤- تقييم كفاءة استثمارات أموال الأوقاف بدولة الكويت، (ماجستير)، د. عبد الله سعد الهاجري،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م (الطبعة الثانية، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م منقحة).

٥- الوقف الإسلامي في لبنان (١٩٤٣-٢٠٠٠م) إدارته وطرق استثماره «محافظة البقاع نموذجاً»، (دكتوراه)، د. محمد قاسم الشوم، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٦- دراسة توثيقية للعمل التطوعي في دولة الكويت: مدخل شرعي ورصد تاريخي،(دكتوراه)، د. خالد يوسف الشطي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م (الطبعة الثانية ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

٧- فقه استثمار الوقف وتمويله في الإسلام (دراسة تطبيقية عن الوقف في الجزائر)، (دكتوراه)، د. عبد القادر بن عزوز، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨م.

٨- دور الوقف في التعليم بمصر (١٢٥٠-١٧٩٨م)، (ماجستير)، عصام جمال سليم غانم، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩- دور المؤسسات الخيرية في دراسة علم السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية/دراسة حالة مؤسسة فورد (١٩٥٠-٢٠٠٤)،(ماجستير)، ريهام أحمد خفاجي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٠- نظام النظارة على الأوقاف في الفقه الإسلامي والتطبيقات المعاصرة (النظام الوقفي المغربي نموذجًا)،(دكتوراه)، د. محمد المهدي، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م.

١١- إسهام الوقف في تمويل المؤسسات التعليمية والثقافية بالمغرب خلال القرن العشرين (دراسة تحليلية)، (ماجستير)، عبد الكريم العيوني،١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٢- تمويل واستثمار الأوقاف بين النظرية والتطبيق (مع الإشارة إلى حالة الأوقاف في الجزائر وعدد من الدول الغربية والإسلامية)،(دكتوراه)، د. فارس مسدور، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٣- الصندوق الوقفي للتأمين،(ماجستير)، هيفاء أحمد الحجي الكردي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٤- التنظيم القانوني لإدارة الأوقاف في العراق،(ماجستير)، د. زياد خالد المفرجي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

Book 01 Final B.indd 150 2/12/2019 11:23:11 PM

١٥- الإصلاح الإداري لمؤسسات قطاع الأوقاف (دراسة حالة الجزائر)، (دكتوراه)، د. كمال منصوري، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٦- الوقف الجربي في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجاً)، (ماجستير)، أحمد بن مهني بن سعيد مصلح، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٧- التأمين التعاوني من خلال الوقف الإسلامي (المشكلات والحلول في ضوء تجربتي باكستان وجنوب إفريقيا)، (ماجستير)، مصطفى بسام نجم، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

١٨- وقف حقوق الملكية الفكرية (دراسة فقهية مقارنة)، (دكتوراه)، د. محمد مصطفى الشقيري، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م.

١٩- الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت ودورها في تنمية المجتمع (التنمية الأسرية نموذجاً)، (ماجستير)، محمد عبد الله الحجي، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م.

٢٠- الأمر السامي بتطبيق أحكام شرعية خاصة بالأوقاف (دراسة مقارنة مع تطبيق ما تقوم به الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت)، (ماجستير)، مريم أحمد علي الكندري، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م.

٢١- أحكام تعاضد الأوقاف وتطبيقاته المعاصرة (دراسة فقهية)، (ماجستير)، عبد الرحمن رخيص العنزي، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م.

٢٢- الوقفُ النقديُّ واستثمارُه في ماليزيا (خطةٌ مقترحةٌ لتطبيقِه في نيجيريا)، (دكتوراه)، د. عبد الكبير بللو أديلاني، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٦م.

٢٣- الوقف والحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر الأيوبي (٥٧٠-٦٥٨هـ/١١٧٤-١٢٥٩م)، (ماجستير)، مبارك عشوي فلاح جازع، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧م.

ثانيًا: سلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف:

١- إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية، د. فؤاد عبد الله العمر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م (الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م).

٢- الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي، د. أحمد محمد السعد ومحمد علي العمري، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣- الوقف والعمل الأهلي في المجتمع الإسلامي المعاصر (حالة الأردن)، د. ياسر عبد الكريم الحوراني، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤- أحكام الوقف وحركة التقنين في دول العالم الإسلامي المعاصر (حالة جمهورية مصر العربية)، عطية فتحي الويشي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٥- حركة تقنين أحكام الوقف في تاريخ مصر المعاصر، علي عبد الفتاح علي جبريل،

Book 01 Final B.indd 151 2/12/2019 11:23:11 PM

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٦- الوقف ودوره في دعم التعليم والثقافة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، خالد بن سليمان بن علي الخويطر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (الطبعة الثانية-مزيدة ومنقحة، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١م).
٧- دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة (دولة ماليزيا المسلمة نموذجا)، د. سامي محمد الصلاحات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٨- التطور المؤسسي لقطاع الأوقاف في المجتمعات الإسلامية (حالة مصر)، مليحة محمد رزق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٩- التطور المؤسسي لقطاع الأوقاف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة (دراسة حالة المملكة العربية السعودية)، محمد أحمد العكش، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٠- الإعلام الوقفي (دور وسائل الاتصال الجماهيري في دعم وتطوير أداء المؤسسات الوقفية)، د. سامي محمد الصلاحات، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١١- تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية (دراسة حالة)، د. أسامة عمر الأشقر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م (الطبعة الثانية-مزيدة ومنقحة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
١٢- استثمار الأموال الموقوفة (الشروط الاقتصادية ومستلزمات التنمية)، د.فؤاد عبد الله العمر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٣- اقتصاديات نظام الوقف في ظل سياسات الإصلاح الاقتصادي بالبلدان العربية والإسلامية (دراسة حالة الجزائر)، ميلود زنكري وسميرة سعيداني، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٤- دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة في المملكة العربية السعودية، أ. د. نوبي محمد حسين عبد الرحيم، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٥- دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة، أ. د. عبدالقادر بن عزوز، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٦- أثر سياسات الاصلاح الاقتصادي على نظام الوقف (السودان حالة دراسية)، الرشيد علي صنقور، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٧- توثيق الأوقاف حماية للوقف والتاريخ (وثائق الأوقاف السنية بمملكة البحرين)، حبيب غلام ناماليتي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.
١٨- توثيق الأوقاف ونماذج لحجج وقفية ومقارنتها، أحمد مبارك سالم، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م.
١٩- إسهام نظام الوقف في تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، أ. د. نور الدين مختار الخادمي، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م.
٢٠- دور الوقف في تفعيل مقاصد الشريعة، د. حميد قهوي، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م.

Book 01 Final B.indd 152 2/12/2019 11:23:11 PM

٢١-استرداد الأوقـاف المغتصبة: المعوقات والآليات (حالة جمهورية مصر العربية)، د. رضا محمد عبد السلام عيسى، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م.

٢٢- دور الوقف في دعم الأسرة، د. عبد القادر بن عزوز، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧م.

٢٣- الوظيفة الاجتماعية للوقف الإسلامي في حل المشكلات الراهنة، د. عبد السلام رياح، ١٤٤٠ هـ/٢٠١٨م.

٢٤- حوكمة الوقف وعلاقتها بتطوير المؤسسات الوقفية (دراسة تطبيقية وفق منهج النظم الخبيرة)، د. إسماعيل مومني/د. أمين عويسي، ١٤٤٠ هـ/٢٠١٨م.

ثالثًا: سلسلة الكتب:

١- الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف، د. عبد الستار أبو غدة، ود. حسين حسين شحاته، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢- نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات)، تحرير: محمود أحمد مهدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة.

٣- استطلاع آراء المواطنين حول الإنفاق الخيري في دولة الكويت، إعداد الأمانة العامة للأوقاف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤- LE WAQF EN ALGÉRIE À L›ÉPOQUE OTTOMANE XVII è - XIXè، د. ناصر الدين سعيدوني، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م (الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

٥- التعديات الصهيونية على الأوقاف والمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين (١٩٤٨-٢٠١١م)، إبراهيم عبد الكريم، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٦- الأربعون الوقفية، د. عيسى صوفان القدومي، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م.

٧- القطاع الثالث والمسؤولية الاجتماعية (الآفاق-التحديات)/الكويت أنموذجًا، لبنى عبد العزيز صالحين، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥م.

٨- مشروع قانون الوقف الكويتي (في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية)، د. إقبال عبد العزيز المطوع، الطبعة الثانية، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٥م.

٩- دور الوقف في مواجهة الغلو والتطرف، د .حازم علي ماهر، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م.

١٠ -المرأة والوقف.. العلاقة التبادلية (المرأة الكويتية أنموذجاً)، أ. إيمان محمد الحميدان، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م.

١١ -مدونة الأوقاف المغربية (دراسة منهجية في الأسس والأبعاد في ضوء القانون الاسترشادي للوقف)، د. مجيدة الزياني، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٦م.

Book 01 Final B.indd 153 2/12/2019 11:23:11 PM

رابعًا: سلسلة الندوات:

١- ندوة: نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية)، التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، وعُقدت في بيروت بين ٨-١١ أكتوبر ٢٠٠١م، شارك فيها لفيف من الباحثين والأكاديميين، الطبعة الأولى مايو ٢٠٠٣م، والثانية سبتمبر ٢٠١٠م.

٢- Les Fondations Pieuses(Waqf) En Méditerranée :Enjeux De Société,Enjeux De Pouvoir، مجموعة من المفكرين، ٢٠٠٤م (الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ/٢٠١٠م).

٣- أعمال ندوة «الوقف والعولمة» (بحوث ومناقشات الندوة الدولية الأولى لمجلة أوقاف التي نظمتها الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة وجامعة زايد بدولة الإمارات العربية المتحدة، في الفترة من ١٣ إلى ١٥ أبريل ٢٠٠٨م، تحت شعار: «الوقف والعولمة...استشراف مستقبل الأوقاف في القرن الحادي والعشرين»)، ٢٠١٠م.

٤- الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف، د. عبد الستار أبو غدة ود. حسين حسين شحاته، الطبعة الثانية، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م.

٥- نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات)، تحرير: محمود أحمد مهدي (الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

٦- تأصيل ريع الوقف (الموضوع الثالث في منتدى قضايا الوقف الفقهية السابع المنعقد بالعاصمة البوسنية «سراييفو»، في الفترة من ٩ إلى ١١ شعبان ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ مايو ٢٠١٥م)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

خامسًا: سلسلة الكتيبات:

١- موجز أحكام الوقف، د. عيسى زكي، الطبعة الأولى، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/نوفمبر ١٩٩٤م، والطبعة الثانية، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/نوفمبر ١٩٩٥م.

٢- نظام الوقف الإسلامي: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، د. أحمد أبو زيد، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» بالرباط بالمملكة المغربية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣- الوقف الإسلامي: مجالاته وأبعاده، د. أحمد الريسوني، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» بالرباط بالمملكة المغربية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

سادسًا: سلسلة الترجمات:

١- من قسمات التجربة البريطانية في العمل الخيري والتطوعي، جمع وإعداد وترجمة: بدر ناصر المطيري، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢- وقفيات المجتمع: قوة جديدة في العمل الخيري البريطاني، تأليف: كالبانا جوشي، ترجمة:

Book 01 Final B.indd 154 2/12/2019 11:23:11 PM

بدر ناصر المطيري، صفر ١٤١٧هـ/يونيو١٩٩٦م.

٣- المؤسسات الخيرية في الولايات المتحدة الأمريكية، تأليف: اليزابيث بوريس، ترجمة المكتب الفني بالأمانة العامة للأوقاف، جمادي الآخرة ١٤١٧هـ/نوفمبر ١٩٩٦م.

٤- جمع الأموال للمنظمات غير الربحية «دليل تقييم عملية جمع الأموال»، تأليف: آن ل نيو وبمساعدة: وللسون سي ليفيس، ترجمة: مطيع الحلاق، ١٩٩٧/٧م.

٥- الجمعيات الخيرية للمعونات الخارجية (التجربة البريطانية)، تأليف: مارك روبنسون، تقديم وترجمة: بدر ناصر المطيري، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦- المحاسبة في المؤسسات الخيرية، مفوضية العمل الخيري لإنجلترا وويلز، يوليو ١٩٩٨م.

٧- العمل الخيري التطوعي والتنمية: استراتيجيات الجيل الثالث من المنظمات غير الحكومية (مدخل إلى التنمية المرتكزة على الإنسان)، تأليف: ديفيد كورتن، ترجمة: بدر ناصر المطيري، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٨- (Islamic Waqf Endowment): نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «الوقف الإسلامي: مجالاته وأبعاده»، ٢٠٠١م.

٩- فريق التميز: الإستراتيجية العامة للعمل التطوعي في المملكة المتحدة، مشروع وقف الوقت، ترجمة: إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية بالأمانة العامة للأوقاف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠- (Kuwait Awqaf Public Foundation: An overview): نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «نبذة تعريفية عن الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت»، ٢٠٠٤م.

١١- (A Summary Of Waqf Regulations): نسخة مترجمة لكتيب «موجز أحكام الوقف»، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م (الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

١٢- (A Guidebook to the Publications of Waqf Projects› Coordinating State in the Islamic World): نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «دليل إصدارات مشاريع الدولة المنسقة للوقف في العالم الإسلامي»، ٢٠٠٧م (الطبعة الثانية، ١٤٣٣ هـ/٢٠١٢م مزيدة).

١٣- (A Guidebook to the Projects of Waqf Projects› Coordinating State in the Islamic World): نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «دليل مشاريع الدولة المنسقة في العالم الإسلامي»، ٢٠٠٧م.

١٤- Women And Waqf, Iman Mohammad Al Humaidan, : نسخة مترجمة عن كتاب «المرأة والوقف»، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٥- The Contribution of Waqf to non-Governmental Work and Social Development Dr.Fuad Abdullah Al Omar, : نسخة مترجمة عن كتاب «إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية»، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

Book 01 Final B.indd 155 2/12/2019 11:23:11 PM

١٦- الأوقاف في مقدونيا خلال الحكم العثماني، تأليف وترجمة: د. أحمد شريف، مراجعة وتحرير علمي: إدارة الدارسات والعلاقات الخارجية، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م.

١٧- Assetizing the Waqf Proceeds: هو ترجمة لكتاب «تأصيل ريع الوقف» الذي هو الموضوع الثالث في منتدى قضايا الوقف الفقهية السابع المنعقد بدولة البوسنة والهرسك)، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

سابعًا: مجلة «أوقاف» (مجلة نصف سنوية تعنى بشؤون الوقف والعمل الخيري):

صدر منها ٣٥ عددًا حتى نوفمبر ٢٠١٨م.

ثامنًا: إصدارات منتدى قضايا الوقف الفقهية:

١- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الأول (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بدولة الكويت في الفترة من ١٥-١٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ١١-١٣ أكتوبر ٢٠٠٣م)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الثاني (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بدولة الكويت في الفترة من ٢٩ ربيع الأول إلى ٢ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ٨-١٠ مايو ٢٠٠٥م)، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الثالث (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بدولة الكويت في الفترة من ١١-١٣ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق ٢٨-٣٠ أبريل ٢٠٠٧م)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الرابع (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية، والبنك الإسلامي للتنمية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد بالعاصمة المغربية «الرباط» في الفترة من ٣ -٥ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ٣٠/٣-١/٤/٢٠٠٩م)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٥- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الخامس (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع رئاسة الشؤون الدينية والمديرية العامة للأوقاف بالجمهورية التركية والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بإسطنبول في الفترة من ١٠-١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ الموافق ١٣-١٥ مايو ٢٠١١م)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٦- منتدى قضايا الوقف الفقهية السادس (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بالعاصمة القطرية «الدوحة» في الفترة من ٣ -٤ رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ١٣ -١٤ مايو ٢٠١٣م)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.

٧- منتدى قضايا الوقف الفقهية السابع (بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة

Book 01 Final B.indd 156 2/12/2019 11:23:11 PM

للأوقاف، بالتعاون مع المشيخة الإسلامية بدولة البوسنة والهرسك والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بالعاصمة البوسنية «سراييفو» في الفترة من ٩ إلى ١١ شعبان ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ مايو ٢٠١٥م)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٨- قرارات وتوصيات منتديات قضايا الوقف الفقهية (من الأول إلى السابع)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

٩- منتدى قضايا الوقف الفقهية الثامن (أبحاث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بالمملكة المتحدة والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بمدينة أكسفورد في الفترة من ١ إلى ٣ شعبان ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ أبريل ٢٠١٧م)، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

١٠- مدونة أحكام الوقف الفقهية (النسخة التجريبية)، ١٤٣٩ هـ/٢٠١٧م.

تاسعًا: المراجع ومصادر المعلومات في مجال الوقف:

١- كشاف أدبيات الأوقاف في دولة الكويت، ١٩٩٩م.

٢- كشاف أدبيات الأوقاف في جمهورية إيران الإسلامية، ١٩٩٩م.

٣- كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين، ١٩٩٩م.

٤- كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م.

٥- كشاف أدبيات الأوقاف في جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٠م.

٦- كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة المغربية، ٢٠٠١م.

٧- كشاف أدبيات الأوقاف في الجمهورية التركية، ٢٠٠٢م.

٨- كشاف أدبيات الأوقاف في جمهورية الهند، ٢٠٠٣م.

٩- الكشاف الجامع لأدبيات الأوقاف، ٢٠٠٨م.

١٠- مكنز علوم الوقف، ٢٠٠٤م.

١١- أطلس الأوقاف/دولة الكويت، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣م.

١٢- معجم تراجم أعلام الوقف، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م.

١٣- قاموس مصطلحات الوقف (الجزء الأول: حرف الألف) نسخة تجريبية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٤- قاموس مصطلحات الوقف (الجزء الثاني: حرف الباء والتاء والثاء)،نسخة تجريبية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

Book 01 Final B.indd 157 2/12/2019 11:23:12 PM

الأمانة العامة للأوقاف

هي هيئة حكومية مستقلة بدولة الكويت، معنية بإدارة الأوقاف الكويتية واستثمارها، وصرف ريعها في المصارف الشرعية طبقا لشروط الواقفين وفي إطار أحكام القانون.

أسست الأمانة بموجب المرسوم الأميري رقم ٢٥٧ الصادر بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٩٣م. وتتمثل رؤيتها في "التميز في استثمار الوقف، وصرف ريعه، وتعزيز ثقافته بشراكة مجتمعية فاعلة".

وتتلخص رسالتها في "الدعوة للوقف، وإدارة شؤونه وفق الضوابط الشرعية من خلال عمل مؤسسي متميز كأداة لتنمية المجتمع الكويتي، وكنموذج يحتذى به محليا وعالميا".

مشروع "مداد" الوقف

هو أحد المشروعات العلمية الذي تنفذه الأمانة العامة للأوقاف ممثلة لدولة الكويت بصفتها "الدولة المنسقة لجهود الدول الإسلامية في مجال الوقف"، طبقا لقرار المؤتمر السادس لوزراء أوقاف الدول الإسلامية الذي انعقد بالعاصمة الاندونيسية "جاكرتا" في أكتوبر سنة ١٩٩٧م. ويضم السلاسل الآتية: سلسلة الرسائل الجامعية، سلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف، سلسلة الكتب، سلسلة الندوات، سلسلة الكتيبات، سلسلة الترجمات.

سلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف

تهدف إلى الإسهام في تطوير الأبحاث والدراسات في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي، وتشجيع الباحثين والدارسين على الخوض في مسائل الأوقاف ومشكلاتها المختلفة، إسهاما في إيجاد حلول ملائمة، وذلك بنشر الأبحاث الفائزة المتميزة في "مشروع مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف" الذي هو أحد مشروعات "الدولة المنسقة"، وتقام تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد "الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح" حفظه الله.

هذا الكتاب

يعالج هذا الكتاب إحدى الموضوعات ذات الصلة بالمؤسسة الوقفية وتطبيق معايير الحوكمة، حيث حضي مفهوم الحوكمة باهتمام بالغ في السنوات الأخيرة على مستوى الفكر التنظيمي والإداري المعاصر، باعتباره من أهم الأطر والتطبيقات التي تستهدف الارتقاء بمستوى أداء المؤسسات العامة والخاصة، كما تمت الاستعانة بدراسة تطبيقية وفق منهج النظم الخبيرة لاختبار حوكمة وترشيد المؤسسة الوقفية.

وقد حاز أصل هذا الكتاب على الجائزة الثالثة للموضوع الأول حول "حوكمة الوقف وعلاقتها بتطوير المؤسسات الوقفية" في الدورة العاشرة للمسابقة (١٤٣٧-١٤٣٨ هـ/٢٠١٦-٢٠١٧م).

Book 01 Final B.indd 158 2/12/2019 11:23:12 PM